النظرات الإلهية

في المدائح المحمدية

العلامة الحجة المقدس
الشيخ منصور بن الحاج عبدالله البَيَات القطيفي
(رضوان الله تعالى عليه)

(الجزء الأول)

صححه وخرج مصادره
أحمد بن حسين الغبيدان

دار الكرامة - قم المقدسة

النظرات الإلهية

في المدائح المحمدية

العلاّمة الحجّة المقدّس

الشيخ منصور بن الحاج عبد الله البَيَات القطيفي

(رضوان الله تعالى عليه)

الجزء الأول

صححه وخرّج مصادره

أحمد بن حسين العُبيدان الأحسائي

النظرات الإلهية

في المدائح المحمدية

(الجزء الأول)

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١ م

دار الكرامة

دار الكرامة للطباعة والنشر

قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة أولى

بقلم الشيخ علي بن الشيخ منصور المرهون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

سبق لي أن وعدت القراء الكرام بتقديم هذه السفر القيم والأثر الخالد (النظرات الإلهية في الممادح المحمدية) لمؤلفها صديقنا الفاضل العلامة الشيخ منصور البيات القطيفي حينما قدّمت (نظرته الحسينية) و(النظرة النفسية)أو (الأشعة القدسية) ومرّت هذه المدّة من صدور الكتابين المذكورين، كنت والمؤلف نحاول إنجاز الوعد، حتى منّ الله سبحانه بإنجازه، ورفع أسباب التعويق عن إبرازه، فهاهو يطلع على قُرّائه في ثلاثة أجزاء متتابعة ـ إن شاء الله تعالى ـ في نظرات، كل نظرة تصلح لأن تكون رسالة مستقلة في موضوعها مما يتعلق بسيد الكائنات وعلّة الموجودات الرسول الأعظم نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حسبما أولاه به ربه ذو الجلال (تبارك وتعالى) فامتاز بذلك عن سائر المخلوقين وحتّى الأنبياء والمرسلسن؛ إذ هو أفضلهم.

يسم المؤلف (حفظ الله) كتابه هذا بـ(النظرات الإلهية) ولعله يرمز إلى ما ذكرناه؛ ليطابقَ الاسمُ المسمى، وأحسن مايسمى به الكتاب مسمّاه، فإن مواهب الرسول ﷺ وما آتاه الله تعالى مما ميزه الله به عن غيره مخلوقة معه قبل خلق آدم ـ كما يستفاد من قوله ﷺ «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» ـ وعليه فقد أصاب المؤلف هدفه الذي توخّاه في مؤلفه، ولو استطردت ذكر الشواهد على ذلك لطال بنا المقام أولاً.

وثانياً لا أحبُّ أن أعلّم قارئي الكسَل، فإني أحيله على الكتاب نفسه ليستفيد منه ما يغذي به عقله وروحه على السواء، وهو في الوقت نفسه يفيده رسوخاً في العقيدة، وثباتاً في الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، فما عليه إلا أن يقرأه ممعناً فيه النظر؛ ليجد ضالته المنشودة، فيقتفي أثر المؤلف في هذه الخدمة الشريفة، فيجدّ ويجتهد قائلاً متمثلاً:

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

تاركاً ورائه أمثال هذا الأثر القيّم والسفر الخالد فإنه أفضل ذخر ليوم ﴿لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

علي المرهون

١٢ / ١٠ / ١٣٩٩

كلمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي كرّم الإنسان فشرّفه على الأكوان بما منحه من المنح الإلهية، فوهب له القوة الملكوتية ـ وهو العقل الذي يثيب عبده ويعاقبه، فهو الحجة القائمة على العبد لربه (عز وجل) ـ وابتلاه بالقوى الثلاث: الغضب، والشهوة، والوهم، فمن قهرها بعقله عرج به إلى مبدأه أوج الملكوت، فبذلك يمتاز الإنسان ويكون مستعداً لنهاية الكمالات، فالبالغ أعلاها هو الإنسان الكامل، وليس إلاّ أشرف الموجودات المصطفى حبيب الله **محمد** رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم نفسه بنص كتاب الله **علي** ولي الله عليه السلام، فابنه **الحسن الزكي**، فأخوه أبو عبد الله **الحسين الشهيد** بكربلاء، فابنه **علي السجاد**، فابنه **محمد الباقر**، فابنه **جعفر الصادق**، فابنه **موسى الكاظم**، فابنه **علي الرضا**، فابنه **محمد الجواد**، فابنه **علي الهادي**، فابنه الزكي **الحسن العسكري**، فابنه الخلف **المنتظر** (صلى الله عليهم جميعاً، وعجل فرجهم)، وهو عجل الله فرجه الشريف أفضل التسعة ـ على ما صرّحت به الأخبار[1] وقرره العلماء الأخيار، وقد أفدنا ذلك في كتابنا (النظرات) المحرر فيه فضلهم وتفضيلهم، منوعاً حسب المقامات.

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦، قرب الإسناد: ص ١١١ ح ٣٨٦، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٢٠ ح ٧٦، الكافي: ج ١ص ٢٢٩ ح ٦، مقتضب الأثر (لابن عيّاش): ص ١١، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٣٣ ب ٣١ ح ٥٦، الغيبة (للنعماني): ص ٦٧ ب ٤ ح ٧،

وموضوع الكتاب أمران:

الأول: في النظر في أخذ الميثاق. والثاني: في تحقيق سبق الأرواح.

لكنه بسبب ارتباط المسائل ودواعيها تفرّعت منه النظرات المتنوعات، ومنها: النظرة في تحقيق تفضيل الأنبياء والإشارة إلى تفاوت رتبهم، فلما انتهى فيها القلم إلى مدائح نبينا وسيدنا حبيب الله محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بآي من القرآن الكريم، تذكّرت أني اقتطعت من الكتاب المذكور الرسالة الموسومة (بالنظرة الحسينية) المشتملة على بعض من أحوال سيدنا وإمامنا الحسين عليه السلام وأخته السيدة زينب عليها السلام، وإني أفردت الكتاب الموسوم (بالنظرة النفسية والأشعة القدسية) الحاوي لجملة من معارف الدين وشؤون المعصومين ـ خصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام ـ وقد طبعناه قبل أعوام يسيرة، فارتأيت أنْ أفرد كتاباً مستقلاً في مدائح سيد المرسلين، فأفردته وسمّيته (**النظرات الإلهية في الممادح المحمدية**)[1] فها هو ماثل للقارئ، وبالله الثقة والاعتصام.

المؤلف

مختصر البصائر: ص ٣٠٣، المحتضر: ص ٢٧٧ ح ٣٦٨، الاستنصار (للكراجكي): ص ٨، كنز الفوائد: ص ١٤٩.

١) قام المصنف بتصحيح العنوان إلى (المدائح) في الطبعات اللاحقة عند طباعته المجلد الثالث، ونبّه على ذللك هناك، فراجع: ج ٣ ص ٧ في الهامش.

تمهيد

إن نبينا ـ حبيب الله محمد ﷺ ـ جلَّ شأنه أن يعرف، وشمخ مجده أن يوصف، وإني وغيري ـ ممن يريد إحصاء مدائحه ـ لعاجزٌ وقاصرٌ عن أن يدرك ما أعطاه الله من المنح والمزايا، لكن الطمع في القرب من مولاه يحثّني على الإشارة لبعض مزاياه، ومهما بلغتُ من المعرفة بمعاني المدح وأسرار الثناء فلستُ هناك، والكل يعترف بالقصور، ولقد صدق الشيخ الأزري رحمه الله [1] في قوله:

ما عسى أن أقول في ذي معالٍ   علَّة الكون كله إحداها

وإن في القرآن لغنىً عن كل مدح.

في كل فاتحة للقول معتبره   أزكى الثناء على المبعوث بالبقرة

وما أجود قول الشيخ التاروتي رحمه الله [2]:

---

١) الشيخ محمد كاظم بن الحاج محمد الأزري البغدادي، المتوفى سنة ١٢١١ هـ، والبيت من قصيدة ألفية أولها:

لمن الشمس في قباب قباها   شف جسم الدجى بروح ضياها

لاحظ: الأزرية في مدح النبي والوصي والآل: ص ٣٤.

٢) الشيخ حسن بن محمد بن مرهون التاروتي، المتوفى ١٢٥٠ هـ ، والبيت من قصيدة له أولها:

لمن الشموس الطالعات على قبا   كالشهب إلا أنها فوق الربى

يغنيك قول الله عن ذي مقول ومديحه عمن أطال وأطنبا

فالقرآن خير مادح، وإني لحريص على أن أتشرف بمدائح سيدي وشفيعي نبي الرحمة محمد ﷺ من كتاب الله المقدس؛ تعبداً لله تعالى، فالعبادة خير موضوع، وبذكره ﷺ تحيا القلوب وتستنير، فليس بكثير ما أشرنا إليه آنفاً، فكتابنا يشتمل على نظرات.

انظر: أدب الطف: ج ٦ ص ٣١٤.

النظرة الأولى

وفيها أربعة عشر آية:

الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾[1].

روى المحقق الكاشاني في تفسيرها حديثاً عن كتاب (العلل) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في جواب نفر من اليهود حين سألوه: لأي شيء سُميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً؟

"أما الداعي فإني أدعو الناس إلى دين الحق ربي (عز وجل)، وأما النذير فإني أنذر بالنار من عصاني، وأما البشير فإني أبشر بالجنة من أطاعني، وسراجاً منيراً يستضاء به عن ظلمات الجهالة، ويقتبس من نوره أنوار البصائر"[2].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[3].

---

١) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥ و ٤٦.

٢) تفسير الصافي: ج ٤ ص ١٩٥، وانظر: علل الشرائع: ص ١٢٧ ب ١٠٦ ح ١.

٣) سورة الجمعة: الآية ٢.

قال الشيخ الطبرسي (رضوان الله عليه) في تفسيرها ما نصه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ يعني العرب، وكانت أمَّة أمّية لا تكتب ولا تقرأ، ولم يُبعث إليهم نبيٌّ. عن مجاهد وقتادة.

وقيل: يعني أهل مكة؛ لأن مكة تسمى أم القرى.

﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نسبُه نسبهم، وهو من جنسهم.

الآية الثالثة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[١].

ووجه النعمة: في أنه جعل النبوة في أمِّيٍّ؛ موافقة لما تقدمت البشارة به في كتب الأنبياء السالفة، ولأنه أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالحكِم التي تلاها، والكتب التي قرأها، وأقرب إلى العلم بأن ما يخبرهم به من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية على وفق ما في كتبهم، ليس ذلك إلا بالوحي[٢].

أقول: والوجه الثاني من تفسير الأمين [الطبرسي] موافق لحديثٍ رواه في تفسير الأعراف[٣]، ورواه المحسن في الصافي[٤].

---

١) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

٢) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٦.

٣) ن، م، ج ٤ ص ٢٦١.

٤) تفسير الصافي: ج ٢ ص ١٩٩.

الآية الرابعة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١].

قال (الشيخ الطبرسي) (رضوان الله عليه) في تفسيرها في المعنى ما نصه: ومعناه: لا يُعذب أهل مكة بعذاب الاستئصال وأنت مقيم بين أظهرهم؛ لفضلك وحرمتك يا محمد، فإن الله تعالى بعثك رحمة للعالمين، فلا يُعذبهم إلا بعد أن يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة بإخراجك عنهم[٢]. انتهى.

الآية الخامسة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

فياله مدح عظيم من رب عظيم، في نبي عظيم، وفي تابعيه ببركته ﷺ فإليك في شرح بعض معناه مما أفاده (أمين الإسلام) فإنه ذكرَ في بيان معنى الأمّي وتابعيه وجوهاً، أرجّحُ رابعها، وإليك نصه:

---

١) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

٢) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٦٠.

٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

ورابعاً: أنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: « ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ ، معناه: يجدون نعته وصفته ونبوته مكتوباً في الكتابين؛ لأنه مكتوب في التوراة في السفر الخامس: "أني سأقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فيه، فيقول لهم كل ما أوصيه به"، وفيها مكتوب: "وأما ابن الأمَة فقد باركتُ عليه جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأؤخّره لأمّة عظيمة"...»، ثم أنهى ماله من الذكر في التوراة، وذكر في الإنجيل بشارة في مواضع منها: مدح المسيح بقوله: "روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه أنه نذيركم بجميع الحق، ويخبركم بالأمور المزمعة، ويمدحني، ويشهد لي... إلى آخره".

وذكر في قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وجهين: أحدهما أنه مكتوب في الكتابين والثاني أنها مدحٌ مبتدأ من الله تعالى. وأقول: إن كليهما منه تعالى.

ثم أخذ في تفسير الآية، إلى أن ذكر في الأمر معنيين: أولهما ما نصه: أي ثقلهم شبه ما كان على بني إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل؛ وذلك أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضُهم بعضاً، وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب؛ حرمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم ذكر في معنى الأغلال أشياءً منها قرض أجسادهم عن النجاسة.

وذكر في معنى ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ ما نصه: أي عظّموه ووقروه ومنعوا عنه أعداءه ونصروه عليهم.

ثم أخذ في تفسير قوله تعالى: ﴿أُنْزِلَ مَعَهُ...﴾ إلى أن قال: ويروى عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: «**أيُّ الخلق أعجب إيماناً؟**»، قالوا: الملائكة. فقال: «**عند ربهم فما لهم لا يؤمنون؟**» ، قالوا النبيون. قال ﷺ : «**يوحي إليهم فما لهم لا يؤمنون؟**» ، قالوا: فنحن يا نبي الله! قال ﷺ : «**أنا فيكم فما لكم لا تؤمنون؟ إنما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتاباً في ورق فيؤمنون به، فهو معنى قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾**»[1]، انتهى.

الآية السادسة: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

أيها المؤمن الكريم، أكثرْ من تلاوتها، فما بعد مدح الله تعالى مدح.

وإليك بعضاً مما قاله (أمين الإسلام) في تفسيرها، ففي بيان الآية الأولى أقوال أربعة، نختار ثالثها، وهو ما نصه: معناه: بما أنعم عليك ربك من كمال العقل والنبوة والحكمة، لستَ بمجنون: أي لا يكون مجنوناً من أنعمنا عليه.

وقال رحمه الله : ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ أي ثواباً من الله تعالى على قيامك بالنبوة وتحملك أعباء الرسالة، ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع.

---

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٣٧٤.

٢) سورة القلم: الآيات ٢ ـ ٤.

وأخذ في تفسيرها حتى قال (رضوان الله عليه) : وقال ابن عباس: ليس من نبي إلا وله مثل أجر من آمن به ودخل في دينه.

ثم أورد في بيان معنى الآية الثالثة معانٍ ستة، فإليك ثالثها وسادسها، قال ﷺ : (الخُلق العظيم) : الصبر على الحق وسعة البذل وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة، وتحمل المكاره في الدعاء إلى الله تعالى، والتجاوز والعفو، وبذل الجهد في نصرة المؤمنين، وترك الحسد والحرص، ونحو ذلك، عن الجبائي.

وقالت عائشة: كان خلق النبي ﷺماتضمنته الآيات العشر الأول من سورة المؤمنين ومن مدحه الله سبحانه وتعالى، فليس وراء مدحه مدحٌ.

وقال (رضوان الله عليه) في المعنى السادس ما نصه: سُمي خُلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه؛ ويعضده ما روي عنه ﷺ قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» ، وقال ﷺ : «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**» ، وقال ﷺ : «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار...**» إلى آخره[١].

قال العلامة الجشي[٢]:

---

١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٨٦

٢) الشيخ علي بن حسن الجشي، المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ، والبيت من القصيدة الحادية عشرة في ديوانه المطبوع: ص ٤٤، أولها:

يا علّة الإيجاد يا سرّ المهيمن يا محمد

يا من له الخُلُق العظيم وربنـا فـي الذكر أكَّدْ
وحبيبـه دون الـورى وبكل فضل أنت مفردْ

الآية السابعة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

روى (أمين الإسلام) في تفسيرها حديثاً عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلاّ نكاح كنكاح الإسلام**». ثم قال الشيخ (رضوان الله عليه): وإنما مَنَّ الله سبحانه عليهم بكونه منهم؛ لأنهم إذا عرفوا مولده ومنشأه، وشاهدوه صغيراً، وعرفوا حاله في صدقه وأمانته، ولم يعثروا على شيء يوجب نقصاً فيه، فبالحري أن يكونوا أقرب إلى القبول منه والانقياد له.

وأخذ (رضوان الله عليه) في بيانه إلى أن قال: ﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ**﴾ معناه حريص على من لم يؤمن أن يؤمن.

ثم أخذ في بيان معاني ﴿**رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾، فإليك ما رجّحته منها:

رؤوف بالمطيعين منهم، رحيم بالمذنبين.

وفي آخر البيان قال (رضوان الله عليه): وقال بعض السلف: لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا النبي محمد ﷺ فإنه قال: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾، وقال: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾، وقال:

---

١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [١]، انتهى .

الآية الثامنة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢].

وإني لأحب أنْ أحرّر في تفسيرها ما أورده المحقق (المحسن) ؛ لما فيه من سرور نفوس الموالين بما يتجدد لها من برد أفئدتها بصفاء ودهم الجاري من نمير علمهم عليهم السلام ، فيحمدون الله على توفيقه، قال في (الصافي) ما نصه: في (ثواب الأعمال) عن الكاظم أنه سُئل: ما معنى صلوات الله وصلوات ملائكته وصلوات المؤمنين؟ قال: «**صلوات الله رحمة منه له، وصلوات الملائكة تزكية منهم له، وصلوات المؤمنين دعاء منهم له**»[٣].

وفي (المعاني) عن الصادق أنه سُئل عن هذه الآية فقال: «**الصلاة من الله** (عز وجل) **رحمة، ومن الملائكة تزكية، ومن الناس دعاء، وأما قوله** (عز وجل) ﴿**وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ **يعني التسليم فيما ورد عنه**». قيل: فكيف نصلي على محمد وآل محمد؟ قال: «**تقولون: صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته**». قيل فما ثواب من صلى على النبي وآله وسلم؟ قال:

---

١) مجمع البيان: ج ٥ ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

٣) ثواب الأعمال: ج ١٥٦ (ثواب من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب) ح ١.

«**الخروج من الذنوب كهيأة يوم ولدته أمه**»[١].

وروى القمي قال رَحِمَهُ اللَّهُ: صلوات الله عليه تزكية له وثناء عليه، وصلوات الملائكة مدحهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وصلوات الناس دعاؤهم له وتصديق الاقرار بفضله، وقوله ﴿**وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ يعني سلموا له بالولاية بما جاء به[٢].

وفي (المحاسن) عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سُئل عن هذه الآية فقال: «**اثنوا عليه، وسلموا له**»[٣].

وفي (العيون) عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في مجلسه مع المأمون: قال: «**وقد علم المعاندون منهم أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يارسول الله، قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد)، فهل بينكم معاشر الناس خلاف؟**». قالوا: لا. فقال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأمة، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟ قال: «**نعم، أخبروني عن قول الله تعالى ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فمن عنى بقوله ﴿يس﴾؟**». قالت العلماء: ﴿يس﴾ محمد، ولم يشك فيه أحد. قال أبو الحسن: «**فإن الله (عزّ وجلّ) أعطى محمداً وآل محمد فضلاً لا يبلغ أحد**

---

١) معاني الأخبار: ص ٣٦٧ (معنى الصلاة من الله ومن الملائكة ومن المؤمنين...) ح ١.

٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٩٦ في تفسير آية الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٣) المحاسن: ٢ ص ٣٢٨ (كتاب العلل) ح ٨٥.

كنه وصفه إلاّ من عَقَلَه؛ وذلك أنه لم يسلّم على أحد إلاّ على الأنبياء فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلْ يَاسِينَ﴾ يعني آل محمد»، فقال المأمون: لقد علمت أن في معدن النبوة شرح هذا وبيانه[١].

وعنه عليه السلام فيما كتبه في شرائع الدين: «**والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله واجبة في كل موطن، وعند العطاس والرياح وغير ذلك**»[٢].

وفي (الخصال) مثله عن الصادق[٣].

وفي (الكافي) و (الفقيه) عن الباقر عليه السلام : «**وصلِّ على النبي كلما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان وغيره**»[٤].

وفي (الكافي) عنه عليه السلام قال: «**لما قبض النبي صلى الله عليه وآله صلَّت عليه الملائكة، والمهاجرون، والأنصار، فوجاً فوجاً. وقال أمير المؤمنين** عليه السلام

---

١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ باب (ذكر مجلس الإمام عليه السلام مع المأمون...) .

٢) الخصال: ص ٦٠٣ في (خصال من شرائع الدين) ح ٩.

٣) الخصال: ص ٦٢٩ في (حديث الأربعمائة) ذيل ح ١٠. عن الصادق، عن آبائه، عن جده أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) قال: «**صلوا على محمد وآل محمد فإن الله تعالى يقبل دعاءكم عند ذكر محمد ودعاءكم وحفظكم إياه إذا قرأتم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ فصلوا عليه في الصلاة كنتم أو في غيرها**».

٤) الكافي: ج ٣ ص ٣٠٣ باب (بدء الأذان والإقامة وفضلهما وثوابهما) ح ٧، من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٤ ح ٨٧٥.

سمعت رسول الله ﷺ يقول في صحته وسلامته: (إنما أنزلت هذه الآية علي في الصلاة علي بعد قبض الله لي ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ.. الآية﴾ »[1].

وفيه مرفوعاً: أن موسى ناجاه الله فقال في مناجاته ـ وقد ذكر محمداً ﷺ ـ «**فصلِّ عليه ـ يا ابن عمران ـ فإني أصلي عليه وملائكتي**»[2].

وفي (الاحتجاج) عن أمير المؤمنين عليه السلام : «لهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله ﴿**صَلُّوا عَلَيْهِ**﴾ **والباطن قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به إليه ﴿تَسْلِيمًا﴾ ، قال: وهذا ما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلاّ من لَطُفَ حسّه وصفا ذهنه وتمييزه**»[3]. انتهى[4].

أقول: ينبغي أن نتبصر ببصيرتنا في هذا الكلام الجليل كي نستضيء بأنوار علمه في طرق سَعدنا الدائم؛ ففيه أشعة قيّمة:

الأول: في وجوب الصلاة على النبي أو استحبابها عموماً وخصوصاً بحسب المورد.

---

١) الكافي: ج ١ ص ٤٥١ (أبواب التاريخ ـ مولد النبي ﷺ ووفاته) ح ٣٨.

٢) الكافي: ج ٨ ص ٤٤ ح ٨.

٣) الاحتجاج: ج ١ ص ٥٩٦ في (احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأيٍ من القرآن متشابهة) .

٤) تفسير الصافي: ج ٤ ص ٢٠١ ـ ٢-٢.

الثاني: في كيفياتها العامة والخاصة وروداً .

الثالث: في فضلها وما فيه من الأجر والقربة.

الرابع: ما يترتب على تركها من الذم والخسران.

الخامس: مايترتب على فعلها في الدنيا من إجابة الدعاء والبركة وغير ذلك.

والمعنى الرابع والخامس: يحصل بالاستنباط باللزوم وذكر صريح بلحاظ الفدية والمقابلة، فالخسران ضد الأجر، والذم ضد المدح الحاصل من الله تعالى ورسوله ﷺ على فعلها؛ لأن الكلام المذكور مصرّح فيه بأربعة أمور فقط، الثلاثة الأُوَل، والرابع بيان معنى الصلاة والتسليم، فعليه يقع الكلام في مقامات ستة، فنقول وبالله الثقة:

المقام الأول:

في بيان معنى الصلاة والتسليم من كلمات علمائنا

(رضوان الله عليهم):

فإنه وإن بُيّن فيما سبق من الأخبار، لكنه للنظرة العلمية مزيد أهمية في التحليل، فإليك كلمة من بعض الأجلاّء على ما نقله الشيخ (فخر الدين) في (المجمع)، قال رحمه الله في مادة (صلا) ما نصه: قال بعض الأفاضل[1]: الصلاة وإن كانت بمعنى الرحمة لكن المراد بها هنا الاعتناء بإظهار شرفه ورفع شأنه. ومن هنا قال بعضهم: تشريف الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ أبلغ من تشريف آدم بالسجود[2].

ومن ذلك كلمة الشيخ الجليل (ابن الفتال) في (روضة الواعظين) في (مجلس ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) قال (رضوان الله عليه) ما نصه: وصلاة الله عليه ما يفعله به من كراماته وتفضيله وإعلاء درجاته ورفع منازله، وغير ذلك من إكرامه. وصلاة الملائكة والمؤمنين عليه مسألتهم لله من أن يفعل به مثل ذلك[3]. أنتهى.

---

١) هو المقداد السيوري الحلي في كنز العرفان: ج ١ ص ١٢٠ في (كتاب الصلاة ـ النوع الخامس ـ الآية التاسعة).

٢) مجمع البحرين: ج ١ ص٢٦٧.

٣) روضة الواعظين: ص ٣٢٢.

ولعَمري إنه لقولٌ صدقٌ من علماء صادقين، مَشَاربه[١] في كلام الصادقين عليهم السلام .

ومنه: مقابلة تشريف آدم عليه السلام بالسجود بتشريف سيدنا وسيد الكل حبيب الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة الله.

فقد روى الشيخ المذكور في (الروضة) في (مجلس معاجز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) حديثاً طويلاً يتضمن مقابلة معاجز الأنبياء بمعاجزه صلى الله عليه وآله وسلم : عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في أوله: «إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام بقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ وقال لنبينا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾... إلى آخره[٢].

فتأمل في كلام هؤلاء الفضلاء؛ كي تعرف موافقته لكلمات سادتهم المعصومين، فلا منافاة بينه وبين ما سبق من الأخبار من كون الصلاة هي الرحمة؛ لأن هذا من باب تخصيص العام... وهو موافق لما قال الشيخ (أمين الإسلام) (رضوان الله عليه) ، فإليك نبذة منه:

قال في بيان معنى الآية ما نصه: المعنى لما صدّر سبحانه وتعالى هذه السورة بذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرّر في أثناء السورة ذكر تعظيمه، ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ

---

١ ـ أي أصوله وجذوره.

٢ ـ روضة الواعظين: ص ٦١.

﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ معناه إن الله يصلي على النبي ويثني عليه بالثناء الجميل ويبجله بأعظم التبجيل، وملائكته يصلون عليه ويثنون عليه بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، قال أبو حمزة الثمالي رضي الله عنه: حدثني السدي وحميد بن سعد الأنصاري وبريد ابن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجزة، قال: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله، هذا السلام قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ .. إلى آخر الحديث.

وهو مثل الحديث الرضوي المذكور[1].

ثم روى رحمه الله في ذلك أخباراً أخر، منها: ما نصه: عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقلت: كيف صلاة الله على رسوله؟ فقال: «**يا أبا محمد، تزكية له في السماوات العُلى**»، فقلت: قد عرفت صلاتنا له، فكيف التسليم؟ فقال: «**هو التسليم له في الأمور**». انتهى.

ثم قال (رضوان الله عليه) : فعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، انقادوا لأوامره وابذلوا الجهد في طاعته وفي جميع ما يأمركم به... إلى آخره[2].

فتدبره ترى كلمته فيما حررناه من تفسير (التسليم) الأخير تحليلاً لما قاله الإمامان أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام فيما تقدم.

---

١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ باب (ذكر مجلس الإمام عليه السلام مع المأمون...) .

٢) مجمع البيان: ج ٨ ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

وما رواه رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي بصير عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هو عين ما رويناه من (معاني الأخبار) سابقاً[١].

وما روي عن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ آنفاً[٢] نوع من هذا العام، بل هو أجلّه، بل هو كله؛ لأن التسليم للوصي في كل الأمور لازمٌ للتسليم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وحيث إن كل ما عند الوصي من الأمر والنهي والعلم إنما هو مما عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بل هو هو، إذ التسليم للوصي علي أميرنا عَلَيْهِ السَّلَامُ مما أمر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وألزم به يحتم الله بقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[٣]، والتسليم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا المعنى ظاهر من اللفظ على حد التسليم في قوله تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٤]، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٥]، فمن لم يسلّم في كل الأمور لأميرنا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يتق الله قطعاً؛ إذ المعارضة اجتهاد في قبال نص الله ونص رسوله.

---

١) تقدم في صفحة ١٩.

٢) في صفحة ٢١.

٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.

٤) سورة النساء، الآية ٦٥.

٥) سورة الحسر، الآية ٧.

وأما المعنى الثاني في قوله تعالى: ﴿وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ـ وهو أن يراد به الدعاء ـ بأن يقال: السلام عليك يارسول الله، فهو ـ بلحاظ العطف ـ هو الأقرب للذهن، لكنه بالتأويل ينحل إلى الأول، إذ المعنى في قولك: (السلام عليك) :

إما الدعاء بالسلامة أو الإعلام بها أو الدعاء للمخاطب بحفظ الله تعالى ذلك، فالمراد في قولك: (السلام) ـ من أي المعاني كان، من الدعاء بالسلامة من المكاره أو بحفظ الله أو بالإعلام ـ لابد وأن يتضمن سلامة المسلَّم عليه، فلابد لمن سلّم على النبي ﷺ من المسالمة له، بمعنى الموالاة، ولا يكون كذلك حتى يكون لأمير المؤمنين كذلك؛ لما ورد عنه ﷺ من طريق الترمذي وابن حاتم أنه ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»[1]، ومثل هذا في المعنى مسفيضٌ من طريق الفريقين خصوصاً في أمير المؤمنين عليه السلام.

وحيث قلنا إن النظرة العلمية لها أهمية في تحليل ما يحرر، فإليك كلمة أيضاً من السيد الجليل السيد علي صدر الدين، تُحلل لك معنى الصلاة في الخبر الكاظمي والصادقي، فإنه (رضوان الله عليه) استبعد الاشتراك اللفظي في معنى الصلاة ـ على قول الجمهور ـ بجهات أربع حررها في الروضة الثانية من كتابه المذكور آنفاً، ثم بنى على الاشتراك المعنوي، فقال ما نصه: وقال المحققون: إنها ـ لغةً ـ بمعنىً واحدٍ وهو العطف، ثم العطف بالنسبة

---

١) سنن الترمذي: ج ٦ ص ٣٦٠ ح ٣٩٦٢.

إلى الله الرحمة اللائقة به، وإلى الملائكة الاستغفار، وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض[١]. قال السهيلي في (نتائج الفكر) : الصلاة كلها وإن اختلفت معانيها راجعة إلى أصل واحد فلا تظنها لفظ اشتراك ولا استعارة إنما معناها العطف محسوساً ومعقولاً. انتهى.

ثم تكلم (رضوان الله عليه) في معنى الصلاة على رسول الله ﷺ فقال ما نصه: معنى الصلاة على رسول الله ﷺ تعظيمه في الدنيا بإعلاء كلمته، وإبقاء شريعته. وفي الآخرة بتضعيف مثوبته، والزيادة في رفع درجته. قيل: والدعاء بذلك عائدة إلى المصلي؛ لأن الله تعالى قد أعطاه من إعلاء الكلمة وعلو الدرجة ورفع المنزلة ما لا يؤثّر فيه صلاة مصلٍّ ولا دعاء داع. وقيل بل غايته طلب زيادة كماله ﷺ وقربه من الله تعالى، إذ مراتب استحقاق نعم الله (عز وجل) غير متناهية.. الخ[٢].

أقول: ربما بالتأمل ينحل الوجه الأول إلى الثاني بالمآل بالتصرف، ولعله الراجح، لكن صاحب القيل الأول ناظر لكماله ﷺ البالغ غايته بحسب الإمكان، إذ لا أفضل منه في الكائنات قطعاً ـ كما عرفت مكرراً ـ فيرى صاحب هذا القيل بوجدانه أن الدعاء له ﷺ لا أثر له في زيادة القرب من مولاه؛ نظراً منه لما أمدّه الله تعالى به من الكمال من حين وجوده

---

١) لاحظ: ـ مغني اللبيب: ج ٢ ص ٧٩٠ في ذكره شروط الحذف الثمانية، الشرط الأول، التنبيه الثاني منه: شرط الدليل اللفظي: أن يكون طبق المحذوف.

٢) رياض السالكين: ج ١ ص ٤٢٠ في شرحه الدعاء (الثاني) من الصحيفة السجادية.

في عالم الأنوار إلى حين ملاقاته لربه بتشريفه عالم الأخرى، وقد انتهت كمالاته الحيوية المبتدئة من الحضرة الأزلية المنتهية بالحكمة الآلهية، فيرى هذا الناظر أن الفيوضات الإلهية المختصة به قد انتهت حيث النشأتين أنشئتا له قد حازهما.

وصاحب القيل الثاني ناظر إلى عدم تناهي الفيوضات المِنَح من العناية الأزلية مع استعداد الذات المحمدية، وأنّا إذا تأملنا في كمال قدرة الله وغاية وجوده عرفنا رجحان القول الثاني وأمكننا إرجاع فوائد المصلين عليه إلى مصاديق كمالاته ﷺ بازدياده بذلك قربا من ربه (عز وجل) فإن المصلين عليه إذا حصل لهم بما فعلوه القرب من ربهم فأثابهم، فلا شك أن النبي ﷺ يحصل له بذلك سرور عظيم ابتهاجاً بمنح مولاه، ولا شك أن ذلك من جلائل القربات، ثم إنَّ ما ورد عنه ﷺ من عرض أعمال المؤمنين عليه حتى بعد الوفاة فيستغفر الله للمؤمنين عما يرى لهم من السيئات، ويسأل ربه الزيادة فيما يرى لهم من الحسنات، ثابت مسلّم، وقد تقدم تحقيق ذلك وإثباته في أوائل كتاب (النظرات) وسؤاله ربه واستغفاره إياه هو من أحسن العبادات بلا إشكال، أفترى الغني الوهاب يحرم عبده الأجر على ذلك ورفع الدرجات، فهذا التحليل نجزم أن ما حصل للمصلين عليه قد حصل له ﷺ مع الأضعاف الكثيرة ولا ينقص من أجورهم شيء «**اَلْحَمْدُ لله الْفاشي في الْخَلْقِ اَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظّاهِرِ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ، الْباسِطِ بِالْجُودِ يَدَهُ، الَّذي لا تَنْقُصُ خَزائِنُهُ، وَلا تَزيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطاءِ إلاّ جُوداً وَكَرَماً، اِنَّهُ هُوَ الْعَزيزُ الْوَهّابُ**».

هذا، واعلم أن التحليل المذكور ـ مما أدّاه نظري القاصر ـ إلهامٌ من الواهب القادر، وبعد تحريره وقفت على كلام جليل في (الأنوار) للسيد في هذا الموضوع وهو جدير أن نأخذ منه بعض الكلمات القيمة لفظاً أو معنى؛ لما فيه من الدليل الأخير على ما وضّحناه فإنه رحمه الله قد حرّر القيل الأول بدليله ثم تكلم عليه حلاّ ونقضاً، فإليك بعضاً منه:

قال في أوله ما معناه: بما يعود لما حرر من أن درجات نوال الله تعالى لا تنتهي، وامتياز الذات الأحمدية على غيرها بزيادة الفيض الخاص به صلى الله عليه وآله وسلم.

وأشار بالدليل الآخر إلى ما حررناه من عود فوائد المصلين له صلى الله عليه وآله وسلم ولهم بسببه، وقد استدل على عدم انتهاء نواله تعالى بالأخبار، وبعد كلماتٍ قال (رضوان الله عليه) ما نصه: إن دعاءنا له صلى الله عليه وآله وسلم وطلبنا مزيد نواله [سبحانه] له إنما هو من جملة أعماله صلى الله عليه وآله وسلم التي يستحق بها مزيد القرب والدرجات؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد استنقذنا من ورطة الهلاك، ثم قرَّر ذلك أيضاً لأئمّتنا المعصومين عليهم السلام... حتى قال ما نصه: فدعاؤنا لهم عليهم السلام من جملة أعمالهم، ولاشك أن أعمالهم مما يوجب مزيداً من الثواب لهم بلا خلاف منا، وليس هذا إلا من باب دعاء المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب، فإنه مما يوجب مزيد الأجر للداعي والمدعو له...

فأخذ في البيان حتى استشهد بقول الله تعالى: «**يا موسى ادعني بلسان لم تعصني به**» الحديث وفيه «**اطلب من إخوانك الدعاء**».

فالسيد يقرر انتفاع موسى عليه السلام بذلك كانتفاع المؤمن بدعاء أخيه فإليك منه مايدل على ما قلناه.

قال رحمه الله ما نصه: والمنحة التي طلبها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ليست مخصوصة بما تتعلق بهم وحدهم، بل هو عطاء يزيد في علوهم ويرفع شرفهم فوق شرف الأنبياء، وأكمل هذا وأهمه هو مقام شفاعتهم للمؤمنين من أمتهم، ومقام شهادتهم على تبليغ سائر الأنبياء والمرسلين كما روي في الأخبار الصحيحة... ثم قال: وهذا الدعاء وإن كان لهم صورة إلا أنه في المعنى ترجع فائدته إلينا وإليهم، فإلينا بقبول شفاعتهم في حقنا للخلاص من أليم العذاب، وإليهم بإظهار قبول شفاعتهم، وحصول ملتمسهم على رؤوس الأشهاد بحضور الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والعباد الصالحين، ولا ريب أن قبول الإلتماس من أرفع الدرجات.

ثم أخذ (رضوان الله عليه) في الكلام على الدليل حتى انتهى بقوله: وبالجملة إن اعتقادنا في المسألة هو أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مما يعود نفعها إلينا[1] وإليه بما عرفت، والله أعلم[2]. انتهى.

فكن أيها القارئ الكريم ممن يعرف الرجال بالحق وتدبّره فإنه من

---

١) في آخر: دعاء الحادي والثلاثين من الصحيفة السجادية شاهد قوي على المراد، قال عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ كَمَا هَدَيْتَنَا بِه، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ كَمَا اسْتَنْقَذْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَلاَةً تَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ الْفَاقَةِ إِلَيْكَ» ، وإسناد الشفاعة للصلاة مجاز للسببية. (منه رحمه الله).

٢) الأنوار النعمانية: ج١ ص ١٣٧ ـ ١٣٩.

فوائد الكلام على معنى الصلاة عليه ﷺ.

وبه انتهى ما نريده من بيان المعنى، وفيه حجّة كافية ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهلها، وأن ينشر علينا من خزائن علمه.

المقام الثاني:

في الوجوب والاستحباب وهو مما أشرنا إليه آنفاً من المقامات، فإليك من البيان مما هو مسلم بين العلماء ومما هو محل الخلاف بينهم، وللناظر [المجتهد] رأيه في ذلك إن كان من أهل الرأي، ومن قطع بشيء لزمه الجري عليه[١] وإن لم يكن بطرق الاجتهاد المفتعلة[٢]، وإلاّ لزمه التقليد في غير الضروري[٣]، وهو المسلّم بين المسلمين.

---

١) القطع هو الجزم والعلم واليقين والانكشاف التام والرؤية التي لا يشوبها أدنى شكّ.

والقطع ـ كما هو محرر في علم أصول الفقه ـ على نحوين:

* **موضوعي**، وهو الواقع موضوعاً لحكم من الأحكام بنحو يكون ترتّب الحكم منوطاً بتحقّق القطع خارجاً، كما لو قيل: إذا قطعت بنجاسة المائع حرم عليك بيعه. فهنا اعتُبر القطع موضوعاً لحرمة البيع.
* **وطريقي**: وهو وسيلة من الوسائل الإثباتيّة التي لها دور الكشف عن الواقع الثابت في نفس الأمر بقطع النظر عن انكشافه وعدم انكشافه، ولا دخل له في واقع الأشياء الثابتة في نفس الأمر، مثله مثل المرآة فهي لا تغيّر من واقع الأشياء وإنما تعكسه وتظهره.

٢) المفتعلة: يعني بها إعمال أدوات الاجتهاد في الاستنباط.

٣) يشير إلى أن التقليد لا يكون في غير الفروع والأحكام الفقهية.

ومنها: استحباب الصلاة عليه ﷺ سواء ذكر أم لا، لا كما أفاد السيد علي صدر الدين في (الروضة) المذكورة آنفاً[١]، كما أنه نقل الوجوب عن الكرخي في العمر مرة.

وأقول: إن ما أفاد من كون الاستحباب ضروري عند المسلمين ـ حتى بدون ذكره ﷺ ـ ثابت عنده، ولعله ليس كل أحد قاطعاً بذلك، بل المقطوع بضروريته عند المسلمين الاستحباب عند ذكره ﷺ كما صرح بذلك مولانا السيد محسن في (مستمسك العروة الوثقى) في فضل الصلاة على النبي ﷺ[٢].

نعم، ثبوت ذلك بالدليل مما لا ريب فيه، وكفى في ذلك الآية المذكورة آنفاً، وهي ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**... الآية﴾، بل هي كافية في الدلالة على الوجوب ولو في العمر مرة، ولو في أحد تشهدات الصلاة كما صرح بذلك السيد محسن المذكور. قال (دام ظله) ما نصه: ويكفي في امتثال الأمر فيها الإتيان بها في بعض التشهدات الصلاتية[٣]، انتهى.

فرأيه (دامت بركاته) موافق للمشهور في الاستحباب عند ذكره ﷺ، بل قد نَقل عن بعضهم الإجماع على عدم الوجوب، لكنه قد ذكر جملة من

---

١) تقدم في صفحة ٢٨.

٢) مستمسك العروة الوثقى: ج ٦ ص ٥٢٠ ـ ٥٢١.

٣) ن، م، ص ٥٢١.

القائلين بالوجوب عند ذكره ﷺ منهم: الشيخ البهائي في (مفتاح الفلاح) حيث نقل ذلك عن الصدوق القمي والشيخ المقداد، وقال: وهو الأصح[١].

وقال السيد: واختاره في (الحدائق)[٢]ـ ونسبه للمحقق الكاشاني في (الوافي)[٣]، والمحقق المدقق المازندراني في (شرح أصول الكافي)[٤]، والشيخ عبد الله بن صالح البحراني[٥]، وممن ذكره: الطحاوي من علماء العامة[٦]. انتهى[٧].

وكأنّ ناقل الإجماع لم يطّلع على الأقوال بالوجوب، وإلا فقد ذكر غير السيد بعض من ذكرَ وغيرهم، فقد ذكر الشيخ الطريحي رحمه الله اختيار الزمخشري ذلك، ثم قوّاه[٨]، وذكر أيضاً رحمه الله وجوبها في الصلاة عند أحمد

---

١) مفتاح الفلاح: ص ١١٤ (صور الأذان)، كنز العرفان: ج ١ ص ١٢٢ (كتاب الصلاة).

٢) الحدائق الناضرة: ج ٨ ص ٤٦٠ ـ ٨٦٤ (مبحث التشهد).

٣) الوافي: ج ٣ ص ٢٢٥.

٤) شرح أصول الكافي: ج ١٠ ص ٢٧ باب (الصلاة على النبي وأهل بيته).

٥) الحدائق الناضرة: ج ٨ ص ٤٦٣ (مبحث التشهد).

٦) انظر: جلاء الأفهام: ج ٢٢٢ (ب ٤، الموطن ١١ من مواطن الصلاة عليه ﷺ).

٧) مستمسك العروة الوثقى: ج ٦ ص ٥٢٠.

٨) قال الزمخشري: والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر؛ لما ورد في الأخبار. انظر: الكشاف: ج ٣ ص ٢٧٣ في تفسير آية الصلاة على النبي ﷺ.

ومما استدل به في (الشافي) في تفسير آية الصلاة عليه ﷺ ـ حين سئل ﷺ عن معناها قال ﷺ ما مضمونه: «هذا من العلم المكنون، ولولا [أنكم] سألتموني لما أخبرتكم، إن الله

والشافعي، ولم يوجبها مالك وأبو حنيفة؛ وذلك في مادة (صلا)[١] بعد ذكره بعض من ذكره السيد (مد ظله).

وقال السيد (رضوان الله عليه) في (الأنوار) ما نصه: وأما وجوب الصلاة عليه ﷺ إذا ذكر واستحبابها ففيه خلاف بين الأصحاب (رضوان الله عليهم) ، والذي دلت عليه الأخبار الصحيحة «كلما ذكره ذاكر» سواء اتّحد مجلس الذكر أم تعدد، وسواء صلى عليه سابقاً أم لا، وسواء ذكر بلقبه أم بكنيته، بل وبالضمير الراجع إليه، فإنه كناية عنه[٢].

وممن قال بالوجوب كلما ذكر ﷺ : صدر الدين، فإنه ذكر استحبابها عند الشافعي في التشهد الأول في الصلاة ووجوبها في الثاني، واستحبابها فيهما معا عند أبي حنيفة ومالك[٣]، ثم ذكر الخلاف في ذلك في غير الصلاة، إلى أن قال ما نصه: والأولى الوجوب عند كل ذكر، للأخبار الكثيرة الصريحة بالأمر بها كلما ذكر، والأمر للوجوب.. إلى آخره[٤].

تعالى قد وكّل بي ملكاً [ملكين] ، فإذا صلّى علي المصلي عند ذكري قال الملك [الملكان] : غفر الله لك، وقال الله والملائكة: آمين، وإذا ترك الصلاة علي قال الملك [الملكان] : لا غفر الله لك، وقال الله والملائكة: آمين». (منه رحمه الله). انظر الحديث في بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٦٨ ـ ٦٩ ح ٥٧.

١) مجمع البحرين: ج ٢ ص ٦٣٢ (باب الصاد).

٢) نور الأنوار في شرح صحيفة سيد الأبرار: ص ٥٩ المقام الثالث من شرح الدعاء الثاني.

٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج ١ ص ١٣٢.

٤) رياض السالكين: ج ١ ص ٤٢٢ .

وفيه رد دليل الاستحباب بمنع عدم تعليم المؤذنين والنكير عليهم بصحيحة زرارةومقابلة "أصالة البراءة"[١] بالقرآن والأخبار، فراجع.

وممن يظهر منه القول بالوجوب ـ وإن لم ينص عليه صريحاً ـ العلامة المجلسي (رضوان الله عليه) فقد قال رحمه الله في (مرآة العقول) عند كلامه على خاتمة باب الصلاة على محمد وأهل بيته في آخر الفائدة الأولى [من كتاب الدعاء] ما نصه:

وأقول: استدل القائلون بعدم وجوب الصلاة عند مطلق الذكر بالأصل وبالشهرة، وبعدم تعليمه صلى الله عليه وآله وسلم للمؤذنين، وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكيرهم كما يفعلون الآن، ولو كان لَنُقِل. وفي جميع ذلك نظر؛ لأن عدم التعليم ممنوع، وكذا عدم النكير وعدم النقل، وتكفي الأخبار والتهديدات الواردة فيها مطلقاً، مع أنه سيجيء في باب بدء الأذان والإقامة ما رواه زرارة في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «**إذا أذنت فأفصح بالألف والهاء وصل على النبي وآله كلما ذكرته أو ذكره ذاكر في أذان أو غيره**»[٢]،

---

١) واحدة من الأصول العملية هي أصالة البراءة، و مفادها: براءة ذمّة المكلّف من التكليف وعدم انشغالها بشيء ما لم يثبت ذلك بدليل. وهذا الأصل يُبحث في علم الأصول مفصّلاً، وله تطبيقاته الفقهية الكثيرة. وينقسم باعتبار الدليل الدالّ عليه إلى: البراءة العقلية والنقلية (أو الشرعية) . أما العقلية فهي المعبّر عنها بـ"قبح العقاب بلا بيان"، وأما الشرعية فهي المستفادة من الأدلّة الشرعيّة من الآيات والأخبار. وللمزيد يمكن مراجعة كتاب المعجم الأصولي (الشيخ محمد صنقور) : ص ٤٠١ ـ ٤١٥.

٢) الكافي: ج ٣ ص ٣٠٣ باب (بدء الأذان والإقامة وفضلهما وثوابهما) ح ٧.

على أن عدم النقل لا يدل على العدم، وأصالة البراءة لا يصح التمسك بها بعد ورود الآية والأخبار الكثيرة[١]، انتهى.

فليُتدبَّر فإنه جيّد لما تمسك به (رضوان الله عليه) من قضية الإخبار بالتهديدات المطلقة، وهي أقوى مستند القائلين بالوجوب، ولعل من أجل ذلك احتاط المحقق الأردبيلي[٢] كما أفاده السيد صدر الدين[٣].

هذا، ولكن إطلاق الأخبار والتهديدات لا يسوغ التمسك بإطلاقها إلا بفقد قرائن الندب فيها أو بفقد التصريح به في غيرها بنفي الوجوب بقول (لا بأس) وأمثاله، كما هو الشأن في كثير من المكروهات والمستحبات، فقد تُشعر كثيرٌ من الأخبار في ذلك بما ظاهره حرمة الفعل أو وجوبه مثل لعن "الضاحكين بين القبور" ونفي "الصلاة عن جار المسجد إلا فيه"؛ وسبب ذلك هو شياع استعمال أئمتنا عليهم السلام صيغ الأمر في كثير من المندوبات، حتى صار لفظ الأمر ـ مجازاً ـ مشهور مُغْنٍ بشهرته عن ذكر قرينته كما أفاده الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني في (المعالم) حيث قال ما نصه:

فائدة: يستفاد من تضاعيف أحاديثنا المروية عن الأئمة عليهم السلام أن استعمال صيغة الأمر في الندب كان شائعاً في عرفهم عليهم السلام بحيث صار من

---

١) مرآة العقول: ج ١٢ ص ١٠٩ ـ ١١٠. وانظر: بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٢٧٧، والفرائد الطريفة: ص ٢٠٩ الأمر الخامس من شرح الدعاء الثاني من الصحيفة السجادية.

٢) زبدة البيان في احكام القرآن: ص ٨٦.

٣) رياض السالكين: ج ١ ص ٤٢٢.

المجازات الراجحة المساوي احتمالها من اللفظ لاحتمال الحقيقة عند انتفاء المرجّح الخارجي، فيشكل التعلق في إثبات وجوب أمر بمجرد ورود الأمر به منهم عليهم السلام [١].

ويوافقه في محل الإشكال الشيخ الجليل الشيخ محمد صالح المازندراني (رضوان الله عليه) فيقول ما نصه: والحقُ في مثله التوقف إن وقع في الكتاب والسنة؛ إلى أن يجيء تفسيره عن أهل الذكر عليهم السلام [٢].

وقال الميرزا أبو القاسم القمي بعد نقل عبارة صاحب (المعالم) ما نصه: وتبعه عليه بعض من تأخر كصاحب (الذخيرة)... ثم أورد عليه إيرادات ثالثها: قوله (رضوان الله عليه): وأيضاً تلك الكثرة إنما حصلت بملاحظة مجموع روايات الرواة عن مجموع الأيمة عليهم السلام، والذي يضر على سبيل التسليم [٣] هو الكثرة بالنسبة إلى كل واحد، فأفهم [٤]. انتهى.

وهو حسنٌ.

---

١) معالم الدين وملاذ المجتهدين: ص ٣٥.

٢) شرح معالم الدين: ص ٦٢ (نسخة حجرية).

٣) أي أنا لو تنزلنا مع القائل بلا إشكال على الوجوب بمطلق الأمر لكثرة الاستعمال عندهم عليهم السلام إنما تتم معارضته بالكثرة عند كل فرد منهم ولم يثبت. (منه رحمه الله).

٤) قوانين الأصول: ج ١ ص ١٨١ ـ ١٨٢.

ولعله يشير بقوله رحمه الله (فأفهم) إلى إمكان توجيه كلام الشيخ المذكور إلى ما هو الصحيح من اشتراط كثرة الاستعمال خالية من القرينة كما أشار إليه في الإيراد الأول، ثم قال: ولم يثبت[1].

فعليه بثبوته يتم ما قاله الشيخ، فإذا كان الشأن في ثبوته فقط فمن ثبت عنده ـ كالشيخ المذكور، على ما ظهر مما أفاده ـ لزمه التوقف كما اختاره الشيخ محمد صالح ، بل التوقف أولى وأحوط مطلقاً؛ حتى يفهم الندب من دليل وجوب الصلاة على محمد وآله، أما مع اقترانه بالقرينة فلا.

لكن ربما تتفاوت وضوحاً وخفاءً بتفاوت أفهام العلماء، فانظر إلى كلمة مرجعنا السيد محسن (دام ظله) في (المستمسك) حيث نظر في أدلة الوجوب التي منها صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام .

قال (أعزه الله) ما نصه: "وأما الصحيح فدلالته ليست بتلك المتانة، لقرب احتمال وروده مورد الأدب، بقرينة سياقه مساق الأمر بإفصاح الألف والهاء"[2].

فإنك تراه (دام ظله) غير جازم بالندب من الخبر؛ لكون قرينة الندب عنده محتملة فقط، وربما غيره لا يراها البتة، فيراها أمراً مستقلاً كما هو ظاهر من كلام المجلسي رحمه الله في المقام.

---

١) ونصه: إنما (وجوب) يصح إذا ثبت استعمالهم في الندب بلا قرينة خالية أو لفظية ونفهم إرادة الندب من دليل آخر. انتهى. (منه رحمه الله).

٢) مستمسك العروة الوثقى: ج ٦ ص ٥٢١.

ويظهر أيضاً من كلام السيد صدر الدين المذكور آنفاً في رده على القائلين بالندب واستنادهم إلى عدم تعليمهم عليهم السلام للمؤذنين، فمنعه السيد بقوله: ففيه أن عدم التعليم ممنوع، وكذا عدم النكير كعدم النقل، فقد روى ثقة الإسلام في (الكافي)[١] في باب (بدء الأذان والإقامة) بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام : «إذا أذنت فأفصح بالألف والهاء وصلِّ على النبي كلما ذكرته أو ذكره ذاكر في آذان وغيره»[٢].

وأقول: إنّا قد أفدناك آنفا[٣] ضرورية الاستحباب بها عند المسلمين عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم وثبوته حتى بدون ذكره مما لا إشكال فيه ولو بالعمومات.

أما عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم : فدليل الوجوب عند القائلين به لا يخلو من رُجحان، بل هو راجح ـ بحسب نظرتي الفعلية وإن لم أكن من أهل النظر ـ إذ هو الموافق للاحتياط الذي ذكرناه عن المحقق الأردبيلي والسيد (رضوان الله عليه) بل قد نقل عنه الشيخ النراقي (رضوان الله عليه) في (المستند) قولاً أقوى من الاحتياط، قال الشيخ المذكور ما نصه: وقال المقدس الأردبيلي في (آيات الأحكام)[٤]: ويحتمل وجوب الصلاة عليه كلما ذُكر صلى الله عليه وآله وسلم كما دل عليه بعض الأخبار... إلى أن قال: ويمكن اختيار

---

١) الكافي: ج ٣ ص ٣٠٣ ح ٦.

٢) رياض السالكين: ج ١ ص ٤٢٣.

٣) تقدم في صفحة ٣٢.

٤) زبدة الأحكام: ص ٨٥ ـ ٨٦ (مبحث التشهد).

الوجوب في كل مجلس مرة إن صلى آخر، وإن صلى ثم ذُكر يجب أيضاً كما في تعدد الكفارة بتعدد الموجب إذا تخللت وإلا فلا[١].

هذا، وقد عرفت أن الاستحباب أو الوجوب من المسائل التقليدية، فيلزمنا العمل برأي مرجعنا السيد [الحكيم]، وقد أفدناك بنظره آنفا وإشكاله على الدليل بالآية؛ إذ الثابت عنده الوجوب مرة لا تكراره.

ومن الناظرين في الدليل: الشيخ النراقي (رضوان الله عليه) فقد نظر في أصل الدلالة من لفظ الصلاة، يقول في (مستنده)[٢] في (المسألة الثالثة) من (مبحث التشهد) ما نصه: وفيها نظر؛ لعدم دلالة الأمر بالصلاة على قول الصلاة، لعدم ثبوت الحقيقة الشرعية، انتهى المراد.

يريد أن لفظة ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ لا تدل على أن المراد قول (اللهم صل على محمد وآل محمد) إلا إذا ثبت وضع لفظ الصلاة لهذا القول، وهو مبني على أنّ الشارع وضع بإزاء العبادات ألفاظاً خاصة تُفهم بدون قرينة مجرى الحقيقة، وهو محل النفي والإثبات، وهو لا يُثبت ذلك، فالدلالة إنما تتم عند المثبتين.

---

١) نص العبارة هكذا: والظاهر أن الصحيح وإن صلى آخر أو صلى.. ثم ذكر: والضمير في (أو صلى) هو الفاعل في قوله (ثم ذكر)، والمراد من (وجبت عليه الصلاة) على النبي بذكره صلى الله عليه وآله وسلم. (منه رحمه الله).

ولاحظ: مستند الشيعة: ج ٥ ص ٣٣١ (مبحث التشهّد).

٢) مستند الشيعة: ج ٥ ص ٣٣١.

لكنه قد يُجاب بأن الدلالة حاصلة على كلا القولين، أما على ثبوت الحقائق فواضح على ما اشترط (رضوان الله عليه) ، وأما على انتفائها فوضوح دلالتها ببيان أهلها وهم النبي وأهل بيته عليهم السلام كما بيناها آنفاً.

نعم، ربما يقال إن وضوح الدلالة بيّن في الوجه الثاني بتفسيرهم عليهم السلام ، أما الوجه الأول فليس ببيّن إلاّ لهم عليهم السلام أيضاً .

فنقول: نعم، لكن قلنا بوضوحه مجاراةً لمن علّق الدلالة على ثبوت الحقائق، وإلاّ فبيانهم عليهم السلام لابد منه؛ إما لتعيين المراد من المعاني الحقيقية في الألفاظ المشتركة، إذ أن لفظ (الصلاة) مشترك بين ذات الأركان وبين قول (اللهم صل على محمد وآل محمد) وغير ذلك من المعاني. وإما لبيان المراد من المجاز، حيث إن (الصلاة) في أصل اللغة للدعاء[1]، فلولا بيانهم عليهم السلام للمراد لجاز أن يُراد بقوله تعالى ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ الدعاء له صلى الله عليه وآله وسلم بالمغفرة والرحمة.. وغيرها من أنواع الخير، لكنه وآله (صلى الله عليهم أجمعين) أوضحوا لنا المراد في أخبارهم عليهم السلام ، والحمد لله.

---

١) النهاية في غريب الحديث: ج ٣ ص ٥٠ (باب الصاد مع اللام) ، مفردات غريب القرآن: ٢٨٥ (حرف الصاد وما يرتبط بها) .

* قال الفيروزآبادي: وأما الدعاء، فسمي صلاةً أيضاً؛ لأنّ قصد الداعي جمع المقاصد الحسنة الجميلة، والمواهب السنية الرفيعة، أوّلاً وآخراً، باطناً وظاهراً، ديناً ودنياً بحسب اختلاف أحوال السائلين، ففيها معنى الجمعّية أبلغ. انظر: الصِلات والبِشر: ص ٢٠ ـ ٢١ الباب (الأول ـ تفسير آية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ المسألة الأولى ـ في معنى الصلاة) .

ثم لا يخفى عليك أن جُلّ القرآن ـ إن لم يكن كله ـ ظنّي الدلالة وإن كان قطعي الصدور، والسنَّة بالعكس، ومن ثم اضطرت الخلق إلى وجود معصوم حافظ للشرع، مبيّن للكتاب، فدلالة الكتاب لا تحصل غالباً إلا ببيان حجج الله عليهم السلام.

فدلالة الآية على وجوب الصلاة ـ في الجملة ـ واضحة ببيانهم عليهم السلام.

وتكرار الوجوب ظاهر عند القائلين به من النصوص، ونفي القول بالوجوب بأصالة البراءة لا يتم إلاّ في قضية التكرار؛ لما عرفت من قيام دليل القرآن على وجوب المرّة، وقد عرفت أن مستند تكرار الوجوب عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم هو الأخبار المسلّمة بين الطرفين، فليس لمانعي الوجوب نفيها قطعاً.

نعم، هي من حيث قصور الدلالة وتمامها يتأتى فيها الكلام من ناحية الوجوب أو الاستحباب، فمن تمت دلالتها عنده على الوجوب جزم به، كمن ذكرناهم آنفاً، ومن قصُرت دلالتها عنده عن ذلك فلابد له من القول بالندب؛ إذ هو متيقن قطعاً، وهو القول المشهور، ولعل مستنده أيضاً قرائن على الندب لم تتضح عند القائلين بالوجوب، أو أخبار أخَر تصرح بالندب

لم يظفروا بها، أو أنّ دليلهم عندهم أرجح، وهم معذورون مأجورون؛ لما ثبت من أن المصيب له أجران والمخطئ له أجر[١].

ومن مستند بعض من نفى الوجوب: لزوم الحرج؛ لكثرة الصلاة عليه، سيما على القول بمطلق ذكره ﷺ عَلَماً أو لَقَباً أو كُنيةً أو ضميراً أو صفةً، وهو كما ترى، ولكل رأيه ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[٢] والاحتياط سبيل النجاة، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

هذا آخر ما أردناه من الكلام في مقام وجوب الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله الكرام) واستحبابها، وجزى الله علماءنا خير جزاء المحسنين.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المقام الثالث: في الأخبار الواردة في الأمر بها

فهي كثيرة، وفيها الصحيح والحسن والموثق، وقد وقفت على إحدى وعشرين في (أصول الكافي) خاصة، وبعضها مروياً في غيره أيضاً، ومن ذلك صحيح زرارة المتقدم ذكره المروي في (الفروع)[٣] وهو من المسلّمات، وفيه كفاية.

---

١) لم يثبت هذا في مذهبنا برواية، وإنما هو مما تناقله العامّة في كتبهم. ولعل المؤلف رحمه الله أراد بما ذكر أن المجتهد الذي له أهلية الإفتاء ـ وقد أعمل أدواته في الاستنباط ـ فهو الذي يثاب إن أصاب مضاعفاً، وإن لم يُصب فله أجر اجتهاده. والله أعلم.

٢) سورة البقرة، الآية ١٤٨.

٣) انظر: صفحة ٣٦ عن الكافي: ج ٣ ص ٣٠٣ (باب بدء الأذان والإقامة وفضلهما) ح ٧.

وقد رواه آية الله السيد محمد كاظم اليزدي في (العروة الوثقى) وصححه سيدنا المحسن، وروى أيضاً (دام ظله) في (المستمسك) أربعة أخبار وهي مروية في (الكافي) فلنتشرف بما عن أبي بصير رضي الله عنه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وهو السادس في (الكافي) وإليك نصه من (المستمسك):

وبخبر أبي بصير الآخر: «**إذا ذُكر النبي صلى الله عليه وآله فأكثر من الصلاة عليه فإنه من صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلق الله إلاّ صلى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة الملائكة، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور، قد برئ الله منه ورسولُه وأهل بيته**»[1].

وإليك نص شرحه من (شرح أصول الكافي) مزيداً للفائدة من قوله «**ألف صلاة في ألف صف من الملائكة**»:

صلاته تعالى (ألف صلاة في ألف صف من الملائكة) يحتمل وجهين:

الأول: أنه صلى حقيقة بكلام يسمعه ألف صف من الملائكة، فيصلي الملائكة أيضاً بصلاته (جل جلاله).

الثاني: أنه صلّى عليه ألف صف من الملائكة بأمره تعالى لهم بالصلاة عليه. ونسبة الصلاة إليه تعالى باعتبار أنه أمر يحتمل أنه يُراد من قوله (رحمه وضاعف أجره) من قبيل ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾، وهذه

---

١) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٢ باب (الصلاة على النبي محمد وأهل بيته) ح ٦.

الوجوه تجري في قوله تعالى: «**من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ آخر منهم**»[١]. انتهى.

والأخبار في ذلك متنوعة، ففيها التصريح بالتهديد والتوعيد على الترك، وفيها الترغيب ببيان فضل الله ورضوانه، وبيان الفوائد من قضاء الحوائج، وكفّارة الذنوب، وإجابة الدعاء، وذهاب النفاق، فلنختر منها خبرين مما في (الكافي): الثامن وهو حسن كالصحيح، والعاشر وهو صحيح، فيهما كمال أربعة أخبار في تحريرنا؛ تيمنا بعدد حروف اسمه صلى الله عليه وآله وسلم واخترت الثامن والعاشر ـ خصوصاً ـ لما فيهما من الفائدة الخاصة من إجابة الدعاء وذهاب النفاق، فدونك نص العاشر بعد حذف السند: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**كل دعاء يُدعى الله (عزّ وجل) به محجوب عن السماء حتى يصلّى على محمد وآل محمد**»[٢]. انتهى.

وإليك نص الثامن بحذف الإسناد: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**قال رسول الله: الصلاة علي وعلى أهل بيتي تذهب النفاق**»[٣]، انتهى.

وإليك نص حاشية [العلامة المجلسي على] الثامن:

[قال]: حسن كالصحيح، وإذهاب النفاق مشروط بالإقرار بفضلهم والاعتراف بإمامتهم، فتخلف ذلك في المخالفين لعدم تحقق الشرط، فإن

---

١) شرح أصول الكافي: ج ١٠ ص ٢٦٩.

٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٣ باب (الصلاة على النبي محمد وأهل بيته) ح ١٠.

٣) ن، م، ص ٤٩٢ ح ٨.

قبول جميع العبادات مشروط بالولاية، أو لوجود المانع وهو إنكار إمامتهم عليهم السلام، بل هم لا يفهمون معنى الصلاة عليهم، فإنه متضمن للإقرار بإمامتهم كما ستعرف، فهم لا يصلون حقيقة[1]. انتهى.

وبه انتهاء مُرادنا من الكلام على مقام الأخبار الواردة فيها، وهو ـ مما أشرنا إليه آنفاً ـ من المقامات الستة.

المقام الرابع: في الكلام على مواردها عموماً وخصوصاً:

فالأول: قد عرفته من نصوص أئمتنا عليهم السلام وفتوى فقهائنا «**كلما ذُكر أو ذكره ذاكر**».

والثاني: تُشعرك به بالنصوص الخاصة منهم عليهم السلام، فمنها الرضوي المتقدم: قوله عليه السلام: «**عند العطاس وعند الرياح**».

ومورد العطاس قد ذكره المجتهد الأكبر السيد محمد كاظم (رضوان الله عليه) ـ المتقدم ذكره ـ في (العروة)، فإليك نص عبارته في مسألة [٣٩] من مبطلات الصلاة [قال]: يستحب للعاطس ولمن سمع عطسة الغير ـ وإن كان في الصلاة ـ أن يقول: الحمد لله، أو يقول: الحمد لله، وصلى الله على محمد وآل محمد، بعد أن يضع إصبعه على أنفه.

وإليك بيانه بدليله من كلام مرجعنا الأعظم، سيدنا السيد محسن (مد ظله) في (المستمسك) مزيداً للفائدة، قال ما نصه:

---

١) مرآة العقول: ج ٢ ص ٩٨.

قوله: (يستحب للعاطس ولمن...) إجماعاً، على الظاهر.

والتعبير بالجواز في محكي كلام غير واحد يراد منه معناه الأعم، لا مقابل الاستحباب. كما يشهد به ـ مضافاً إلى ما دل على استحباب الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ صحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام : «**إذا عطس الرجل في صلاته فليحمد الله تعالى**»، وخبر أبي بصير: أسمع العطسة فأحمد الله تعالى وأصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا في الصلاة؟ قال عليه السلام : «**نعم، وإذا عطس أخوك وأنت في الصلاة فقل: الحمد لله، وصلى الله على النبي وآله، وإن كان بينك وبين صاحبك اليم**»[1]، انتهى.

وبهذا المضمون صرح الشيخ أحمد النراقي ـ المتقدم الذكر ـ في (المستند) وأنه مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وإليك بعضاً من كلمه الطيب شاهداً على ماقلناه: قال في أثنائه ما نصه:

وورد في بعض المعتبرة أنه «**من سمع العطسة فحمد الله تعالى، وصلى على نبيه وأهل بيته، لم يَشْكُ عينَه ولا ضرسه**». وكذا يجوز له ولكل عاطس أن يحمد الله تعالى ويصلي على النبي وآله[2].

ومثله قال السيد علي في (الرياض): وكما يجوز ـ بل يستحب ـ التسمية، يجوز له إذا عطس أن يحمد الله تعالى ويصلي على النبي وآله،

---

١) مستمسك العروة الوثقى: ج ٦ ص ٥٧٠.

٢) مستند الشيعة: ج ٧ ص ٦٥.

وأن يفعل ذلك إذا عطس غيره؛ للعمومات، وفي (المنتهى)[١] "أنه مذهب أهل البيت عليهم السلام"[٢].

ومن موارد استحباب الصلاة عليه:

حال الاحتضار، كما أفاده غير واحد باستحباب الصلاة على محمد وآله في أواخر حال الاحتضار؛ لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن «من كان آخر كلامه الصلاة علي وعلى علي دخل الجنة»[٣].

ومنهم العلامة النحرير الشيخ يوسف رحمه الله في (الحدايق) ما نصه: وفي الفقه الرضوي: «إذا حضر أحدكم الوفاة فأحضروا عنده القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٤]، انتهى.

وبه انتهاء مرادنا من الكلام على مقام موردها.

المقام الخامس: في كيفيتها عموماً وخصوصاً

فالشرط اللاّزم فيها مطلقاً هو ضم الآل عليهم السلام لاسمه صلى الله عليه وآله وسلم بأي كيفية كانت، فتقول: (اللهم صل على محمد وآل محمد) و (صلى الله عليه وآله) أو (اللهم صل عليه وآله) أو (صلى الله على محمد وآل محمد) ، وهي

---

١) منتهى المطلب: ج ١ ص ٣١٣ مسألة ٢٥.

٢) رياض المسائل: ج ٣ ص ٥٢٦.

٣) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٩٩ ب ٣٨ من (أبواب الذكر) ح ١.

٤) الحدائق الناضرة: ج ٣ ص ٣٦٩ في (آداب الاحتضار).

مروية في الركوع والسجود... وإليك نصها من (المستمسك) للسيد محسن (دام ظله) ، قال: وفي خبر أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام : «**من قال في ركوعه وسجوده وقيامه: "صلى الله على محمد وآل محمد" كتب الله تعالى بمثل الركوع والسجود والقيام**»... ثم قال (دام ظله) : ونحوهما غيرهما[١].

وله أيضاً، تنبيه في لزوم ضم الآل، يتأكد ذكره جداً سنداً لما قلناه فإليكه حرفياً من مبحث التشهد:

تنبيه: الظاهر التسالم على وجوب ضم الصلاة على الآل عليهم السلام إلى الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وفي (التذكرة) الإجماع عليه، كما تقتضيه النصوص الكثيرة المروية من طرق الخاصة والعامة، كصحيح ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... ـ إلى أن قال ـ وإذا صلى عليَّ ولم يُتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماوات سبعون حجاباً، ويقول الله تعالى: "لا لبيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تُصعدوا دعاءه إن لم يُلحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عترته"، فلا يزال محجوباً حتى يُلحق بي أهل بيتي**».

وعن صواعق ابن حجر روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**لا تُصلّوا عليّ الصلاة البتراء**» فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ فقال: «**تقولون: اللهم صل على محمد، وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد**».. ونحوهما غيرهما[٢]. انتهى.

---

١) مستمسك العروة الوثقى: ج ٦ ص ٣٤٠.

٢) مستمسك العروة الوثقى: ج ٦ ص٤٤١.

وكأن من هذه النصوص يُفهم أن الصلاة على النبي مهما كانت موضوعاً لحكم، فالمراد بها الصلاة عليه وعلى آله (صلوات الله عليهم).

ومن النصوص الخاصة من أهل البيت عليهم السلام أيضاً: ما في (الكافي) بحذف الإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول: "اللهم صل على محمد" فقال له أبي: [يا عبد الله] لا تبترها، لا تظلمنا حقنا، قل: "اللهم صل محمد وأهل بيته"»[1].

وحجّتنا بنصوص إخواننا السنّة أقطع لجدال الملتزم بالصلاة البتراء، فممن انتقد ذلك وأقام حجتنا: صاحب (الفتوحات المكية) وقد ذكر الشيخ سليمان القندوزي في مقدمة (الينابيع) من ذلك طرفاً جليلاً، فإليك من كلمه الطيب كلمات قيّمة نافعة في المقام تؤيد مذهب الحق بما نصه:

وفي أول (الفتوحات المكية) كتبها الشيخ الأكبر بيده عند ذكر علي (صلى الله عليه): فمن هذه الآيات والأحاديث عُلم أن لا تكون التصلية والتسليمة على الأنبياء والملائكة مختصاً لهم، ولدليل: مشروعية التصلية والتسليمة في الصلاة بأمره صلى الله عليه وآله وسلم: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد**»...

---

١) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٥ باب (الصلاة على النبي وأهل بيته) ح ٢١.

ثم بعد كلمات قال ما نصه: وإنما نشأ هذا القول بأنهما "مختصان للأنبياء والملائكة" من التعصب بعد افتراق الأمة، نسأل الله تعالى أن يعصمنا عن التعصب[١]. انتهى كلام صاحب (الفتوحات).

ثم روى الشيخ سليمان روايات في جهة الصلاة عليه ﷺ:

منها: نهيه ﷺ عن الصلاة البتراء من (جواهر العقدين) و (الصواعق).

ومنها: ما عن جماعة من المفسرين عن ابن عباس رحمه الله ، وهذا نصه: قال: ﴿آل يس﴾ آل محمد ﷺ ، و ﴿يس﴾ اسم من أسماء محمد ﷺ.

ومنها: ما رواه عن الإمام الرضا عليه السلام حين مُحاجّته للعلماء في مجلس المأمون، قال في آخره ما نصه: «**إن الله (تعالى) أعطى محمداً ﷺ فضلاً عظيماً؛ وذلك أنه لم يُسلّم على آل أحد من الأنبياء إلا آل محمد، فقال:**

---

١) ومن المتعصبين: العلامة الزمخشري المسمى بجار الله، فإنه قال في تفسير آية الصلاة على النبي في الكشاف[٣ ص ٢٧٣] ما مضمونه: فإن قلت: هل تجوز الصلاة على غيره؟ قلت: القياس من الآية يردها ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾ يقتضي جوازه، لكن للعلماء فيه تفصيل، فيجوّزن الصلاة على الآل إذا ذكروا مع النبي ﷺ ، وإذا أفردوا فهي مكروهة عندهم؛ لأنها صارت ـ الحق ـ شعاراً عندهم له ﷺ ، ولئلا يُتهم فاعل ذلك بالرفض، والنبي نهى عن مجالس التهم... واستشهد بنبوي على ذلك.

وأقول: يلزم جار الله أن يقول بالتحريم، فنهيُ النبي بإطلاقه يُحمل على الحرمة، ولكنه وإن لم يقل قولاً صريحاً فعمله وإخوانه من أهل السنة على الالتزام بكفاية الصلاة على النبي، فهو شعار أهل السنة، كما أن شعارنا الالتزام بضم آله عليهم السلام معه؛ امتثالاً لقوله ﷺ : «لا تصلوا علي الصلاة البتراء» ويفسرها ﷺ بترك الآل، والرواية واردة عندنا وعندهم، وممن رواها منهم: ابن حجر في (صواعقه). (منه رحمه الله) .

﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾، إن الله (تبارك وتعالى) **قال في قصة إلياس النبي: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ لو كان مراده تعالى هذا النبي لقال سلام على إلياس».**

ثم قال الشيخ سليمان ما نصه: إن قيل: إنه تعالى سلّم على جمع (إلياس)، قلنا: إن (إلياس) واحد لا متعدد، ومع أنه لو كان (إلياس) ثلاثة أو أكثر لقال (سلام على أل إلياسين) بالمعرّف باللام؛ لأن قاعدة الجمع بالتعريف باللام[1]. انتهى.

وبعده حقق بكلمه الجليل ورأيه القوي رأيَ الحق في توكيد ضم الآل معه ﷺ بالفصل بـ(على) أو بالواو ـ فقط ـ بالبرهان الواضح من كلمات النبي وآله المعصومين (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)، فأخذ في بيان ذلك حتى ذكر خطبة الحسن التي في مدحهم وفضلهم عليهم السلام، فمنه قوله عليه السلام: «**ولما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فقالوا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليك؟ فقال** ﷺ: "**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" فحق على كل مسلم أن يصلي علينا فريضة واجبة..** ـ إلى أن قال عليه السلام ـ **فأخرج جدي** ﷺ **يوم المباهلة من الأنفس أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين، ومن النساء فاطمة أمي، فنحن أهله ولحمه ودمه، ونحن منه وهو منّا، وهو يأتينا كل يوم عند طلوع الفجر**

---

١) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٧ ـ ٣٨.

فيقول: "الصلاة يرحمكم الله" وتلى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.. الخطبة»[١].

ثم أخذ الشيخ في رواية الأخبار الدالة على تمام اتصالهم عليهم السلام به، ومنها: الحديث النبوي المصرح بأن علياً عليه السلام كنفسه، والرضوي وفيه احتجاجه على ما ذكر بآية المباهلة، وبعد انتهائه قال الشيخ: فهذه خصوصية لهم لا يلحقهم فيها بشر، فمن هذه الدلائل ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم أدخل نفسه المقدسة المكرمة المباركة في آله، فمن صلى أو سلّم على آله كأنه صلى وسلم عليه، لأنه منهم وهم منه، ومن صلى أو سلم عليه بضم آله فقد أكمل الصلاة والسلام عليه[٢]، انتهى.

فتدبره ففيه مصباح الحق بحسن الإنصاف، فلا طريق موصل إلى الحقيقة إلاّ بترك التعصب والاعتساف، فالعجب من المسْلِمين المسَلّمين للنبوي المصرح بالتخلّي عن الصلاة البتراء، كيف يتخذون ترك الآل في الصلاة على النبي شعاراً مع التزامهم بمودتهم عليهم السلام في ظاهر المذهب السنّي بإلزام آية المودة وأمثالها، ولقد عجبت من جار الله الزمخشري حيث يوجّه سؤاله في تفسيره آية الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم فيقول ما معناه: هل تجوز الصلاة على غيره صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟ فيجيب بجواز ضم الآل مع إسمه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة عليه، ويكره الصلاة على كل فرد منهم منفرداً، أو عليهم جميعاً، معللاّ بأن

---

١) ن، م، ص ٤٠ ـ ٤١.

٢) ن، م، ص٤٣.

ذلك شعار ذكر رسول الله ﷺ ، مع أنه يقول بجواز الصلاة على آحاد المؤمنين بمقتضى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[١] وأمثالها، وفي معناها من السنة كثير، ولكنه يكرهه بتعليل آخر وهو أنه يتهم المصلي عليهم بالرفض والنبي ﷺ نهى عن موارد التهمة[٢].

فليلتفت المنصف بعين بصيرته كي يفرّق بين أقوال هؤلاء الأجلاء العلماء كي يعرف ما في كلام صاحب (الفتوحات) من نور الحق بتصريحه باستحباب الصلاة على غير النبي ﷺ وفق الكتاب والسنة، وبيانه حصر الالتزام بالترك في التعصب، ويتبصر في كلام الشيخ سليمان ليرى فيه نبراس العدل الهادي إلى الحق مع إثبات الخصوصية بالصلاة عليهم، وأن لا كمال للصلاة على سيدهم إلا بضمهم، حتى يعرف المنصف ما في كلام جار الله من الإجحاف علينا، بل على الدين الإسلامي، فإن المسلمين يرون ودهم عليهم السلام من ضروريات مذهبهم، فليست كراهة الصلاة عليهم إلاّ الضد لودهم، ورفضاً لأوامر الله ورسوله، ولعل الزمخشري حرَّر كراهة الصلاة بمداد أسود مظلم، حيث اكتحلت بها بصيرته عندما علَّل الكراهة باتهام المصلي بالرفض.

ومما يصرح بجواز الصلاة ـ بل باستحبابها ـ على أهل بيته منفردين، ما في (منتخب كنز العمال) ، وهذا نص ابن عساكر: عن أنس «**اللهم إنك**

---

١) سورة الأحزاب: الآية ٤٣.

٢) الكشاف: ج ٣ ص ٢٧٣.

جعلت صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وآل إبراهيم، اللهم إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم... يعني علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً»[١].

فكان ما ذكره موافَقة لناصبي العداوة للمعصومين وإلا لو عمل بعمله لحرر مثلما حرر في غير موضع من كتبه من الالزام بحبهم عليهم السلام بفرض الكتاب والسنة كما فرضه الجلّ من علماء السنة، وهو من أجلهم، وقد حرر الفوائد القيّمة في ذلك، منها: ما نقلناه عنه من (البيان) في كتابنا (النظرة النفسية) حول النبوي «**حب علي حسنة لا تضر معه سيئة**» ما رواه من الحديث القدسي: «**لأدخلن الجنة من أطاعني**» ، فراجعه في الشعاع الرابع والعشرين[٢].

وفيه أيضاً تحقيق جليل وأخبار قيّمة من الفريقين في حبهم عليهم السلام ، ولا شك أن الالتزام بالصلاة عليهم عند ذكرهم عليهم السلام من شعار الموالين، ولا شك في استحبابه؛ لما عرفت من الآيات والأخبار.

ولا يخفى أن المورد لا يخصص الوارد، فاستحباب الصلاة على عموم المعصومين من آله عليهم السلام ثابت عندنا ـ بلا ريبة ـ بالعمومات من الأخبار المروية عنه.

---

١) منتخب كنز العمال: ص ١٣٢.

٢) النظرة النفسية: ص ١٧٩ ـ ١٨٦، وانظر: الشعاع الحادي عشر: ص ٦٣ ـ ٧١.

ومن أدلة ضم الآل مع سيدهم ﷺ في الصلاة عليه: ما ورد في بيان كيفية الصلاة، وهي على أنحاء من طرقنا وطرق الجمهور، فمن ذلك: ما رواه الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول)[1] فإليك نصه: عن ابن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي إليك هدية سمعتها من رسول الله ﷺ ؟ قال: قلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

فتدبره فإنه تأييد للنهي عن الصلاة البتراء.

ومثله كثير، ولسنا بصدد البسط.

وفيما قدمناه من كلام السيد (مد ظله) من التسالم على ضم الآل في الصلاة، وما عرفته من كلام إخواننا أهل السنة في ذلك كفاية، وإنما تعرّضت هنا لما حررته عن الزمخشري من كراهة الصلاة عليهم (عليهم صلاته وسلامه) منفردين، وجوازها عليهم منضمّين مع سيدهم، مع أنه وجميع إخواننا أهل السنة شعارهم الصلاة البتراء، فكيف يعلل الزمخشري كراهة الصلاة عليهم عليهم السلام منفردين بالاتهام بالرفض، مع أن شعار الشيعة في الموردين الصلاة عليهم، فما هذا التفكيك؟! وما هو إلا تناقض عكس ما يعلمه؛ لما عرفت مما أفدناك بما حرره في حبهم عليهم السلام في غير موضع من

---

١) مطالب السؤول: ص ٢٢.

كتبه، ولكنه كتب ما يريده لا ما يعلمه من حيث اكتحال بصيرته بظلم وجهل كما اكتحلت في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾، قال الثقة المحسن الكاشاني في تفسيرها ما نصه: قال الزمخشري في (كشافه) : ومن البدع: ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فأنصب بكسر الصاد، أي فأنصب علياً عليه السلام للإمامة، قال: ولو صحّ هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا أو يجعله أمر بالنُصب الذي هو بغض علي عليه السلام وعداوته[١].

ثم قال (رضوان الله عليه) : أقول: نصب الإمام والخليفة بعد تبليغ الرسالة والفراغ من العبادة أمرٌ معقول بل واجب؛ لئلا يكون الناس بعده في حيرة وضلال، فيصح أن يترتب عليه. وأما بغض علي وعداوته فما وجه ترتبه على تبليغ الرسالة والعبادة؟! وما وجه معقوليته؟! على أن كتب العامة مشحونة بذكر محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام وإظهار فضله للناس مدة حياته، وأن حبه إيمان وبغضه كفر[٢]. انتهى.

انظروا إلى هذا الملقب بجار الله العلاّمة كيف يقول في مثل هذا المقام حتى أتى بمثل هذا المنكر والزور، بلى إنها ﴿لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن

---

١) الكشاف: ج ٤ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ في تفسير سورة الشرح، الآية ٧.

٢) تفسير الصافي: ج ٥ ص ٣٤٥. وقال في الوافي: ج ٢ ص ٣٢١: انظروا إلى هذا الملقب بجار اللَّه العلامة مع براعته في العلوم العربية؛ كيف أعمى اللَّه بصيرته بغشاوة حميّة التعصب في مثل هذا المقام حتى أتى بمثل هذه الترهات، بلى إنها ﴿لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

﴿تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، ولعمري لقد صدق شيخنا المحسن (رضوان الله عليه) فيما قاله من وجوب نصب الأمام واعتراف إخواننا أهل السنة بفضله عليه السلام ، غير أنه (أعلى الله مقامه) سيطرت عليه غيرة الإيمان فلم يملك عنان قلمه في حق جار الله، ولو سامحه ودعا له لكان أولى، والأحسن له أن يخاطبه وغيره بقول الإمام الشافعي صاحب المذهب:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقـلان أنـي رافضي

وليقل له:

أفي الفرق الهلاّك آل محمد أم الفرق الناجين أيهما قل لي

وكيف يتأتى فيهم الشك وهم أهل آية التطهير وآية المباهلة، والقربى، وسورة ﴿هَلْ أتَى﴾، وأحد الثقلين، والأمان الأكبر، وسفينة نوح، وباب حطة، والروايات في ذلك عند الفريقين من المسلمات، فأي مسلم بعدها يصح له بغضهم؟ ولذا إخواننا السنة يصرّحون بحتم ودهم عليهم السلام ومنهم جار الله ـ كما أفدتك ـ والظاهر أن غلطته في تفسير الآيتين جرت من غضبه على الشيعة لا على أئمتهم عليهم السلام فإني أحاشيه.

ومن سبر كتبه ـ سيما (ربيع الأبرار) ـ عرف أن مقتضى ما كتبه مما يَعلمه في أهل البيت عليهم السلام التشيع، لكن الموانع منه لعلها متينة، ولعل شيخنا الكاشاني لم يستقص ذلك، فكتب ماكتبه في حقه وكأني بلسان حميّة

شيخنا على المذهب الشيعي يدفع اللاّئمة عنه بقوله ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[١].

فبمَ ينقم الناقمون من السنة على الشيعة ؟ ونحاشي إخواننا أن يعدّوا موالاة أئمتنا جريمة، بعد اعترافهم بفرض ودهم عليهم السلام ، وما أدري ما هذا التنابز منهم لنا بالرفض وغيره، وما جريمتنا إلا موالاة من أمر الله ورسوله بموالاتهم ومعاداة أعدائهم، وقد عَرَفَتْ السنَّة اتفاقهم معنا في هذه الأوامر من النصوص النبوية، والظاهر أن من جرائمنا عندهم عدم اتفاقنا معهم في تصحيح إمرة معاوية وأمثاله من الأمويين والعباسيين المعلنين بسب أمير المؤمنين عليه السلام وولده المعصومين عليهم السلام ، والمتعرضين لهم بأنواع الأذى من القتل والسم والسلب والتمثيل.

أبادوهم قتلاً وسمّاً ومُثلةً كأن رسول الله ليس لهم أبُ

فهؤلاء يُدعون عند الجمهور بأمراء المؤمنين وخلفاء سيد المرسلين مع روايتهم النبوي (الخلافة بعدي ثلاثون سنة وما بعدها ملك عضوض)[٢]، وتسليمهم النبوي المروي من طرق الفريقين: «الخلفاء اثني عشر» وأنهم عدول بل في أخبار الجمهور أنهم مطهرون معصومون، وتكفينا آية التطهير حجة، فكيف جواز خلافة الأمويين وهم أربعة عشر والعباسيين وهم خمسة

---

١) سورة البقرة، الآية ١٤٩.

٢) أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه غير واحد من حديث سفينة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً». فتح الباري: ج ٨ ص ٦١.

وثلاثون، وفيهم من حارب الله والرسول ونفسَه علياً بنص الكتاب، وقتلَ سيد شباب أهل الجنة سمّاً وذبح وسبى ذرية النبي ﷺ ومثّل بوُلْده قتلاً وسلباً وأسراً، فما مضى من أئمة الهدى إلاّ مسموم أو مقتول، فأنصِفنا ـ أيها القارئ ـ من جار الله وأمثاله، أفيصحّ أن يعيَّرنا بالرفض حيث رفضنا الباطلَ وأهلَه وتمسكنا بالثقلين، فكنّا من الداخلين في باب حطة، فيا حبذا أن نكون مَعرضاً للأذى منه ومن أمثاله باتباعنا آل نبينا المعصومين، وتعظيمنا شعائرهم ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1].

ولا شك في ذلك بما أنه من شعارنا والتزامنا من الصلاة عليهم منفردين ومنضمين مع سيدهم، أدامه الله لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وكبت به الكارهين له. وقد أفدناك بكيفية الصلاة العامة، وتقدمت روايتان من طرق الجمهور في كيفيتها الخاصة، وأما من طرقنا فمنها الواجب في التشهد، ولابد من الصورة الخاصة (اللهم صل على محمد وآل محمد)، ومنها:

ما رواه الشيخ البهائي في (مفتاح الفلاح) عن النبي ﷺ وقد سُئل عن كيفية الصلاة عليه ﷺ ما نصه: فقال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد..**»[2].

ومن ذلك: ما رواه الشيخ الجليل النيسابوري المتقدم ذكره في (مجلس الصلاة على محمد وآله) فدونك نصه: قال الباقر عليه السلام: «**إذا صليت العصر**

---

١) سورة الحج، الآية ٣٢.

٢) مفتاح الفلاح: ص ٢٨ ـ ٢٩ في (الأذان وصوره).

يوم الجمعة فقل: (اللهم صل على محمد وآل محمد الأوصياء المرضيين بأفضل صلواتك، وبارك عليهم بأفضل بركاتك، والسلام عليهم وعلى أرواحهم وأجسادهم ورحمة الله وبركاته) فإن من قالها بعد العصر كتب الله له مائة ألف درجة»[١]، انتهى.

وقد أوردها الشيخ الكفعمي في (المصباح) في تعقيب عصر الجمعة بأن تُقال سَبعاً[٢].

ومما ورد بلفظ مخصوص لأثر مخصوص:

ما في (الكافي) عن الصادق عليه السلام بحذف الإسناد، قال: «من قال: (يا رب صل على محمد وآل محمد) مائة مرة قُضيت له مائة حاجة، ثلاثون للدنيا»[٣]. انتهى.

ومما أستطرفُه أيضاً من الكيفيات المخصوصة: ما في الدعاء الثاني من (صحيفة السجاد) عليه السلام في خصوص الصلاة على جده صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في أثنائه ما نصه: «**اللهم فصل على محمد أمينك على وحيك ونجيبك من خلقك وصفيك من عبادك، إمام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة...**».

ولعل طالب الحقيقة يطمع في شرح هذه الفقرات الكبيرة فإني لا أجدني إلا مجيبه.

---

١) روضة الواعظين: ص ٣٢٣.

٢) مصباح الكفعمي: ص ٤٢٢.

٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٣ (باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته) ح ٩.

ومن واضح البيان كلام السيد الصدر المتقدم الذكر، قال في الروضة الثانية في شرح قوله عليه السلام: «وأمينك على وحيك» ما نصه:

والمراد بكونه أمينا على وحيه تعالى: قوته على ما كلف به من ضبط الوحي في ألواح قواه الشريفة بحكم الحكمة الإلهية بها عليه، وكمال استعداد نفسه الطاهرة لأسرار الله وعلومه، وحكمه، وحفظه لها، عن ضياعها، وصيانتها عن تدنسها بأذهان غير أهلها، وعدم تطرق تبديل أو زيادة أو نقصان إليها، إذ كان من شأن الأمين قوته على ضبط ما يستأمن عليه، واستعداده له وحفظه وصيانته عن التلف والأدناس والتبديل والزيادة والنقصان، ولهذا السر كانت العرب تسميه بالأمين قبل مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لما شاهدوه من أمانته، وشهر بهذا الاسم قبل نبوته وبعدها.

ثم بين (أعلى الله مقامه) معنى «**نجيبك من خلقك**» وملخصه:

أن معنى نجيب: كريم، وهو فعيل بمعنى فاعل، أو أنه بمعنى مفعول، فيكون معناه هو الخالص، أي خلاصة الخلق[1].

وبعده قال (رضوان الله عليه) ما نصه: في نسخة ابن إدريس: «**نجيك من خلقك**» ـ بالياء المثناة من تحت مشددة، بعد الجيم ـ وهو فعيل، من النجوى بمعنى السر، يقال: ناجيته أي شاورته، وهو نجي فلان مناجيه دون أصحابه، وقال ابن الأثير في (النهاية) في حديث الدعاء: «اللهم بمحمد نبيك وموسى نجيك»: هو المناجي المخاطب للإنسان والمحدث له، كذلك

---

١) رياض السالكين: ج ١ ص ٤٥٥.

ناجاه يناجبه مناجاة فهو مناج، والنجي فعيل منه وقد تناجيا مناجاة وانتجاه، ومنه الحديث «لا يتناجى اثنان دون الثالث» ، وفي رواية «لا ينتجي اثنان دون صاحبهما» أي لا يتشاوران منفردين؛ لأن ذلك ليسوؤه منه. ومنه حديث علي عليه السلام : «دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد أطال نجواه، فقال: ما انتجيته ولكن الله انتجاه» أي أن الله تعالى أمرني أن أناجيه[1]. إلى هنا كلام ابن الأثير.

ثم أخذ السيد في بيان معنى قوله عليه السلام: «وصفيك» ، ومضمونه:

أنه محتمل معنيين: إما بمعنى مصطفى أي المختار، فهو من الاصطفاء، أو بمعنى الحبيب المصافي، من صافاه الود.. وبعد بيانه المعنى اللغوي قال ما نصه: وانتجاب الله واصطفاؤه له عليه السلام وكذلك مصافاته له عليه السلام جعله[2] صفوة خلقه وعباده يعود إلى إفاضته الكمال النبوي عليه بحسب ما وهبت له العناية الإلهية من القبول والاستعداد، ويحتمل أن يكون المراد باصطفائه تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم جعله صفوة خلقه وعباده، أي خيرتهم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من

---

١) النهاية في غريب الحديث: ج ٥ ص ٢٥ مع اختلاف يسير.

٢) هكذا في النسخة، والأولى أن تعطف بواو؛ لأن خبر المبتدأ وهو قوله (انتجاب الله) قوله: (يعود)، والمعطوفات على المبتدأ في حكمه، اللهم إلا أن يقال: إن لفظة (جعل) عطف بيان لسابقتها. (منه رحمه الله) .

ولد هاشم».

ثم تكلم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان إمام الرحمة، وبيّن معنى الإضافة أنها بمعنى الاختصاص، والمعنى: الإمام المختص بالرحمة، أو بمعنى (من) البيانية، أي إمام من جنس الرحمة، والمعنى: الإمام الذي هو الرحمة.

ثم أخذ في بيانه، وقال: وفي الحديث «أنا نبي الرحمة» وفي آخر «إنما أنا رحمة مهداة». وتفصيل هذه الرحمة من وجوه... وذكر سبعة فلنحررها ملخصة اختصاراً:

أولها: أنه ﷺ الهادي إلى الرشاد، فبسببه وصول من آمن به إلى علو المقاصد والرضوان والجنان، وهو غاية الرحمة.

والثاني: خفة تكليف شريعته ﷺ بالنسبة إلى شرائع السابقين من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

الثالث: رحمة ربه لعُصاة أمته بشفاعته ﷺ .

الرابع: رفع الله عذاب الاستئصال عن أمته.

الخامس: وضع الله الرخص في شريعته ﷺ .

السادس: قبوله ﷺ الجزية من أعدائه من أهل الكتاب، وهي خصوصية له .

السابع: تأخير العذاب عمن كذّبه إلى الآخرة، وهذا أيضاً من خصوصياته ﷺ .

انتهى مضمون الوجوه، وهي كثيرة لا تكاد تُحصى[١].

ولعلك تسأل عن معنى الرُخص في شريعته ﷺ، فإليك بيانها بمؤدى نظري القاصر: الظاهر أن الرخصة ضد العزيمة أي الحتم كما نسمع من بعض عبارات الفقهاء في سقوط الأذان والإقامة أو الأذان وحده مثلاً، فيقول السيد محمدكاظم اليزدي قُدِّسَ سِرُّهُ في ذكر موارد السقوط: الثاني: الداخل في المسجد للصلاة منفرداً أو جماعة وقد أقيمت الجماعة حال اشتغالهم... ـ إلى أن قال ـ على وجه الرخصة لا العزيمة على الأقوى... .

ويقول (رضوان الله عليه) بالسقوط في الداخل في جماعة قد أذّنوا لها وأقاموا وإن لم يسمعهما ولم يكن حاضراً حينهما، أو كان مسبوقاً، بل مشروعية الإتيان بهما في هذه الصورة لا تخلو عن إشكال[٢].

ويقول السيد محسن (مد ظله) : والأظهر عدمها، ويَجري عنده الاحتياط في الصورة السابقة بالإتيان بهما برجاء المطلوبية مع تقريبه العزيمة، فهو يوافق الحجة الميرزا النائيني.

وبعض الفقهاء يرون المنع محتوماً، وهو معنى العزيمة التي بيّناها في مقابل الرخصة، فلا معنى للاحتياط في مقام يجزم الفقيه بالمنع الحتمي، وربما يتوقف بين الرخصة والعزيمة فيجري عنده الاحتياط برجاء المطلوبية لا على سبيل الجزم بالخصوصية، كما عرفت الفرق بين الصورتين.

---

١) رياض السالكين: ج ١ ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

٢) العروة الوثقى: ج ١ في الأذان والإقامة (موارد سقوط الأذان والإقامة، مسألة ٣).

وبالجملة، إن الرخصة هي تسهيل الأمر من الآمر به، [وهي] ضد العزيمة، فهي حتمه بالمأمور حينما يرخّص له الآمر بالأمر يكون فيه بالخيار، أي ليس محتوماً عليه فعله ولا تركه، وربما كان مندوباً، وربما كان شرطاً لواجب عوضاً عن شرط أثقل منه، كما في غسل الجمعة أو الوضوء فيها ـ بناء على كفاية مطلق الأغسال ـ واجبها ومندوبها ـ عن الوضوء المشروط بالطهارة، كما هو رأي كثير من الفقهاء ومنهم فقيه العراق الحجة المقدس الشيخ محمد رضا آل ياسين (المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ).

وربما كان من أدلة المسألة: النبوي، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، من اغتسل فالغسل أفضل**»[١].

والمعنى ـ كما قال ابن هشام في (القطر) ـ: من توضأ يوم الجمعة فبالرخصة أخذ، ونعمت الرخصة الوضوء[٢]، انتهى.

ووجه الدلالة: أنه قد أثبت الأفضلية للغسل، فالوضوء مفضول، فلا شك أن الأفضل أرجح، فعليه أنه مُغنٍ عن المرجوح.

ومن أدلة المسألة عند القائلين بها: صحيحة محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام: «**الغسل يجزي عن الوضوء، وأي وضوء أطهر من الغسل**»[٣].

---

١) سنن الترمذي: ج ٢ ص ٣٦٩ ح ٤٩٧، سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٣٤٧ ح ١٠٩١، سنن أبي داود: ج ١ ص ٩٧ ح ٣٥٤، سنن النسائي: ج ٣ ص ٩٤، سنن الدارمي: ج ١ ص ٣٦٢.

٢) قطر الندى وبل الصدى: ص ٢٨ في (أقسام الفعل).

٣) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٢٤٢ باب ٣٣ من أبواب (الجنابة) ح ١.

وفي صحيحة ابن حكيم: «**أي وضوء أنقى من الغسل**»[١]، انتهى من المستند[٢].

فهي واجبة غيرية على ما هو المعروف فيما اشترط به.

ويستنبط من الحديث أيضاً نفي وجوب الغسل، فهو مندوب، أطبق عليه جل العلماء إن لم نقل الكل، وفيه شاهدنا على ما بيّناه من قضية الرخصة والعزيمة؛ إذ هو ليس بالمحتوم، ولا ينافي كفايته عن شرط المشروط بالطهارة، فإن الشرط لا يلزم كونه واجباً لذاته.

نعم، يتصف بالوجوب لغيره، فالمشروط بالطهارة تجب له الطهارة، فالطهارة تتحقق وإن كانت مندوبة في نفسها، فإذا حصلت تحقق الشرط للمشروط، سواء كان تخييرياً كما في الأغسال المندوبة والوضوءات، أم كان عينياً كما في الأغسال الرافعة للحدث، فهي واجبة غيرية على ما هو المعروف، إذ ليس فيها واجب لذاته إلا على قولٍ. فهي ـ بالنظر إلى ما يتوقف عليها من العبادات وغيرها ـ واجبة ومندوبة لنفسها، ولو للكون على الطهارة الثابتة شرعيتها، وللمندوب أيضاً.

وكذلك الوضوء يكون واجباً عينياً للمشروط بالطهارة ـ بناء على ما هو المشهور منه عدم كفاية غير غسل الجنابة من الأغسال في رفع الحدث الأصغر ـ ومندوباً للمندوبات، ومنها: الطهارة.

---

١) ن، م، ص ٢٤٧ باب ٣٤ ح ٤.

٢) مستند الشيعة: ج ٢ ص ٣٦٠.

وهذه الفائدة الفقهية حصَلَت ـ بتوفيق الله ومنه تعالى ـ ببركة تعرضنا لكلمات السيد صدر الدين في شرح كلمات جده السجاد عليه السلام في وصف جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إمام الرحمة. فإليك بعضاً من شرحه (رضوان الله عليه) أيضاً لقول جده صلى الله عليه وآله وسلم : «وقائد الخير»، فإنه (رضوان الله عليه) بعد شرحه اللغوي لـ(القائد) وبيانه معنى (الخير)، اختار ما هو الحق، فقال ما نصه:

والحق أن الخير كله يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة كما يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام «**افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً فإن صغيره كبير وقليله كثير**»، ويؤيده ما في بعض الأخبار «**يخرج منها** ـ أي من جنسهم ـ **قوم لم يعملوا خيراً قط وهؤلاء الذين ليس معهم الإيمان**»[1]. انتهى.

ويقابله الشر، فيكون كلياً تندرج تحته جميع الأعمال السيئة، وإضافة (القائد) إلى (الخير) من إضافة الفاعل أو المفعول، وفيه استعارة لطيفة، فإن (القائد) لما كان من شأنه أن يقود الدابة حتى يصل بها إلى الموضع المقصود، وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد جاء بالخير وواصله إلى الخلق، لا جرم حسنت استعارة القائد له[1]. انتهى.

ثم قال (رضوان الله عليه) ما نصه: قوله عليه السلام : «ومفتاح البركة» المفتاح مايفتح به المغالق، والمفتح مثله، وكأنه مقصود من الأول، وجمع الأول مفاتيح، والثاني مفاتح ـ بغير ياء ـ.

---

١) رياض السالكين: ج ١ ص ٤٦٠.

والبركة ـ محرّكةً ـ : النماء والزيادة والسعادة، وفيه استعارة بديعة جداً؛ وذلك أن الكفر والضلال لما كانا مانعين عن نماء الأعمال وسعادة الدارين شبّههما بالمغلاق الذي يمنع من الدخول إلى الدار، ولما كان ﷺ دافعاً للكفر وماحياً للضلال، وكان سبباً للإقدام على استفادة الخيرات الزاكية، والسعادات النامية، شبهه بالمفتاح[1]. انتهى .

وهذا نهاية شرح ما حررناه من كلمات السجاد عليه السلام في كيفية الصلاة على جده محمد ﷺ .

ومما يسرني ويشرفني تحرير كلمات جليلة تفيد في المقام من خطبة أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) التي علّم فيها الناس الصلاة على النبي ﷺ ، قال عليه السلام : «**اللهم داحي المدحوات...**» وأخذ في الثناء على الله تعالى حتى دعاه بقوله: «**اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتِم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق..**» وأخذ في بيان فضائله ﷺ حتى قال عليه السلام : «**فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبيعتك بالحق، ورسولك إلى الحق. اللهم افسح له مفسحاً في ظلك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك، أعل على بناء البنائين بناءه، وأكرم لديك منزله، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطبة**

---

١) ن، م، ص ٤٦٠ ـ ٤٦١.

فصل... الخطبة»[١].

وإليك بعضاً من شرحها مما اجتنيناه من كلمات العلامة المعتزلي المتقدم الذكر تتميماً للخير، قال ما نصه: «**فهو أمينك المأمون**» أي أمينك على وحيك، والمأمون من ألقاب رسول الله ﷺ ، واستشهد على ذلك ببيت كعب [ابن زهير]...

إلى أن قال: والعلم الإلهي المخزون هو ما اطلع الله عليه ورسوله من الأمور الخفية التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية، كالملاحم، وأحوال الآخرة، وغير ذلك؛ لأن الأمور الشرعية لا يجوز أن تكون مخزونةً عن المكلفين.

وقوله عليه السلام: «**وشهيدك يوم الدين**» أي شاهدك، قال سبحانه: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾[٢].

ثم أخذ في البيان إلى أن قال: وقوله عليه السلام «**في ظلك**» يمكن أن يكون مجازاً كقولهم: "فلان يشملني بظله"، أي بإحسانه وبره. ويمكن أن يكون حقيقة، ويعني به الظل الممدود الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ**﴾[٣].

وقوله عليه السلام : «**وأعل على بناء البانين بناءه**» أي اجعل منزلته في دار الثواب أعلى المنازل.

---

١) نهج البلاغة: ج ١٢١ ـ ١٢٢ الخطبة رقم ٧٢.

٢) سورة النساء، الآية ٤١.

٣) سورة الوقعة، الآيتان ٣٠ ـ ٣١.

«وأتمم له نوره» من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[١] وقد روي أنه تُطفى سائر الأنوار إلا نور محمدٍ.

ثم يعطى المخلصون من أصحابه يبصرون بها مواطئ الأقدام فيدعون إلى الله تعالى بزيادة تلك الأنوار وإتمامها، ثم إن الله تعالى يتم نور محمد فيستطيل حتى يملأ الآفاق، فذلك هو إتمام نوره ﷺ.

إلى أن قال: «وخطبة فصل» أي يخطب خطبة فاصلة يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[٢] أي فاصل يفصل بين الحق والباطل، وهذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في الكتاب فقال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[٣]، وهو الذي يشار إليه في الدعوات في قولهم: (اللهم آت محمداً الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود).

ثم بعد انتهائه من الشرح وجّه سؤالاًوجواباً في جهة الصلاة على النبي ﷺ ذكر فيه بعض مضمون ما تقدم من معنى الصلاة من الإكرام والتبجيل والتعظيم من الله تعالى لنبيه ﷺ، ومنه استشهاده بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾[٤] فيقول: إن الصلاة من الله هو رفع منازل المكلفين في الآخرة. ومن الملائكة الدعاء لهم بذلك...

---

١) سورة التحريم، الآية ٨.

٢) سورة الطارق، الآيتان ١٣ ـ ١٤.

٣) سورة الإسراء، الآية ٧٨.

٤) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

ثم ذكر الخلاف في الصلاة على النبي ﷺ من الوجوب والندب بمثل بعض ما قدّمناه... ومنها: وجوبها عند الشافعي وأصحابه في الصلاة، وذكر اختلافهم في وجوبها على الآل، وأن أكثرهم على كونها واجبة وشرط...

ثم ذكر سؤالاً وجواباً في جواز الصلاة على غير النبي ﷺ فأجازه بموجب قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾... وذكر أن علماء السنة كرهوا ذلك... حتى قال: وأما أصحابنا من البغداديين فلهم اصطلاح آخر وهو أنهم يكرهون إذا ذكروا عليا عليه السلام أن يقولوا: (صلى الله عليه) ولا يكرهون أن يقولوا (صلوات الله عليه) ، وجعلوا اللفظة الأولى مختصة بالرسول ﷺ ، وجعلوا اللفظة الثانية مشتركة فيها بينهما عليهما السلام، ولا يطلقوا لفظ الصلاة على أحد من المسلمين إلا على علي وحده[1].

انتهى مرادنا من كلامه.

فتدبره ففيه تأييد لحجتنا المقدمة على كارهي الصلاة على آله، فالخير بالخير حاصل، وهو قد حصل ببركة الكلام على كيفية الصلوات على النبي ﷺ وبه ختام ما أردناه من ذلك.

المقام السادس: في الكلام على تشبيه الصلاة عليه وعلى آله بالصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم وما ورد من الإشكال من أن أفضلية المشبه به

---

١) شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ١٤١ ـ ١٤٥.

على المشبه تقتضي أفضلية إبراهيم وآله على النبي وآله، فلعلمائنا في ذلك وجوه:

منها: ما ذكره بهاء الملة والدين محمد المتقدم الذكر، فإليك نصه من (مفتاح الفلاح) عند ذكره كيفية الصلاة على النبي ﷺ التي فيها التشبيه المذكور، قال (رضوان الله عليه) :

وينبغي إذا قلت أن تلاحظ أنه من جملة آل إبراهيم، فالصلاة عليه حاصلة أولاً في ضمن الصلاة على آل إبراهيم ويكون الغرض من التشبيه أن يختص بنبينا وآله ﷺ بصلاة أخرى على حِدَةٍ مماثلة للصلاة التي عمّتهم مع غيرهم؛ لئلا يلزم خلاف القاعدة المقررة بين البلغاء في أنه لابد من كون المشبه به أقوى، فإنَّ نبينا ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام، وبتلك الملاحظة ينطبق الكلام على تلك القاعدة، إذ لا ريب أن الصلوات العامة للكل من حيث العموم أقوى من الخاصة بالبعض... إلى آخره.

وفيه وجوه أخر، والوجه المذكور ذكره السيد (رضوان الله عليه) في (الأنوار) وذكر معه وجوه ثمانية، فجدير أن نحرر ما نجتبيه منها:

قال (رضوان الله عليه) ما نصه:

ثالثها: أن مطلوب كل مصلٍّ المساواة لإبراهيم عليه السلام في الصلاة، فكل منهم طالب صلاة متساوية للصلاة على إبراهيم، وإذا اجتمعت هذه المطلوبات كانت زائدة على الصلاة على إبراهيم.

ورابعها: أن الدعاء إنما يتعلق بالمستقبل، فمتى وقع تشبيه بين لفظين فإنما يقع بالمستقبل، ونبينا محمد ﷺ كان الواقع قبل هذا أنه أفضل من إبراهيم عليه السلام ، وهذا الدعاء يطلب منه زيادة على هذا الفضل مساوية لصلواته على إبراهيم، فهما وإن تساويا في الزيادة إلا أن الأصل المحفوظ خال من معارضة الزيادة... ثم ذكر (أعلى الله مقامه) وجوهاً ثلاثة، ثم قال ما نصه:

وثامنها: أن القوة في التشبيه هنا ترجع إلى الظهور والوضوح، والصلاة على إبراهيم عليه السلام ظاهرة مشهورة عند أرباب الملل والأديان، إجابة لدعائه عليه السلام حيث قال: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآَخِرِينَ**﴾[1] يعني ذِكراً جميلاً، ومن هذا كانت الأنبياء ينسبون أنفسهم إليه وإلى دينه، فيكون هذا التشبيه في باب قوله تعالى ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ**﴾[2] لأن نور المشكاة محسوس مشاهد لكل أحد.

وتاسعاً: أن الكاف للتعليل مثلها في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾[3]. انتهى.

وفي هذا القدر كفاية وبه النهاية، وهو سادس المقامات المعدودة آنفاً، والحمد لله الذي وفقنا لخدمة نبيه وآله الطاهرين.

---

١) سورة الشعراء، الآية ٨٤.

٢) سورة النور، الآية ٣٥.

٣) سورة البقرة، الآية ١٩٨. انظر: الأنوار النعمانية: ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤٢ (نور صلواتي) .

الآية التاسعة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

قال أمين الإسلام في تفسيرها ما نصه:

معناه: وسيعطيك ربك في الآخرة من الشفاعة والحوض وسائر أنواع الكرامة فيك وفي أمتك ما ترضى به.. ثم استشهد بروايات أربع، أختارُ تحرير ثانيتها: قال (رضوان الله عليه) ما نصه: وعن الصادق عليه السلام قال: «**دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وعليها كساء من ثَلّة الإبل، وهي تَطحن بيدها وتُرضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله لما أبصرها فقال: يا بنتاه، تعجلّي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علي ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾**[1]، انتهى.

وإن الألمعي ليعرف سر اختيارنا لهذه الرواية؛ وما هو إلا لما أشارت له الرواية من زُهد السيدة فاطمة الزهراء الصديقة المباركة الطاهرة الزكية الراضية المرضية المحدثة ـ أسماء تسعة ميمونة شريفة صادقة ـ ألا وهي السيدة المكنّاة بأم أبيها، هي أم الحسنين، هي أم التسعة المعصومين، بنت النبي المصطفى، زوجة الإمام المرتضى، هي منبع الرحمة وجوهرة العصمة، هي أزهد الزاهدات، خامسة أهل الكساء، من لولاهم ماخلق الله شيئاً، وكفاها فضلاً آية التطهير، والقربى، وسورة ﴿هَلْ أَتَى﴾ ، وآية المباهلة، فهي من أقوى الأدلة على أفضليتهم كما قال تعالى، وقد صرح به الزمخشري، وقد تعرّضنا لكثير من ذلك في (النظرة النفسية).

---

١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٨٢.

ولابد أن يعرف المؤمن الفطن أنّ زهدهم عليهم السلام في الدنيا هو أعلى مراتبه؛ لانصرافهم عنها وإقبالهم بكلّيتهم على مولاهم ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[١] فهو تعالى ما صرفها عنهم، بل هي في قبضتهم، ولكنهم علموا هوانَها عليه فهانت عليهم، فانظر إلى قول سيدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لابنته آنفاً من سروره برضاه في الدار الآخرة، فهم لا يريدون من هذه الدار إلا ما يقوّيهم على ما يُوصلهم لرضوان الله (عزّ وجل) مع حصولها لهم، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لزوجاته ما نصه: «**والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكن اخترت جوعَ الدنيا على شبعها، وفقرَها على غناها، وحُزنَها على فرحها، وإن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد**... إلى آخرها»[٢]، وأمثال ذلك.

الآية العاشرة: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٣].

قال رحمه الله في بيان معناها:

أي قرنّا ذكرك بذكرنا، حتى لا أذكرَ إلاّ وتُذكر معي، يعني في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر. عن الحسن وغيره.

قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهّد، ولا صاحب صلاة، إلا وينادي بأشهد أن لاإله إلا الله، وأشهد أن محمداً

---

١) سورة البينة، الآية ٨.

٢) إحياء علوم الدين: ج ١٣ ص ١١٦.

٣) سورة الشرح، الآية ٤.

رسول الله. وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: «**قال لي جبرئيل: قال الله** (عزّ وجل) **إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي**».

وفي هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

أغـــر عليـــه للنبـــوة خـــاتم مـــن الله مشـــهود يلـــوح ويشـــهد
وضم الإله اسم النبي إلـى اسمـه إذا قال في الخمس المـؤذن أشـهد
وشـق لـه مـن اسـمـه لـيُجلّـــه فذو العرش محمود وهذا محمد[1]

الآية الحادية عشرة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[2].

قال الملا محسن في كتاب (الصافي) ما نصه:

والمعنى: ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه...

ثم روى في ذلك أخباراً في تبشير عيسى عليه السلام والأنبياء به ﷺ، منها:

ما عن الباقر ما نصه: «**لم تزل الأنبياء تبشّر بمحمد ﷺ، حتى بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فبشر بمحمد ﷺ؛ وذلك قول الله تعالى: ﴿يَجِدُونَهُ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿مَكْتُوباً﴾ يعني صفة محمد ﷺ، و ﴿اسْمُهُ﴾ عندهم: يعني ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ**

---

١) مجمع البيان: ١٠ ص ٣٨٩.

٢) سورة الصف: الآية ٦.

عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[١]، وهو قول الله (عزّ وجل) يخبر عن عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها: ما عن القمي ما نصه: سأل بعض اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم سميت أحمد؟ قال: «**لأنّي في السماء أحمد منّي في الأرض**»[٢]، انتهى.

وأقول: الظاهر أن المراد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم «في السماء أحمد منه في الأرض» كونه محموداً عند أهل السماء أكثر من كونه محموداً عند أهل الأرض؛ لأن أهل السماء لم يُنكر أحد منهم فضله، فهم كلهم مذعنون بطاعة الله وطاعته، حامدون له، بخلاف أهل الأرض، إذ ليسوا كلهم كذلك.

ويجوز أن يكون المراد أن يكون قدره صلى الله عليه وآله وسلم أظهر عند أهل السماء منه عند أهل الأرض؛ لمعرفة أهل السماء به وأعلميتهم بقربه من ربه (عز وجل).

وإليك مما قاله الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسيره هذا الاسم الشريف، فإنه قَمينٌ[٣] بالذكر:

ولهذا الاسم معنيان، أحدهما: أن يُجعل (أحمد) مبالغةً من الفاعل، أي هو أكثر حمداً من غيره. والآخر: أن يُجعل مبالغة من المفعول، أي يحمد بما فيه من الأخلاق والمحاسن أكثر مما يحمده غيره. انتهى بيانه.

---

١) تفسير الصافي: ج ٥ ص ١٦٩.

٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

٣) قمين: أي جدير به، وأهل له، ومتمكن منه... كما في المعجم الوسيط وغيره.

ثم أورد رواية نتشرف بتحريرها، قال (رضوان الله عليه) ما نصه:

وصحت الرواية عن الزُهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن لي أسماء، أنا أحمد، وأنا محمد، وأنا الماحي الذي يمحو بي الله الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي**». أورده البخاري في الصحيح[1]، انتهى.

ثم لا يخفى عليك ـ أيها القارئ ـ أن التبشير بالنبي ﷺ في الأخبار غير مختص بعيسى عليه السلام ، بل في بعضها العموم ـ كما في الخبر الباقري [المتقدم] المحرر في تفسير هذه الآية ـ وفي بعضها التنويه على لسان عيسى مع التصريح بأوصياء نبينا المعصومين عليهم السلام ، فمن ذلك: ما رواه الحموييني في (فرائد السمطين) عن ابن عباس، عن النبي ﷺ ـ في حديث طويل ـ أجاب به نعثل اليهودي عن مسائل سأله عنها، ومنها: قوله: فأخبرني عن وصيك من هو، فما نبي إلاّ وله وصي، وإن نبينا موسى بن عمران عليه السلام أوصى يوشع بن نون؟ فقال: «**إن وصيي علي بن أبي طالب** عليه السلام، **وبعده سبطاه الحسن والحسين** عليهما السلام **تتلوه تسعة من صلب الحسين** [عليه السلام]» ، قال: يا محمد، فسمّهم لي. قال ﷺ: «**إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه**

---

١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٦٣. وانظر: صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٦٤ في (ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ).

موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي عليهم السلام... قال صلى الله عليه وآله وسلم: **يُقتل علي** عليه السلام **بضربة على قرنه، والحسن** عليه السلام **يُقتل بالسم، والحسين** عليه السلام **بالذبح**» ، قال: فأين مكانهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**في الجنة في درجتي**» ، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدمة، وفيما عهد إلينا موسى بن عمران عليه السلام أنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له (أحمد) و (محمد) و (خاتم الأنبياء)، لا نبي بعده، فيكون بعده اثنا عشر وصياً، أولهم ابن عمه، والثاني والثالث أخوان من ولده، وتَقتل أمّة النبي الوصيَ الأول بالسيف، والثاني بالسم، والثالث مع جماعته أهل بيته وأنصاره بالسيف، وبالعطش في الغربة، فهو كولد الغنم يُذبح، ويصبر على القتل؛ لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذريته، ولإخراج محبيه وأتباعه من النار، وتسعة (التسعة) الأوصياء هم من أولاد الثالث، فهؤلاء الأثنا عشر عدد الأسباط... إلى آخر الحديث، ومنه: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإن الثاني عشر من وُلده يغيب حتى لا يُرى، ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله** (تبارك وتعالى) **له بالخروج، فيظهر الله الإسلامَ به، ويجدّده، طوبى لمن أحبهم وأتبعهم، والويل لمن أبغضهم وخالفهم، وطوبى لمن تمسّك بهُداهم**».

ومنه: شعر لليهودي مدح النبي وآله الأطهار:

صلى الإله ذو العلى عليك يا خير البشر
أنت النبي المصطفى والهاشمي المفتخر
بكم هدانا ربنا وفيك نرجو ما أمر
ومعشر سميتهم أئمة اثنى عشر
حبا لهم رب العلا ثم اصطفاهم من كدر
قد فاز من والاهم وخاب من عاد الزُهَر
آخرهم يسقي الظما وهو الإمام المنتظر(١)

وفي كتاب (المناقب) ما شاكل الحديث المذكور، والسائل هو جندل اليهودي، وإليك محل الشاهد منه:

قال: إني رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام قال ياجندل أسلم على يد محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء واستمسك بأوصيائه بعده فقلت ولله الحمد أسلمت وهداني بك.. ثم قال يا رسول الله، أخبرني عن أوصيائك من بعدك؛ لأتمسك بهم. فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «**أوصيائي الاثنا عشر**» ، قال جندل: هكذا وجدنا في التوراة(٢).

---

١) فرائد السمطين: ج ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٥ ح ٤٣١.

٢) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٥ ح ١٤٤، وفيه: قال: يا رسول الله، إني رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام فقال لي: «يا جندل أسلم على يد محمد، واستمسك بالأوصياء من بعده»، فقد أسلمت، ورزقني الله ذلك، فأخبرني من الأوصياء بعدك

وفيه حديث عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام أجاب به يهودياً عن مسائل سأله عنها، وفيه: قال له علي عليه السلام : «**ما تدري إذا سألتني فأجبتك أخطأتُ أم أصبتُ**»، فأخرج اليهودي من كُمّه كتاباً عتيقاً، قال: هذا ورثته عن آبائي عن أجدادي عن هارون جدي ـ إملاء موسى بن عمران وخط هارون بن عمران ـ... ومحل مرادنا منه ما نصه:

قال علي عليه السلام : «**سل عن الثلاث الأخر**»، قال: أخبرني كم لهذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم من إمام؟ وأخبرني عن منزل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أين هو في الجنة؟ وأخبرني من يسكن معه في منزله؟ قال علي عليه السلام : «**يا يهودي، يكون لهذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر إماماً لا يضرهم خلاف من خالف عليهم**» قال اليهودي: صدقت. قال علي عليه السلام : «**ينزل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في جنة عدن، وهي في وسط الجنان وأعلاها وأقربها من عرش الرحمن** (جل جلاله)». قال اليهودي: صدقت. قال علي عليه السلام : «**والذي يسكن معه في الجنة هؤلاء الأئمة الأثنا عشر، أولهم أنا وآخرهم القائم المهدي**» عليه السلام . قال: صدقت. قال علي عليه السلام : «**سل عن الواحدة**». قال: أخبرني كم تعيش بعد نبيك صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وهل تموت أو تقتل؟ قال عليه السلام : «**أعيش بعده ثلاثين سنة، وتُخضب هذه** (وأشار إلى لحيته) **من هذا** (وأشار إلى رأسه الشريف) » . فقال اليهودي:

لأتمسك بهم؟ فقال: «**يا جندل أوصيائي من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل**»، فقال: يا رسول الله، إنهم كانوا اثني عشر، هكذا وجدنا في التوراة.

أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ ، وأشهد أنك وصي رسول الله[١].

ومما جاء في التوراة والإنجيل والزبور في حق أهل الكساء من التبشير بهم والتنويه بأسمائهم من الصفات والفضل:

ما رواه الشيخ الجليل (الراوندي قُدِّسَ سِرُّهُ) في (الخرائج والجرائح) في محاججة الرضا عليه السلام مع الجاثليق ورأس الجالوت.. والحديث طويل قد حوى دلائل على إمامته عليه السلام ببيان العلوم والتكلم بشتى اللغات مع أهلها، وذلك حين قدومه للبصرة من المدينة، في صبيحةٍ صلى فجرها في المدينة، وقد ظهر له في ذلك القدوم معاجز عديدة، منها: رجوعه عليه السلام إلى المدينة في يومه، وإخباره عمرو بن هذاب بمصائب ثلاث قبل وقوعها عليه... وفيه: ما برح الإمام عليه السلام يُحاجّ الجاثليق ورأس الجالوت بتلاوته لأسفار التوراة والزبور والإنجيل وإلزامهم بما فيها مما اعترفوا بصحته، وإخباره عليه السلام بما في التوراة من صفة جدّه محمد ﷺ ، حتى قال الجاثليق: نعم، هذه الصفة في الإنجيل، وقد ذكر عيسى عليه السلام في الإنجيل هذا النبي ﷺ... وأخذ في الاحتجاج، حتى اعترف الجاثليق بوجود اسم محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام، ثم أخذ عليه السلام يحتج على رأس الجالوت، حتى تلا أسماءهم في السفر الأول والثالث من الزبور، فقال رأس الجالوت: هذا بعينه في الزبور بأسمائهم، ثم قال الرضا عليه السلام : «**بحق العشر الآيات التي أنزلها**

---

١) ينابيع المودة: ج ٣ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧.

الله على موسى بن عمران عليه السلام في التوراة، هل تجد صفة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في التوراة منسوبين إلى العدل والفضل؟»، قال: نعم، ومن جحدها كافر بربه وأنبيائه. فمازال الرضا عليه السلام يحاجهم حتى صلى صلاة الظهر، وانصرف إلى المدينة، وعاد إليهم منها في اليوم الثاني، وحاجهم بأمثال ذلك، حتى أسلم منهم مَنْ مَنَّ الله عليه بالهدى، وقد فعل في الكوفة في يوم آخر أمثال ذلك من المحاجة مع متكلمي النصارى وغيرهم، حتى اعترف عالم النصارى بوجود أسماء الخمسة أهل الكساء وفضلهم عليهم السلام في الإنجيل، ﴿**ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ**﴾[1]، [2].

ومما جاء في القائم المهدي عجل الله فرجه الشريف: ما رواه العلامة المجلسي (رحمة الله عليه) في (البحار) بسنده المتصل بسالم الأمثل، قال: سمعت محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «**نظر موسى بن عمران عليه السلام في السفر الأول بما**[3] **يعطي قائم آل محمد، قال موسى: رب اجعلني قائم آل محمد. فقيل له: إن ذاك من ذرية أحمد** [صلى الله عليه وآله وسلم] **. ثم نظر في السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك، فقال**

---

١) سورة الجمعة، الآية ٤.

٢) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٣٤١ ب ٩ ح ٦.

٣) النسخة هكذا من باب ما ورد من أخبار الله وأخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ص٢١: «وينبغي تصحيحها لما». انتهى. (منه رحمه الله).

مثله، فقيل له مثل ذلك، ثم نظر في السفر الثالث فرأى مثله، فقال مثله فقيل له مثله»[١].

وفي (روضة الواعظين) في مجلس مولد النبي ﷺ ما نصه: قال ليث ابن سعد: قلت لكعب ـ وهو عند معاوية ـ ... إلى أن قال: فأجرى الله على لسانه، فقال: هات ـ يا أبا إسحاق ـ ما عندك. قال كعب: إني قد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلها فوجدت في كلها ذكر مولده ﷺ ومولد عترته، وإن اسمه لمعروف، وإنه لم يولد نبي قط، ونزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى عليه السلام وأحمد ﷺ وأخذ في صفات فضله... إلى أن قال: ونجد في الكتب أن عترته خير الناس بعده، وإنه لايزال الناس في أمان من العذاب ما دامت عترته في دار الدنيا خلق يمشي. قال معاوية: يا أبا إسحاق، ومن عترتُه؟ قال كعب: هم وُلد فاطمة عليها السلام . فعبس معاوية وجهه، وعضّ على شفتيه، وأخذ يعبث بلحيته. قال: وإنّا نجد في صفة الفرخين الشهيدين ـ وهما فرخا فاطمة عليها السلام ـ يقتلهما شرار البرية. قال: من يقتلهما؟

قال: رجل من قريش، فقام معاوية، فقال: قوموا إن شئتم[٢].

وفي (كنز الفوائد) للكراكجي بحذف الإسناد، عن عبد الرزاق، عن معمّر، قال: أشخصني هشام بن عبد الملك من أرض الحجاز إلى الشام زائراً، فلما أتيت أرض البلقاء رأيت جبلاً أسود وعليه مكتوب أحرفاً لم

---

١) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٧٧ ح ٣٥.

٢) روضة الواعظين: ص ٦٧ ـ ٦٨.

أعلم ما هي، فعجبت من ذلك، ثم دخلت عمّان قصبة البلقاء فسألت عن رجل يقرأ ما على القبور والجبال، فأرشدت على شيخ كبير، فعرّفته ما رأيت، فقال: اطلب لي شيئاً أركبه لأخرج معك. فحملته معي على راحلتي، وخرجنا إلى الجبال ومعي محبرة وبياض، فلما قرأه قال: ما أعجبَ ما عليه بالعبرانية، فنقلته إلى العربية، فإذا هو: (باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلي ولي الله (صلى الله عليهما) . وكتب[1] موسى بن عمران بيده[2].

ولا يخفى على المتتبع العارف معرفة عموم الأنبياء سيدَهم محمداً وآلَه، وليست خاصة بهذا العالم فقط بل هي سابقة في عالم الأظلّة، ويدل على ذلك أخبار كثيرة متواترة المعنى، منها: ما عن (بصائر الدرجات) بحذف الإسناد، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلّة حتى عُرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومَثُلوا له، فأقرّ بولايتهم وطاعتهم**عليهم السلام»[3]، انتهى.

الآية الثانية عشرة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ

---

١) هذا نصه من الجزء الثاني، الحديث الأربعون، والظاهر أن الأولى (كتبه). (منه رحمه الله).

٢) كنز الفوائد: ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

٣) بصائر الدرجات: ص ٩٣ باب ٨ (ما خصّ الله به الأئمة من آل محمد من ولاية الأنبياء لهم في الميثاق) ح ٧.

أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[١].

ففي (المجمع) : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس وقتادة: أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبروا أممهم بمبعثه صلى الله عليه وآله وسلم ونعته، ويبشروهم به، ويأمروهم بتصديقه صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، انتهى.

وبهذا المضمون وردت عدة أخبار رواها غير واحد من علمائنا الأبرار في حق نبينا وآله الأطهار عليهم السلام ، ومنها:

ما رواه بعض قدمائهم (رضوان الله عليه) بسنده المتصل بزرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في خبر طويل ذكر فيه العالم الأول ـ ما نصه: قال: «**ثم أخذ الميثاق على النبيين، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم﴾ ، ثم قال: وإن هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن هذا علي أمير المؤمنين عليه السلام ، قالوا: بلى، فتبيّنت لهم النبوة. وأخذَ الميثاق على أولي العزم: أني ربكم، ومحمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسولي، وعلياً أمير المؤمنين عليه السلام، وأوصياءه من بعده ولاة أمري، وخزّان علمي، وأن المهدي أنتصرُ به لديني، وأظهرُ به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأعبد به طوعاً وكرهاً. قالوا: أقررنا وشهدنا**»[٣]، انتهى مرادنا.

---

١) سورة آل عمران، الآية ٨١.

٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٣٣٤.

٣) الكافي: ج ٢ ص ٨ ح ١. وانظر: بصائر الدرجات: ص ٩٠ باب (٧ـ ما خصّ الله به الأئمة من آل محمد من ولاية أولي العزم لهم في الميثاق) ح ٢.

ومنها أيضاً: بسند متصل عن عبد الأعلى ـ مولى آل سام ـ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**ما تنبّأ نبي قط إلاّ بمعرفة حقّنا وبفضلنا على من سوانا**»[1]، انتهى.

ومنها أيضاً: بسند متصل عن جابر رضي الله عنه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**ولايتنا ولاية الله التي لم يُبعث نبي قط إلاّ بها**»[2]، انتهى.

وإذ قد عرفت ما حُرّر من تكليف الأنبياء بالإيمان لسيّدهم صلى الله عليه وآله وسلم فلا يخفى عليك كون ذلك من أعلى أنواع التبشير؛ لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي يكلف الله أنبياءه الإيمانَ به قبل موافاتهم إياه ـ مع استغنائهم بالفيض من ربهم بلا واسطة ـ حقيق بالفضل والعناية، فأمم الأنبياء المحتاجون إليهم أحق بالإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنهم مفتقرون إلى السفير بينهم وبين خالقهم، والمتأخرون منهم وأعقابهم قد وافوه وآمنوا به بسبب ذلك التبشير وما وجدوه عند أنبيائهم من صفاته وفضله وفضل آله الطاهرين عليهم السلام .

هذا، ولكن الآية الكريمة إنما تُفيد ذلك على بعض الوجوه ـ كما عرفت ـ وفي تفسيرها وجوه أخرى، وهي من الآيات المتشابهات، وقد اختلف العلماء في تأويلها، وبسطوا فيها البيان، ومنهم الشريف أبو الحسن الرضي (رضوان الله عليه) محمد بن أبي أحمد الحسيني الموسوي، فإنه قد شرحها وكشف غامضها في (حقائق التأويل) ، فجدير أن نلتقط منه نُبَذاً

---

١) الكافي: ج ٢ ص ٩٤ ـ ٩٥ باب (٩ـ آخر في الولاية الأئمة) ح ١ـ ٤.

٢) ن، م، ص ٩٥ ح ٦.

نافعة في المقام، فإنه رحمه الله حرر سؤالاً ـ بعد ذكر الآية ـ حاصلة: أن الأنبياء السالفين أخذ عليهم الإيمان بالرسل السالفين، مع أنهم لا يجيئهم رسل إلاّ الملائكة...

ثم أجاب باختلاف أهل التفسير في ذلك، فمنهم من يوجّه الخطاب لأمم الأنبياء بقوله تعالى ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ فالمعنى فيه ظاهر، ومنهم من يقول: إن الخطاب للأنبياء، فالمعنى غامض، إلى أن قال (رضوان الله عليه) ما نصه:

وتلخيص ذلك أن الوجه الأول ملتبس اللفظ مفهوم المعنى، والوجه الآخر ملتبس المعنى مفهوم اللفظ، فأما من قال إن الخطاب بذلك متوجه إلى الأنبياء دون أممهم فإنه روي في ذلك روايات.

ثم ساق (رضوان الله عليه) ما رويناه آنفا عن أمير المؤمنين عليه السلام .

ثم ذكر قولاً آخر حاصله: أن الميثاق مأخوذ على الأنبياء بتصديق بعضهم بعضاً، إلى أن قال رحمه الله ما نصه: وفائدة ذلك أن يعلمنا سبحانه أن الأنبياء ـ وإن جلت أقدراهم وفاتت غاياتهم ـ خصوا بمزايا شرف الرسالة ومعالي كرم النبوة، فإنهم بشرٌ وعبيد يجب عليهم ما يجب على سائر العباد من طاعة مَن يأمرهم الله بطاعته، وشِقاق من يأمرهم بمشاقّته.

وأخذ السيد رحمه الله في بيان الأقوال ـ إلى أن قال ما نصه: وقال أبو علي: عنى بذلك الميثاق الذي أخذه على النبيين ـ وهو الإيمان بالله تعالى ـ وكأنه قال: لتبلّغنّ الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة، وحذفَ "لتبلغن" لدلالة

الكلام عليه؛ لأن لام القسم إنما يقع على الفعل، فلما كان هناك دلالة على الفعل حذفه؛ اختصاراً وإيجازاً، فقال تعالى بعد ذلك: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ وعنى به نبينا محمداً ﷺ، وأراد سبحانه بقوله ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ أي بكتبكم المنزلة عليكم.

ثم أشكل السيد عليه بالسؤال السابق من أن الأنبياء لا تُبعث لهم رسل إلاّ ملائكة، ثم دفعه، فقال فيما نصه:

وحقيقة الكلام عندنا أنّ فيه تقدير مضاف محذوف، فكأنه سبحانه قال: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ ذكرُ رسولٍ أو علمُ رسولٍ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾، ومعنى ﴿جَاءَكُمْ﴾ ذلك أي: وجدتموه في كتبكم وعرفتموه من الوحي النازل عليكم، كما قال تعالى ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾، ولذلك في القرآن نظائر كثيرة، منها:

قوله سبحانه: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1] أي كخلق نفس واحدة وبعثها.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾[2] أي اسأل أمَمَ من أرسلنا أو أتباع من أرسلنا...

ثم ذكر في سؤاله المرسلين تأويلا آخر، ثم قدّر سؤاله وحاصله: إن ما ذكر يتم في الإيمان به ﷺ ... واستدل على ذلك حتى قال ما نصه:

---

١) سورة لقمان، الآية ٢٨.

٢) سورة الزخرف، الآية ٤٥.

وهذا كما جاءت الأخبار بأن جماعة من العرب آمنوا بنبينا ﷺ قبل مبعثه لِمَا كانوا يجدون ذكره في الكتب القديمة ويتلقّونه من القرون السالفة، كزيد بن عمرو بن نُفيل، وورقة بن نوفل.. وغيرهما، فكيف يتم لكم مثل ذلك في قوله تعالى ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ؟ وهل يصح أن ينصروا مَن لم يروا له شخصاً ولم يشهدوا له حرباً؟

ثم أجاب رحمه الله عن ذلك بما حاصله: أن النصرة تتحقق بمحاربة الأعداء أو بإقامة الحُجج والبراهين، ومن ذلك إيصاء الأنبياء أممَهم باتّباعه وبيان فضله لهم (صلى الله عليه وآله الطاهرين).

وقال رحمه الله في أثنائه ما نصه: وعلى ذلك قوله تعالى ﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1]، قال كثير من المفسرين: إن المراد بهذا الجهاد إقامة الحّجة بالقرآن عليهم؛ حتى يُقرّوا بصحته ويعترفوا بمعجزه.

وبعد كلمات.. نقلَ عن بعض العلماء ما معناه: أنه تعالى يريد الأمر بالنصرة [من] بقايا كل أمة وأعقابها... ومن الوجوه في الآية ما نقله (رضوان الله عليه) عن أبي مسلم، وإليك بعضاً منه بما نصه:

معنى قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾[2] أراد به الذي أخذه الأنبياء على أممهم عند إيمانهم بهم على أن يؤمنوا بكل ما في الكتب

---

١) سورة الفرقان، الآية ٥٢.

٢) سورة آل عمران، الآية ٨١.

المنزلة عليهم، وفيها ذكر النبي محمد ﷺ، وأن الله سبحانه سيبعثه على أعقاب الرسل، مصدّقاً لما معهم من التوحيد والإخلاص والنور والبرهان.. إلى آخره.

وبعده أخذ السيد في النظر فيه وفي غيره من الأقوال، حتى تعرض لإضافة الميثاق إلى النبيين بما معناه: أنه من إضافته للمفعول إن كان الميثاق لله على النبيين، ومن إضافته للفاعل إن كان الميثاق من الله تعالى للنبيين على أممهم، ومثَّل بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ**﴾ فالإضافة فيه للفاعل، وفي الإضافة للمفعول قوله تعالى: ﴿**لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ**﴾.

وبيان الشريف (رضوان الله عليه) طويل، ومنه ما قدره من السؤال، وحاصله: كيف يصح أن نبينا مصدّق لما مع الأنبياء من تخالف شريعته ﷺ لشرائعهم؟

ثم أجاب (رضوان الله عليه) بما معناه: أنه ﷺ موافقهم في معارف الدين وعقائده وشرائعهم عليهم السلام، وإن اختلفت ـ حسب تفاوت مصالح المكلفين في الأزمنة ـ فهو ﷺ مصدّق بأنها حق من الله تعالى طبق المصالح الموافقة لحكمته تعالى، وإليك بعضاً من جوابه رحمه الله حرفياً:

فالمراد بقوله تعالى ﴿**مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ**﴾ أي من جُمل التوحيد والنبوات والشرائع الواردة بحسب مصالح العباد، وهذه حال نبينا ﷺ[1].

---

١) حقائق التأويل: ص ١٣٢ ـ ١٤٧ مسألة ١٥.

انتهى مرادنا من بيانه، فراجعه ففيه البيان الشافي، فجزاه الله وغيره من الصلحاء خير جزاء المحسنين، فإنهم (رحمهم الله) قد أبانوا الحقائق للجاهلين في الآيات المحكمات والمتشابهات...

ومنهم الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي (المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ) فإنه رحمه الله قد حقق القول في الآية المذكورة تحقيقاً جميلاً مبسوطاً وإني ليروقني جداً أن أجتني من كلمِه الطيب كلمة قيّمة شاهداً على ما حررته في حق سيدنا وسيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإليكَها حرفياً:

وإن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين هو أظهر أفراد الرسل في هذا الميثاق؛ لتكرر البُشرى به في كتبهم، بشرى تُشرف على الصراحة في تعيينه بأقرب ما يفهمه البشر الجاهل بالغيب في تعيين ما يأتي في المستقبل، ولظهور الدليل على رسالته صلى الله عليه وآله وسلم وكتابه وبقائه في جميع الأزمان، وهو القرآن الكريم، ودلائل الرسالة فيه ـ كما أشرنا إليه في الفصل الأول من المقدمة ـ ومن نصره نصر من هو نفسه ووصيه في أمته، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى، وصاحب عهد الغدير ووصية الثقلين.. وغير ذلك، علي (عليه الصلاة والسلام) .

وعلى هذا الوجه ينزل بعض ما جاء من الروايات، قال الجليل (جل اسمه) للنبيين: ﴿**أَأَقْرَرْتُمْ**﴾ بذلك بين الأمم في تبليغكم إياه لهم ﴿**وَأَخَذْتُمْ**﴾ على أممكم ﴿**عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي**﴾ أي عهدي وميثاقي؟ ﴿**قَالُوا**﴾ أي النبيون ﴿**أَقْرَرْنَا**﴾ بذلك بين أممنا، وباعتبار أنّ قولهم هذا جواب للاستفهام

التقريري ينحلّ إلى قولهم: وأخذنا عليهم ذلك عهدك وإصرك، ﴿قَالَ﴾ الله للنبيين ﴿فَاشْهَدُوا﴾ على أممكم بهذا الميثاق، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ عن هذا الميثاق وأعرض عنه وكفر بمن يأتي من الرسل ـ وخصوصاً خاتمهم، البينةُ حججه، الساطع برهانه، والعام الباقي معجزه ـ ﴿فَأُولَئِكَ﴾ المتولون ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن حجاب الإيمان والطاعة[1]. انتهى مرادنا.

ومما جاء في التبشير به ﷺ: ما ذكره الشيخ الجليل (محمد بن شهرآشوب)، فإليك بعضاً مما حرره في (مناقب آل أبي طالب)، قال رحمه الله ما نصه:

فصل في البشائر بنبوته ﷺ، منها: بشائر موسى عليه السلام في السفر الأول وبشائر إبراهيم عليه السلام في السفر الثاني... ـ إلى أن قال رحمه الله ـ وقال داوود عليه السلام في زبوره: اللهم ابعث مقيم السّنة بعد الفترة.

ومما رواه في قول عيسى عليه السلام في صفته ﷺ ما نصه: وهو يخفف الآصار، ويفسر الكلم كل شيء، ويشهد لي كما شهدت له أنا، جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل[2].

---

١) آلاء الرحمن: ج ١ ص ٣٠٦ في تفسير الآيتين ٨١ ـ ٨٢ من سورة آل عمران.

٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٧.

الآية الثالثة عشرة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ... الآية﴾[١] .

قال أمين الإسلام في أثناء بيان تعليل تفضيل بعض الرسل ما نصه: الفضيلة المذكورة هنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة نحو كلامه تعالى لموسى عليه السلام بلا سفير، وكإرساله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكافة من الجن والأنس...

وأخذ (رضوان الله عليه) في بيانه إلى أن تلا **﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾** قال مجاهد: أراد به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فإنه تعالى فضّله على جميع الأنبياء بأن بعثه إلى جميع المكلفين من الجن والأنس، وبأن خصه بالقرآن الذي لم يعطه غيره، وهو المعجزة القائمة إلى يوم القيامة، بخلاف سائر المعجزات، فإنها قد مضت وانقضت، وبأن جعله خاتم النبيين، والحكمة تقتضي تأخير أشرف الرسل لأعظم الأمور[٢].

وإليك مرادنا هنا من كلام المحسن في (الصافي) حرفياً في تفسير **﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾** [قال] : من غير سفير كموسى عليه السلام ليلة الحيرة في الطور ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج حين كان كقاب قوسين أو أدنى وبينهما بون بعيد **﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾** بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة كمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث أوتي صيتا لم يؤت أحد من

---

١) سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ١٥٤.

المعجزات المرتقبة إلى الألف وأكثر وبعث إلى الجن والإنس وخص بالمعجزة القائمة إلى يوم القيامة. وفي العيون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «**ما خلق الله خلقاً أعظم ولا أكرم عليه مني.. الخبر**»، فقد تقدم أمثاله[١].

الآية الرابعة عشرة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢].

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله في أثناء بيان المعنى ما نصه:

﴿**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ أي: وآخر النبيين، خُتمت النبوة به، فشريعته باقية إلى يوم الدين، وهذه فضيلة له صلى الله عليه وآله وسلم اختُص بها من بين سائر المرسلين.

وقال رحمه الله : إن (خاتم) قُرأت بكسر التاء ونصبها؛ الحجة من كسر التاء من (خاتم) فإنه ختمهم، فهو خاتمهم. ومن فتح التاء فمعناه آخر النبيين فلا نبي بعده[٣]. انتهى.

وقال فخر الدين في (المجمع) ما نصه: ومحمد خاتم النبيين، يجوز فيه فتح التاء وكسرها، فالمفتح بمعنى الزينة مأخوذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه والكسر إسم الفاعل بمعنى الآخر[٤]، انتهى.

---

١) تفسير الصافي: ج ١ ص ٢٨.

٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

٣) مجمع البيان: ج ٨ ص ١٦٠ و ١٦٦.

٤) مجمع البحرين: ج ٦ ص ٥٤ مادة (ختم).

فتدبر، فالقولان متقاربان، وإن كان القول الأول بالحق أحق؛ لتقريبه للحقيقة، إذ في الثاني أن كون النبي ﷺ زينة النبيين هو المعنى المجازي في الخاتمية، وإلاّ فهو فخرهم وزينتهم حقيقةً قطعاً، لكن ليس بالصريح في كونه آخرهم وناسخ شرائعهم كما في كسر التاء وفتحها ـ أيضاً ـ بحجة الشيخ أبي علي، والفرق بين كسر التاء وفتحها ـ على الظاهر ـ لحاظ الفاتحية والآخرية في الأول، أي هو ﷺ «**الْخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ**»[١]، واللحاظ في فتح التاء ليس إلاّ كونه خاتم النبيين، أي آخرهم وناسخ شرائعهم، ولا ريبة في تحقيق الأفضلية في كلا الوجهين.

ويروقني جداً كلمة للسيد محمد باقر الطباطبائي[٢] جديرة بهذا المقام فإليكها من حاشيته المسماة بـ(وسيلة الوسائل) على الرسائل[٣]، وهذا نص المتن: والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على فاتحة مصاحف الأكوان وخاتمة صحائف الإمكان[٤]. انتهى.

وحرر السيد على قوله: «فاتحة.. الخ» حاشية هذا نصها:

---

١) كامل الزيارات: ص ٣٦٨ ب ٧٩ ح ٣ و ٤٠٤ ح ٢٣، المزار (للمفيد): ص ١٠٤ ب ٥١.

٢) السيد محمد باقر بن مرتضى بن أحمد الحسني الحسيني الطباطبائي اليزدي، الحائري، النجفي(١٢٥٥ ـ ١٢٩٨ هـ)، له عدة مؤلفات وحواشي، منها: حاشية على قوانين الأصول، حاشية على الفصول، حاشية على رياض المسائل، حاشية على شوارق الإلهام، وله شرح المشاعر.. وغيرها، ترجم له آقا بزرگ الطهراني في الكرارم البررة: ص ١٩١.

٣) لشيخ الكل في الكل الشيخ مرتضى الأنصاري. (منه رحمه الله).

٤) وسيلة الوسائل في شرح الرسائل: ص ٢ المقدمة، دار الطباعة، إيران، سنة ١٢٩١ هـ.

في هذا الكلام إشارة إلى مقامه ﷺ في قوس الصعود والنزول وأنه مبدأ عالم الإمكان ومنتهاه، وأنه خاتم الأنبياء، فإن للخاتم ـ على فرض قرائه (الخاتم) بكسر التاء ـ معنيين، أحدهما يناسب مذاق العوام وأهل الظاهر، والآخر يناسب مذاق الخواص وأهل المعرفة:

أما الأول: فهو أنه ﷺ آخر الأنبياء، وناسخ أديانهم وكتبهم، من غير أن ينسخ دينه وكتابه، فإن حلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

وأما الثاني: فهو أنه ﷺ هو النقطة التي هي الفعل المشترك بين عالم الوجوب والإمكان، والمرتبة التي لا يُتصور مرتبة فوقها في صِقع عالم الأكوان.

بيان ذلك على سبيل الإجمال:

أن الإنسان أشرف من كثير من المخلوقات، فهو المهيمن على عوالم الحيوانات والنباتات والجمادات، فالكل دون مرتبته، ولأفراده درجات ومقامات، أعلاها درجةً: النبوة التي هي أشرف من مقام الملكية، ولها مراتب أيضاً من نفس النبوة والرسالة والإمامة وذوي العزّية والخاتميّة، وهي أعلى المراتب وأشرفها، فإذن أعظم المراتب الإمكانية هي الخاتمية، وتفصيل الكلام في تحقيق هذا المرام موكول إلى محله[1]، انتهى.

---

١) وسيلة الوسائل: ص ٢ في المقدمة.

النظرة الثانية

في مقابلة معاجز النبي ﷺ بمعاجز الأنبياء

تمهيد

ذكر الحكيم الفيلسوف الملاّ هادي السبزواري المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ في حواشيه على (شرح منظومته) في الحكمة عند كلامه على الفريدة الثانية من المقصد الخامس في أصول المعجزات والكرامات المطبوع سنة ١٣١٨هـ كلاماً جليلاً يَفيض منه علم غزير في فضله ﷺ ، فإليكه حرفياً؛ مزيداً لنور العلم وتحقيق المقام ما نصه:

وهو ﷺ بلغ كل المقامات السنيّة كما قال ﷺ : «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**» ، وكيف لا يكون سيد الكل وروحانيته ـ كما علمت ـ عقل الكل الذي هو الأصل المحفوظ لكل العقول، وخليفة الله في عالم العقول، كما أنه ﷺ بجسده الشريف خليفة الله في أرضه، وكيف لا يكون ختماً وكل العقول مشمول عقل الكل الذي هو روحانيته ونوره بعد نور الأنوار، يسعى بين يديه، وسرى إلى قدامه وخلفه، وغيرهما ومع الماضين والغابرين ومشمول الشيء ونوره لا يكون مقابلاً له وثانيا له، فكل من برز من البررة

والخيرة هو من ورثته، ثم كيف لا يكون والحقيقة المحمدية المطلقة هي الوجود المنبسط المسمى بـ(الفيض المقدس) وهو رحمة للعالمين.

وبعد هذه المرتبة ليس إلاّ ذات الله (عزّ وجل)، وهذا معنى كون (آدم ومن دونه تحت لوائه)[١]، ومعنى ما ورد من أمثال قوله ﷺ : «**لو كان موسى حياً ما وسعه إلاّ اتّباعي**»[٢]، فهو ختم في السلسلتين العرضية والطولية، الأولى العزمية والرسالة والنبوة، كما أن روحانيته صادر أولاً من الله مبدأ المبادئ وغاية الغايات[٣].

تدبر هذا الكلام الجليل المُنبئ عن صاحبه بالفضل الخطير، حيث قد حَقّ[٤] بما حرّر في فضل سيد الكل رسول الله محمد ﷺ من البرهان الواضح بنور العقل السليم بما أفاضه الفيض الأول مِنْ مَنّ الجواد الفياض [على] حبيبه وأفضل بريته أبي القاسم محمد ﷺ فبِهِ تعرف أن غاية الفصل من الإمكان منحصرة في النبي محمد ﷺ، إذ به قد صار الفضل فضلاً، فالفخر شامخ به ﷺ كما صرح به سبطه الحسن الزكي في خطبته

---

١) عن المفضل بن عمر، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**وإن علي بن أبي طالب عليه السلام لصاحب لوائي في الآخرة، كما كان صاحب لوائي في الدنيا، وإنه أول من يدخل الجنة، لأنه يقدمني وبيده لوائي، تحته آدم ومن دونه من الأنبياء**». الأمالي (للصدوق) : ص ٣٥٤ مجلس ٤٧ ح ٩.

٢) معاني الأخبار: ٢٨٢.

٣) شرح المنظومة: ج ٥ ص ٢٥٧.

٤) أي أجاد وأبدع وأحسن فيما قاله.

الشريفة. فلابدَّ أن تكون له ﷺ أعلى درجات الكمال، فهو أقرب الخلق إلى الكبير المتعال، فلا غرو أن جعله ـ تعالى ـ «**الْفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ، وَالْخاتِمِ لِما سَبَقَ**»، فهو المرشد الأول، وهو المنقذ الآخر، وشريعته هي الناسخة لكل شرائع الأنبياء، فجعل تعالى شريعته باقية ناسخة لكل شرائع الأنبياء، وجمعَ له كلّ ما آتاهم من الفضل، فكل معجزة لهم كانت له ﷺ مقابلها وأعظم وأكثر. هذا مجمل القول عن النظرة الثانية، وإليكها تفصيلاً:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ كما رواه الشهيد في (روضة الواعظين) ـ «**إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾[١]، وقال لنبينا ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٣]، وقال تعالى لنبينا ﷺ : ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٤]**.

ورفع الله إدريس النبي وقال لنبينا ﷺ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٥]، وأطعم إدريس من تحف الجنة بعد وفاته وإن محمداً ﷺ أطعمه في

---

١) سورة البقرة: الآية ٣٤.

٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

٣) سورة البقرة: الآية ٣٧.

٤) سورة الفتح: الآية ٢.

٥) سورة الشرح: الآية ٤.

حياته، بينما هو جالس إذ أتاه جبرائيل بجامٍ تحفة من الجنة، فهلّل الجامُ وهلّلت التحفة في يده، فسبّحا وكبّرا وحمّدا، فناولها أهل بيته، فقالت مثل ذلك، فهمّ أن يناولها بعض أصحابه فتناولهما جبرئيل عليه السلام وقال له: (كلها فإنها تحفة من الجنة أتحفك الله بها وليست تصلح إلاّ لنبي أو وصي نبي) فأكل وأكلنا معه، فإني لأجد حلاوته إلى ساعتي.

وإن نوحاً دعا ربّه فهطلت له ﴿السِّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾، ورسول الله لما هاجر إلى المدينة أتوه في يوم جمعة فقالوا: يا رسول الله [صلى الله عليك وآلك] احتبسَ القطرُ، واصفرّ العود، وتهافتَ الورق. فرفع يده المباركة صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى رؤي بياض إبطيه ـ وما في السماء سحابة، فما برح حتى سقاه الله (عزّ وجل) ، حتى إن الشاب المعجب بشبابه تهم نفسه بالرجوع إلى منزله من شدة السيل، فدامت أسبوعاً، فأتوه في الجمعة الثانية فقالوا: يارسول الله، تهدّمت الجدران، واحتبس الركب والسِّفار، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (هذه سرعة ملالة ابن آدم) ، ثم قال: (اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم في أصول الشيخ[1] ومواقع النقع) فرُأيَ حول المدينة القطر يقطر وما يقع في المدينة قطرة؛ لكرامته على الله (عزّ وجل) .

وإن هوداً قد انتصر الله له من أعدائه بالريح العقيم، وإن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد انتصر الله له من أعدائه بالريح يوم الخندق، إذ أرسل عليهم ريحاً تُدير الحصا وجنوداً لم يروها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

١) الشِيخ ـ بالكسر ـ نبت معروف في البادية. وفي بعض النسخ: (الشجر) بدل (الشيخ).

آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا... الآية﴾[١].

وإن صالحاً عليه السلام قد جعل الله له ناقة، و (نبينا صلى الله عليه وآله وسلم) بينما نحن (معه) في بعض غزواته إذ هو بعير قد دنا نضواً[٢] (فرغا) فأنطقه الله تعالى بأن قال: يا رسول الله، إن فلاناً قد استعملني حتى كبرتُ، والآن يريد ذبحي فأنا أستعيذ بك منه. فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى صاحبه فاستوهبه منه، فوهبه له، فخلاّه. [صلى الله عليك وآلك يا حبيب الله ورسوله].

ولقد كنا معه فإذا نحن بأعرابي قد أتى بأعرابي وقال: إنه قد سرق ناقتي ـ وهو يسوقها ـ وقد استسلم للقطع لما زوّرا عليه الشهود، فقالت (الناقة) : يا رسول الله: إن فلاناً مني بريء، وإن الشهود شهدوا بالزور، وإن سارقي فلان اليهودي.

وإن إبراهيم عليه السلام قد أسلمه قومه إلى الحريق فصيّر الله (عز وجل) النار عليه برداً وسلاماً، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل بخيبر سَمّته الخيبرية انتقاماً لمن قُتل من قومها، فصيّر الله تعالى السَمّ في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله، فالسَمّ يحرق إذا استقر كما أن النار تحرق.

وإن موسى عليه السلام قد أعطاه الله اثنتي عشرة عيناً، قال تعالى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ

---

١) سورة الأحزاب: الآية ٩.

٢) نضو ـ بالكسر ـ أن لعزيل قوله فارغاً أي خالياً من كثرة اللحم. (منه رحمه الله).

أُنَاسٍ مِّشْرَبَهُمْ﴾، وإن محمداً ﷺ لما نزل الحديبية وحاصره أهل مكة فأتى أصحابه وشكوا إليه الظماء حتى التفّت خواصر الخيل فذكروا له ذلك فدعا بركوة فيها ماء، ثم نصب يده المباركة فيها فتفجرت من بين أصابعه عيون الماء، فصَدَرنا وصَدَرتْ الخيل، وملأنا كل مِزودٍ وسقاء ببركته ﷺ.

ولقد كنا معه يوم الحديبية (ثَمَّ) قليب جافة فأخرج ﷺ سهماً من كنانته فناوله البراء بن عازب فقال له: (اذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافة فاغرسه فيها) ففعل ذلك، فتفجرت اثنتا عشرة عيناً من تحت السهم.

ولقد كان يوم الميضاة عبرةً وعلامة للمكذبين لنبوته، كحجر موسى عليه السلام حين دعا بالميضاة[1]، فنصب يده فيها ففاضت بالماء، وارتفع حتى توضأ منه ثمانية آلاف رجل، وشربوا كلهم، وسقوا دوابهم، وحملوا ما أرادوا.

وإن عيسى عليه السلام قد أحيا الموتى بإذن الله تعالى، ومحمداً ﷺ سبّحت في يده سبع حُصيّات تُسمع همهمتها في جمودها، فلا روح فيها؛ لتمام حجة نبوته ﷺ .

ولما نزل ﷺ الطائف وحاصر أهلَها، بعثوا إليه بشاة مسمومة، فنطقت الذراع منها وقالت: يا رسول الله، لا تأكلني؛ فإني مسمومة.

---

١) الميضاة بكسر الميم مطهرة كبيرة يتوضأ منها وهي معروفة سابقاً. (منه رحمه الله).

وإن عيسى خَلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً بإذن الله تعالى، ومحمد ﷺ أخذ يوم خيبر حجراً فسمعنا للحجر تسبيحاً وتقديساً ثم قال ﷺ للحجر: (انفلق) ، فانفلق ثلاث فلق تُسمع لكل فلقة تسبيحة لا يسمع للأخرى.

ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته، ولكل غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس، ثم قال لها: (انشقّي) ، فانشقّت نصفين، ثم قال لها: (التزقي) ، فالتزقت، ثم قال لها: (اشهدي لي بالنبوة) ، فشهدت، ثم قال لها: (ارجعي إلى مكانك بالتسبيح والتهليل والتقديس) ، ففعلت، وكان موضعها حيث الجزارين بمكة». وهذا خبر طويل أوردنا بعضه[١]. انتهى.

وفيه بعض الملاحظات ينبغي أن ننبه عليها القارئ:

منها: مقابلة قبول توبة آدم من قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ﴾ بقوله تعالى في حق نبينا ﷺ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ... الخ﴾، فلابد أن نفهم أن المقصود من هذا وأمثاله ـ مما يشعر بنسبة الذنب إلى الأنبياء ـ ما هو إلا ترك الأولى، وإلا لا يتم احتجاج الله على خلقه كما حقق في محله[٢].

---

١) روضة الواعظين: ص ٦٠ ـ ٦٣.

٢) ما ورد في الآيات والأخبار مما يوهم صدور الذنب عن الأنبياء كله محمول على ترك الأولى، جمعاً بين ما دل عليه العقل وبين صحة النقل، مع أن جميع ذلك قد ذكر له وجوه ومحامل. ويجدر في المقام مطالعة كتاب نهج الحق وكشف الصدق للعلامة

والآية الواردة في حق نبينا ﷺ تحمل وجوهاً مطوّلة بما لا ينافي تنزيه ساحة النبوة، منها: ما حرره علم الهدى، والإمام المصلح كاشف الغطاء رحمه الله، فإليك من بيان علم الهدى (رضوان الله عليه) ، فقد ذكر في الجواب عن الآية في (التنزيه) وجوهاً، وبيّن صحيحها من سقيمها، وإني لأختار ما اختاره؛ لموافقة الظاهر منها، فدونك نصه:

وقد كنا ذكرنا في هذه الآية وجهاً ارتضاه، وهو أشبه بالظاهر مما تقدم، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ الذنوب إليك؛ لأن الذنب مصدر، والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معاً، ألا ترى أنهم يقولون: (أعجبني ضرب زيد عمرواً) إذا أضافوه إلى المفعول.

ومعنى المغفرة ـ على هذا التأويل ـ هي الإزالة والفسخ والنسخ لأحكام أعدائه من المشركين عليه، وذنوبهم إليه في منعهم إياه عن مكة، وصدّهم له عن المسجد الحرام.

وهذا التأويل يطابق ظاهر الكلام؛ حتى تكون المغفرة غرضاً في الفتح ووجهاً له، وإلا فإذا أراد مغفرة ذنوبه [ﷺ] لم يكن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]، معنىً معقولٌ؛ لأن المغفرة للذنوب لا تعلّقَ لها بالفتح، إذ ليست غرضاً فيه.

الحلي: ص ١٤٢ (المبحث الثاني: أن الأنبياء معصومون) ، وكتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى... وغيرهما.

١) سورة الفتح: الآيتان ١ـ ٢.

فأما قوله ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فلا يمتنع أن يريد به: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾، وليس لأحد أن يقول: إن سورة الفتح نزلت على رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة وقد انصرف من الحديبية.

وقال قوم من المفسرين: إن الفتح أراد به فتح خيبر؛ لأنه كان تالياً لتلك الحال. وقال آخرون: بل أراد به أنا قضينا لك في الحديبية قضاءً حسناً.

فكيف يقولون ما لم يقله أحد من أنّ المراد بالآية فتح مكة، والسورة وإن كانت نزلت في الوقت الذي ذُكر ـ وهو قبل فتح مكة - فغير ممتنع أن يريد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فتح مكة، ويكون ذلك على طريق البشارة له، والحكم بأنه سيدخل مكة، وينصره الله على أهلها.

ولهذا نظائر في القرآن الكريم، والكلام كثير، ومما يقوّي أن الفتح في السورة أراد به فتح مكة، قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ...﴾، انتهى مرادنا[1].

ومما ينبغي التنبيه عليه:

أن مقابلة معاجز نبينا ﷺ ليست هي من جميع جهات المعجز والكرامات، بمعنى جامعيته ﷺ لأنواع الفضل والإعجاز، فقد يكون ما أعطي غيره[1] من المعجزة المعيّنة أزيد مما أعطي مما اختص به ﷺ .

---

١) تنزيه الأنبياء: ص ١٦٣ ـ ١٦٤. طبع دار الأضواء، بيروت.

ومما ينبغي التنبيه عليه:

أنه ليس المقصود في الحديث المذكور أنّ التقابل بمضاهات معاجز نبينا ﷺ بمن سواه من الأنبياء على نحو تَطابق الكلي، أي أن في كل معجزة اشتراك في كل الوجوه، بل المقصود المقابلة ولو بالاشتراك المعنوي، أعني نوع الإعجاز والكرامة من الكريم الوهاب (تعالى وتقدّس)، فالمقصود أنه تعالى أكرم حبيبه محمداً المصطفى ﷺ بما أكرم به كل الأنبياء، وزاده أضعافاً كثيرة ﴿**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾، ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾، بل ما فضل الأنبياء إلاّ شعاع من فضله ﷺ.

فمعاجزه وكرامته جامعة لكل خير، فهو علة الأيجاد.

يا علة الإيجاد يا سر المهيمن يا محمد
لولاك ما عُرف الإله ولم يوحدّه موحد
قد فُقت كل الأنبياء علماً وحلماً ثم سُؤدد
ولك الأيادي الوافرات عليهم كل مَشهد[2]

فنبينا ﷺ هو أول صادر من الفيض الأول، فلابد من جامعيّته لكل فضل وتكريم من المُوجد الفيّاض (تعالى وتقدّس) غير أنّ معجزاته

١) مثلاً: قد يظهر أن معجزة صالح ؑ وهي (الناقة) بخروجها من الجبل الأصم ـ وما رآه قومه كلهم منها ـ أعظم من تكليم البعير لنبينا ﷺ، لكن ليس لصالح ؑ ولا لغيره ما لنبينا ﷺ من أنواع الفضل والإعجاز. (منه رحمه الله).

٢) الأبيات من قصيدة المؤمن المتفاني في حب النبي وآله، الحجة الشيخ علي الجشي الخطي قدس سره المتوفي آخر نهار الثلاثاء منتصف جمادى الأولى ١٣٧٦. (منه رحمه الله).

وكراماته قد يكون بعضها ـ في الواقع والظاهر ـ أكبر مما لغيره من الأنبياء، كما في المشابهة بينه وبين آدم في سجود الملائكة، وتخصيصه ﷺ بنص الله عليه بصلواته وصلوات ملائكته والذين آمنوا بذلك، ولا شك أن في كل من الكرامتين ربحاً عظيماً لمن امتثل ذينك الأمرين، لكن عليك التأمل في مقدار الفرق بين الربحين، فقد ربحت الملائكة بامتثال أمر ربها بالسجود لآدم عليه السلام ، وحازت القُرب العظيم من الله تعالى، ولكن أين ذلك من ربحهم وكافة المكلفين الممتثلين لأمر ربهم بالصلاة على نبيه في الآية الكريمة من حين نزولها كلما ذُكر ﷺ حتى القيامة؟ فكم من أثر لهذه الصلوات عليه ﷺ للمصلين من القُربات برفع الدرجات وتبديل السيئات بالحسنات، كيف لا والأخبار المتعددة في فضلها يصرح الكثير منها بأنها تحُتُّ الذنوب كما تقدم في الخبر الصادقي[١].

ومن ذلك: ما ورد عن الرضا عليه السلام قال: «**من لم يقدر على ما يُكفّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله، فإنها تهدم الذنوب هدماً**»[٢].

ومن طريق إخواننا أهل السنة: ما في (المستطرف)[٣] ما نصه:

---

١) تقدم في الآية الثامنة، صفحة ١٨ في رواية المعاني عن الصادق عليه السلام .

٢) عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢٦٥ ح ٥٢.

٣) تأليف شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي المحلي، والحديث المذكور هو الحديث السادس من الباب الرابع والثمانين المشتمل على أربعين حديثاً في فضل الصلاة على النبي ﷺ . (منه رحمه الله) .

قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبرائيل عليه السلام يوماً فقال: يا محمد، جئتك ببشارة لم آت بها قبلك، وهي أن الله تعالى يقول لك: (من صلّى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له إن كان قائماً قبل أن يقعد وإن كان قاعداً غفر له قبل أن يقوم). فعند ذلك خرّ ﷺ ساجداً شكراً لله**»[1].

إذاً فالصلاة عليه ﷺ من أوضح سُبل التوبة، فلا غرو في قولنا بأن مِن أثرها تبدّل السيئات حسنات، وهي من أفضل الأعمال الصالحات، والله تعالى يقول: ﴿**إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[2].

وفي (المجمع) في تفسير هذه الآية وجوه، منها: ما أشرنا إليه من تبديل سيئات المؤمن بالحسنات في صحيفته ﴿**كِتَابٌ مَرْقُومٌ**﴾.

قال الشيخ الأمين رحمه الله ما نصه:

وقيل: إن معناه أن يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة، عن سعيد بن المسيب، ومكحول، وعمرو بن ميمون. واحتجوا بالحديث الذي رواه مسلم في الصحيح مرفوعاً إلى أبي ذرَّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، ونحّوا عنه كبائرها، فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وهو مقرّ لا يُنكر، وهو مشفق من الكبائر، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إنّ لي

---

١) المستطرف: ج ٢ ص ٨٧٨ ب ٨٤ ح ٦، وفي هذا الباب ٤٠ حديثاً.

٢) سورة الفرقان، الآية ٧٠.

ذنوباً ما أراها هاهنا؟ قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ﷺ»[١].

ونقل المحقق الكاشاني في (الصافي) ، عن (الأمالي) ، عن الباقر عن قول الله (عزّ وجل) ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فقال: «**يُؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يُوقف بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه، لا يُطلع على حسابه أحداً من الناس، فيُعرّفَه ذنوبَه، حتى إذا أقرّ بسيئاته قال الله (عزّ وجل) للكتبة: (بدّلوها حسنات، وأظهروها للناس). فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئةٌ واحدةٌ! ثم يأمر الله به إلى الجنة. فهذا تأويل الآية، وهي في المُذنبين من شيعتنا خاصة**»[٢]، انتهى...

ثم ساق رضي الله عنه من بعده بمعناه خمسة أخبار، وقال في أثناء كلامه: والأخبار في هذا المعنى كثيرة[٣].

فمن علم بهذا وأمثاله تيقن أنَّ للصلاة عليه ﷺ فوائد خطيرة، وعَرف الفرق الكبير، بين ما أكرمه الله به وبين ما أكرم الله به غيره من الأنبياء، آدم ومن بعد آدم.

---

١) مجمع البيان: ج ٧ ص ٣١٣.

٢) الأمالي (للمفيد): ص ٢٩٨ مجلس ٣٥ ح ٨، الأمالي (للطوسي): ص٧٢ م ٣ ح ١٤.

٣) تفسير الصافي: ج ٤ ص ٢٥.

وليس غرضي استصغار فضلهم عليهم السلام؛ إذ لا شك أن مثل سجود الملائكة لآدم عليه السلام من جلائل المنح الألهية لهم، لكنها لا تبلغ فضل الصلاة على وَلده محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما أوضحناه، مع أن حصول الفضل لآدم عليه السلام وغيره بسبب ولده محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما هو صريح كثير من الأخبار، ولا ريبة في علّيته صلى الله عليه وآله وسلم لكل الموجودات عند الأبرار، فتبصّر فيما قلناه كي تعرف به الموازنة أيضاً بين ما كرّم الله به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إدريس بقوله (عزّ وجل) : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[1]، وبين ما كرّم الله به حبيبه ونبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، فإنا لا ننكر عِظَم تلك الفضيلة لإدريس عليه السلام التي لازال الكتاب الكريم منوّهاً بها إلى يوم القيامة، وهي تصرّح بخصوصية إدريس عليه السلام وقربه من ربه تعالى، لكنها [حصلت له] من رفع الذكر لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم المنوه بها للكتاب المجيد دواماً مع بقاء الأثر كذلك، ومنه أثر الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كما أشرنا.

ومنه: التنويه بذكره صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الخمس اليومية في أذان الإعلام وغيره، وأن كل صلاة فريضة ونافلة لا تصح إلاّ بالصلاة عليه وآله[2]، فذكره صلى الله عليه وآله وسلم لايزال كذلك مدى الدهور للأولياء عز وسرور وللأعداء ذلة وكمد، ومنهم: معاوية بن أبي سفيان، كما أفاده عنه وليه

---

١) سورة مريم، الآية ٥٧.

٢) قال الإمام الشافعي:

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

المغيرة بن شعبة ـ على ما نقله علماء الجمهور ـ منهم ابن أبي الحديد في (شرح النهج) ، وابن عقيل في (النصائح الكافية)[1] ـ وقد ذكرنا القضية في كتابنا (النظرة الحسينية) المطبوع في النجف: ص ١٠٩.

وهذه الموازنة هي من ملاحظاتنا المشار إليها في الحديث العَلَوي.

ولكل من الأنبياء فضله، فالمقصود أنه ﷺ هو جامع الفضائل.

نعم، ربما يكون له بعضها بغير ظهورٍ مساوٍ لمقابلها لغيره، كما مر في الحديث المذكور من مقابلة دعاء نوح عليه السلام بالماء المنهمر، ودعوة نبينا ﷺ بالمطر، وكذلك مقابلة معجزة نار إبراهيم عليه السلام بمعجزته ﷺ بالشاة المسمومة، مع مقابلة معاجزه الثلاث في قضية الماء بمعجزة موسى عليه السلام

---

١) قال ابن أبي الحديد: لما سمع معاوية المؤذن يقول: «أشهد أن محمدا رسول الله» قال: (لله أبوك يا ابن عبد الله! لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين) . انظر: شرح نهج البلاغة: ج ١٠ ص ١٠١.

ولما تولّى زمام الحكم قال يوماً للمغيرة ـ عندما طلب منه ترك إيذاء بني هاشم؛ لأنها أبقى لذكره ! ! ـ : (هيهات! هيهات! أي ذكر أرجو بقاءَه؟! ملك أخو تَيم، فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عَدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر. ثم ملك أخونا عثمان، فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل، وعُمل به، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فُعل به، وإن أخا هاشم يُصرخ به في كل يوم خمس مرات: «أشهد أن محمداً رسول الله». فأي عمل يبقى مع هذا ـ لا أمَّ لك ـ والله إلاّ دفناً دفناً !). انظر: مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٤١ في (حوادث سنة ٢١٢)، شرح نهج البلاغة: ج ٥ ص ١٣٠، النصائح الكافية: ص ١٢٤.

بانفجار الماء، وكذلك معاجزه ﷺ الأربع: وهي قضية تسبيح الحصا وانفلاقها، وانشقاق الشجرة، ونطق ذراع الشاة المسمومة، في قبال معجزة عيسى عليه السلام بإحياء الموتى وخلقه الطير الحي من طين... معاجز مَنْ ذكرنا من الأنبياء عليهم السلام ، كل ذلك ثابت في الكتاب المقدس.

أما معاجزه ﷺ المذكورة أخيراً في الحديث فثبوتها من طرق الأخبار، وفيها من الطرق المعتبرة، كقضية الشجرة، فهي عند الله كما هو الواقع، لكنها في مقام الإثبات أخفى طريقاً، بَيْدَ أن معاجز من ذكرنا من الأنبياء هي داعية نُبُوَّتهم عليهم السلام ، ولم تثبت عندنا بطريق القطع إلا بدعامة نبوة نبينا ﷺ ألا وهو القرآن الكريم العظيم الذي فيه تبيان كل شيء، ألا وهو المعجزة الخالدة الملزم لكل ذي لبّ بالإذعان للنبوة المحمدية؛ لعجز كل أحد من الثقلين عن مقابلته، ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[1].

إذاً، فهو أكبر وأظهر من كل معجزة، إذ هو الدائم إلى يوم القيام، المتكفل بسعادة الموجودات، القائم للمكلَّفين بكل المهمات من الحكم والأحكام في الحلال والحرام، ومن تزكية الأخلاق، السالك بهم أسعد طريق في المعاش والمعاد، الجامع لهم من العلوم والقصص ما يحوز به كل فوائد، فمن عَلِمَهُ وعمل به أخذ بجميع أطراف الإنسانية، وكان من المقربين عند رب البرية، فلا غرو أن [يكون] الكتاب الحميد آيةً كافية للنبوة

---

١) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

المحمدية، فماله ﷺ من الفضائل والمعجزات ما هي إلا مزيد فضل، وهو [أي القرآن] كاشف عن أفضلية الذات الأحمدية عند الذات الأحدية (تعالى وتقدس) ، فهو عنده أكرم النبيين، وقد أعطاه من الفضائل والكرامات والمعجزات ما تحير في إدراكه الأفهام، وتضيق عن حصره الأقلام.

أما فضائله ومقاماته ﷺ فليس من الممكن إحصاؤها البتة.

وأما خصوص المعجزات الخارقة للعادة كانشقاق القمر[١] وأمثاله من تكليم الحيوانات العُجم والجمادات[٢]، فقد ضبطها العلماء فتجاوز عدها

---

١) روى الشيخ الطوسي ـ بسنده ـ عن علي بن موسى، عن أبيه، عن جده، عن آبائه عليهم السلام ، عن علي عليه السلام، قال: «انشق القمر بمكة فلقتين، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا، اشهدوا بهذا». الأمالي: ص ٣٤١المجلس ١٢ ح ٣٧.

وعن ابن مسعود وأنس: أنّ القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى رأوا الجبل من بين فرجتي القمر) ، فقال رسول الله ﷺ : «اشهدوا». مسند أحمد: ج ١ ص ٣٧٧ و ٤١٣ و ٤٥٦ ، أيضاً ج ٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٨. صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٨٦ و ٢٤٣ و ٢٤٤ وأيضاً ج ٦ ص ٥٢ و ٥٣ ، صحيح مسلم: ج ٨ ص ١٣٢ و ١٣٣.

٢) **أما البهائم**، فمنها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما نفروا برسول الله ﷺ ناقته [ليلة العقبة] قالت له الناقة: والله لا أزلت خفّاً عن خفّ ولو قُطّعت إرباً إرباً». الكافي: ج ٨ ص ١٦٥ ح ١٧٨، بصائر الدرجات: ص ٣٦٨ ج٧ ب١٥ ح٦، الاختصاص: ص ٢٩٧.

وعن أبي الدنيا معمّر المغربي، قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ : «كنت أرعى الغنم، فإذا أنا بذئب على قارعة الطريق، فقلت له: ما تصنع ههنا: فقال لي: وأنت ما تصنع ههنا؟ قلت: أرعى الغنم، قال لي مُر ـ أو قال ذا الطريق ـ قال: فسقت

الألوف[1]، وسيتضح إليك فيما يُتلى عليك مزيد بيان، فليس الغرض هنا إلاّ بعض التنبيهات المهمة في الحديث العَلَوي المذكور، وأهمها الكلام على دفع الإشكال في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، وقد اعتمدنا في ذلك على بيان العلمين العظيمين علم الهدى وكاشف الغطاء (رضوان الله عليهما). أما بيان علم الهدى رحمه الله فقد تقدم.

وأما الشيخ الفيلسوف المصلح الأعظم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله ـ المتقدم الذكر ـ فله ردّ حاسم للشبهة المذكورة في كتابه (المراجعات الريحانية) في مناظرته مع أمين الريحاني ـ أحد أدباء ومفكري

الغنم، فلما توسط الذئب الغنم إذا أنا بالذئب قد شدّ على شاة فقتلها، قال: فجئت حتى أخذت بقفاه فذبحته وجعلته على يدي وجعلت أسوق الغنم... الخبر». كمال الدين: ص ٥٤٢ ب ٥٠ ح ٧.

وأما الجماد، فمنها:

عن إبراهيم بن عبد الأكرم الأنصاري: أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل هو وسهل بن حنيف وخالد ابن أيوب الأنصاري حائطاً من حيطان بنى النجّار، فلما دخل ناداه حجر على رأس بئر لهم عليه السواني يصيح: عليك السلام يا محمد، اشفع إلى ربك أن لا يجعلني من حجارة جهنم التي يُعذب بها الكفرة. فقال النبي صلى الله عليه وآله ـ ورفع يديه ـ: «اللهم لا تجعل هذا الحجر من أحجار جهنم». ثم ناداه الرمل: السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته، ادع الله ربك أن لا يجعلني من كبريت جهنم. فرفع النبي صلى الله عليه وآله يديه وقال: «اللهم لا تعجل هذا الرمل من كبريت جهنم». بصائر الدرجات: ص ٥٢٤ ج ب ح ، وانظر: الثاقب في المناقب: ص ٦٩ ـ ٧٠ ب ١ ح ٥٢.

١) يكفي الرجوع إلى كتاب مدينة المعاجز (ج ١) للسيد هاشم البحراني رحمه الله ففيه المُراد.

المسيحيين ـ عندما انتقد الشيخ في عصمة الأنبياء وأشكل عليه في حق نبينا ﷺ بالآية المذكورة وهي قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ، فإليك كلمة قيّمة من كلامه الجليل:

قال رحمه الله ما نصه: فإنا لا نشك أنك ضليع بمعرفة الدين الإسلامي، فكيف هذا غاب عنك أن المراد بالذنب في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ ليس هي الآثام والمعاصي كما تحسبها. وإلا فأي مناسبة بين فتح مكة وبين تلك الذنوب التي هي نواة إلهيّة وحقوق ربوبية؟ وهل يرتاب من له أدنى حظّ من العربية أن المراد بها ذنوبه وسيئاته عند أهل مكة ومشركي العرب وجبابرة قريش الذين أخرجوه من وطنه، وطردوه من أعز البلاد عليه، وفعلوا فيه الأفاعيل، وتربّصوا به الدوائر، وآذوه بما لم يؤذ به نبي قط، وكان ـ حسب العادة ـ لو لم يكن نبياً ـ على خُلق عظيم، أنه لو ظفر بهم وتمكن منهم لانتقم منهم أسوأ الانتقام، ولاسيما إذ ملكهم عنوة، وأوجف عليهم بالخيل والركاب؟ ولكنه ﷺ فعل ضد ذلك لما ملكهم بالفتح المبين في فتح مكة بأن تجلّى من حلمه ﷺ ، وسجاحة خلقه ﷺ ، وكرم طباعه ما يكفيه عن كل معجزة، ويقوم له عن كل برهان وآية، وعند ذلك طابت نفوس قريش، وذهبت حزازات صدورهم، وحرارات قلوبهم، وغفرت ذنوب محمد ﷺ عندهم التي ينعتونها عليه، وبرز أولها منه من سب آلهتهم، وإفساد صبيتهم ـ بزعمهم ـ وتسفيه حلومهم، إلى كثير من مثله.

نعم، فتح الله ذاك الفتح لنبيه ﷺ ومكَّنه من أعداءه ذلك التمكين؛ ليظهر مقامه المنيع، وشأوه الباذخ الذي يتعذر أو يتعسر مثله عادة في الطبائع البشرية. فتح له ذلك الفتح، وأظهر منه ذلك الحلم والمكانة العظمى من «العفو عند المقدرة» ؛ كل ذلك ليغفر الله ذنوبه عند قريش، وتعود سيئاته عندهم حسنات، ومساويه مكرمات، ويعلموا أن جميع ما كانوا يعدلوه من الذنوب المتقدمة منه ﷺ إنما هي لمصالحهم وخيرهم، وهو بذلك جدير، بأن يتطامنوا[1] له بالخضوع والخشوع، والانقياد والتسليم، حتى لما يقع منه متأخراً مما يعدوه له ذنوباً عليه قبل[2]. انتهى.

وهذا المعنى المتين المصوغ في الكلام الرائق البليغ مشابه للمعنى السابق من السيد علم الهدى (رضوان الله عليه) بل يزيد عليه بحُسن التركيب الموافق للأسلوب الحديث، ويمتاز عنه بالبُعد عن المجاز في الألفاظ، والأقربية في التأويل في التركيب وإن كان لا يخلو منه، إذ هو لابد منه في التوجيه، فتدبره بإنصاف؛ ففيه كشف الغطاء عن وجه الحقيقة.

وكم له رحمه الله من كواشف دافعة للشبهات وأيادٍ على الإسلام ناصعات، ولو لم يكن له إلا كتاب (الدعوة الإسلامية) لكفى، ويالها من دعوة دعا فيها بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادل فيها بالتي هي أحسن، أقام فيها البراهين القاطعة، والأدلة الشافية على حقيقة دين المصطفى، فحسم فيها

---

١) تطامنَ له أي طأطأ وانحنى له. انظر: الصحاح: ج ١ ص ٦٠ مادة (طأطأ).

٢) المراجعات الريحانية: ج١ ص ١٤٢ ـ ١٤٤.

الشبهات بما أقامه من أعلام توحيد الله، وعدله المنتشر من كماله المطلق (جلّ وعلا)، وقد سطعت فيها أنوار النبوة بالأدلة العقلية، وأشرقت فيها ـ على الخصوص ـ شمس النبوة المحمدية بما حقق فيها من إعجاز المعجزة الخالدة ألا وهو القرآن الكريم، الفرقان العظيم، الكتاب المجيد، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١]، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآَنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٢]، ويا له من معجزة قاهرة لكل من خالفه وتحدّاه، ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٣].

---

١) سورة فصّلت: الآية ٤٢.

٢) سورة فصّلت: الآية ٤٢. وسورة البروج: الآيتان ٢١ ـ ٢٢.

٣) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

النظرة الثالثة

في معاجزه ﷺ وأن علياً عليه السلام نَفْسُه

فالقرآن كافٍ في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ تأسيساً وتشييداً كما أشرنا إليه سابقاً، ولو لم تكن له ﷺ معجزة سواه، مع أنه قد جاء عنه من المعجزات ما ينيف على الألوف.

وقد تعرض الشيخ المذكور آنفاً في (دعوته) لجملة منها، فدونكها تيمّناً وتشريفاً، وحلية لكتابنا:

قال رحمه الله ما نصه:

نعم، قد تظافرت المتواترات وتواصلت القطعيات بما صدر عنه من المعجزات وخوارق العادات التي انشق عجباً بها القمر المنير، وظللته الغمامة عن حر الهجير، وسبّحت الحصيات في أصابعه، ونبع الماء من بين أشاجعه[1]، وسلّمت عليه الغزالة، وردّت إليه الشمس بعد الغروب، وتنقّلت الشجرة امتثالاً لأمره ﷺ ، حتى وقعت بين يديه، وسجد كل حجر ومدر مرّ عليه، وحن الجذع له حنين الهائم، وكلّم الموتى، وخاطبته البهائم،

---

١) الأشاجع هي مفاصل الأصابع، وقيل: رؤوس الأصابع، وقيل: عروق ظاهر الكف. انظر: لسان العرب: ج ٧ ص ٣٧.

وأثمر من ماء وضوءه الشجر اليابس، وغرس من الأعواد فأينعت على الفور في الفلوات البسابس[١]، وارتج لولادته إيوان كسرى، وما سقط ـ زاد الله شرفه ـ حتى أسقط من شُرفاته أربعاً وعشراً، وما فاضت بحور بركاته حتى فاضت بحيرة ساوة، وما أشرقت أنواره حتى خمدت له نار فارس، ولم تخمد قبلُ بألف سنة.. إلى أمثال ذلك مما يضيق عن عده المقام[٢]، انتهى.

وغرضنا منه التعبّد بذكر معاجزه ﷺ وتخصيص ذلك بما في (الدعوة) ؛ لما فيها من حُسن التركيب، والوثوق بنقل صاحبها الجليل كاشف الغطاء عن شبهات الأضاليل، مع أن بعض ما ذكر قد تقدم في الحديث العلَوى المتضمن لنبذة من معاجزه ﷺ .

ومنها: قصة الشجرة، وقد ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في آخر الخطبة القاصعة المروية في (النهج) وإني لأرغب جداً في أن أطرّز كتابي هذا بكلماته عليه السلام ؛ طمعاً فيما حوته العبارات من البلاغة وبديع التركيب، فكلامه عليه السلام في ذلك السفر الكريم تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، وهو من المسلَّمات عند الفريقين.

قال عليه السلام : «**ولقد كنت معه ﷺ لما أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادعيت عظيماً لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إنْ أجبتنا إليه وأريتناه عَلِمنا أنّك نبي ورسول، وإنْ لم تفعل**

---

١) البسبس: هو المكان القفر الخالي. انظر: القاموس المحيط: ج ٢ ص ٢٠٨ .

٢) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٣٥٦.

علمنا أنك ساحر كذاب. فقال ﷺ : وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال ﷺ : إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم. قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وأنّ فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزِّب الأحزاب! ثم قال ﷺ : يا أيتها الشجرة، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله، فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله... فوالذي بعثه بالحق لانْقَلَعت بعروقها، وجاءت ولها دويٌّ شديدٌ، وقصفٌ كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة، وألقَت بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ ، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه ﷺ !

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا ـ علواً واستكباراً ـ : فمُرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها. فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشده دوياً، فكادت تلتف برسول الله ﷺ . فقالوا ـ كفراً وعتواً ـ : فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان... فأمره ﷺ فرجع.

فقلت أنا: لا إله إلا الله، فإني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى؛ تصديقاً بنبوتك، وإجلالاً لكلمتك. فقال القوم كلهم: بل ساحر كذّاب، عجيب السحر خفيف فيه،

وهل يصدّقك في أمرك إلاّ مثل هذا الغلام! يعنوني، وإني من قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم»[١]، انتهى.

ومعاجزه ﷺ ومناقبه أكثر من أن تحصى.

أما المناقب:

فلا جُزاف في قولي في عدم إمكان إحصائها، وقد حققنا ذلك بالتحليل العقلي والنقلي في (النظرة النفسية)[٢] في الكلام على الحديث عنه ﷺ في مناقب ابن عمه، ومضمونه: (أنه لو كانت الغِياضُ[٣] أقلاماً، والبحر مداداً، والجن حُسّاباً، والإنس كُتّاباً، ما أحصوا فضائل علي عليه السلام)[٤].

وملخص ما أشرنا إليه هو: أنّا إنْ لاحظنا أنفاس أمير المؤمنين عليه السلام في مبيته على فراش ابن عمه رسول الله ﷺ ـ فداءً له في هجرته ـ نتصور مذعنين، ونصدّق مؤمنين، بأن كل نَفَسٍ في آنات من الزمان، وكل آن هو جزءُ سببٍ في سلامة سيد المرسلين ﷺ ، إذاً فكل آنٍ بإزائه رتبة في قُربهِ من الكريم الوهاب، وجدير أنْ تُعد كلُ رتبةٍ مَنقبةً له عليه السلام .

---

١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩٢.

٢) في الشعاع الثاني عشر، صفحة ٧٣ من طبعة دار كميل، ١٤٣٠ هـ ص ٢٠٠٩ م.

٣ جمع غيضة، الموضع الكثير الشجر والماء، وأيضاً الشجر الملتفّ. كما في المعجم الوسيط.

٤) عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ: «**لو أنّ الغياض أقلام، والبحار مداد، والجنّ حسّاب، والإنس كتّاب، ما قدروا على إحصاء فضائل عليّ بن أبي طالب**». انظر: المناقب: ٣٢.

وعلى ذلك فقس ضربته لعمرو بن عبد ود العامري يوم الخندق التي (لم يَزنْ وزنُ أجرها ثقلاها)[١] كما هو مضمون النبوي المسلّم بين الفريقين[٢]. وعلى هذا الوزان جهاده في بدر، وأحد، وخيبر، وحُنين، وغير ذلك من مواطن ابن عمه ﷺ. إذاً، فهي أصل الإسلام وفضل المسلمين.

ونظير ذلك: علمه عليه السلام وتعليماته. ولا ريب أن جميع العلوم من علمه وإرشاداته، وجميع علماء المسلمين عيال عليه، وأجورهم بسبّه، فله أضعاف أجورهم ـ كما في الأثر الصحيح ـ.

فظهر بهذا التقريب أنّ أجر كل عمل وفضل كل عامل من كل فرد من المسلمين ما هو إلاّ بسبب أمير المؤمنين عليه السلام.

فإذ قد ثبت هذا في حقه عليه السلام فالأجدر والأولى أن يُسلّم في حق ابن عمه سيد المرسلين ﷺ؛ إذ هو أصل كل خبر وفضل، ووساطة الفيوض الإلهية لكل فرد، أمير المؤمنين عليه السلام ومن دونه، فهو ﷺ سيده وإمامه، وما فضله وغيره إلاّ منه ﷺ؛ لانحصار سببية كل خير فيه ﷺ، فمن ذا يتصور إحصاء مناقبه، فالعقل قاض بعدم إمكان ذلك، وقد أشرنا لذلك آنفاً.

---

١) جاء في رائعة الشيخ كاظم الأزري ـ المتقدمة الذكر ـ:

و إلى الحشر رنّة السيف منه يملاء الخافقين رجعُ صداها

يا لها ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل أجرها ثقلاها

٢) يشير إلى قوله ﷺ: «**برز الإيمان كله إلى الشرك كه**» المروية في مصادر عدّة، منها: شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ١٣ ص ٢٦١، ج ١٩ ص ٦١، ينابيع المودّة:ج ١ ص ٢٨١، العثمانية (الجاحظ): ص ٣٤٢، حياة الحيوان (الدميري): ج ١ ص ٣٨٧.

وأما معاجزه الخارقة:

فالمروي منها عند الفريقين ألوفٌ، ذكر ذلك الثقة الشيخ محمد بن علي ابن شهرآشوب من علماء القرن السادس في كتابه (مناقب آل أبي طالب) وفيه اثنا عشر فصلاً في خصوص معاجزه ﷺ ، ويليها الفصل الثالث عشر في خواصّه ﷺ ، وإليك من كلامه رحمه الله في ذلك كلمة جليلة، وفيها إجمال ما فصّل:

قال رحمه الله في آخر الفصل ما نصه: وفي باب الآخرة: وذلك أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة، وأنه يشهد لجميع الأنبياء بالأداء، وله الشفاعة، ولواء الحمد، والحوض، والكوثر، ويَسأل في غيره يوم القيامة، وكل الناس يسألون في أنفسهم، وأنه أرفع النبيين درجة وأكثرهم أمّة.

وكان له معجزات لم تكن لغيره، وذكر أن له أربعة آلاف وأربعمائة وأربعين معجزة، ذكرت منها ثلاثة آلاف، تتنوع أربعة أنواع: ما كان قبله، وبعد ميلاده، وبعد بعثته، وبعد وفاته، وأقواها وأبقاها: القرآن؛ لوجوه: أحدها: أن معجزة كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره، كما بعث الله موسى في عصر السحرة بالعصى، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ ، وفلَق البحر يبساً، وقلب العصى حيّة، فأبهرَ كل ساحر، وأذلَّ كل كافر. وقوم عيسى أطبّاء، فبعثه الله بإبراء الزُمْنى[1]، وإحياء الموتى، بما دهش كل طبيب، وأذهل كل لبيب. وقوم محمد ﷺ بُلغاء، فصحاء، فبعثه الله بالقرآن في إيجازه

---

١) أصحاب الأعراض المُزمنة، كالشلل والعمى والصمم وغيرها.

وإعجازه، بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البُلغاء، وتبلّد فيه الشعراء؛ ليكون العجز عنه أقهر، والتقصير فيه أظهر.

والثاني: أن المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم، وكان في بني إسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادَة وغباوة؛ لأنه لم يُنقل عنهم من كلام جزلٍ أو معنى بكرٍ، وقالوا لنبيهم حين مرّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم: ﴿**اجْعَل لَّنَا إِلَهًا**﴾ . والعرب أصح الناس أفهاماً، وأحدّهم أذهاناً، فخُصّوا بالقرآن بما يدركونه بالفطنة دون البديهة؛ لتخص كل أمة بما يشاكل طبعها.

والثالث: أن معجز القرآن أبقى على الأعصار وأنشر في الأقطار، وما دام إعجازه فهو أحجُّ، وبالاختصاص أحق، فانتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً، قرناً بعد قرن، عصراً بعد عصر، وقد انقرض القوم وهذه سنة سبعين وخمسمائة من مبعثه ﷺ [1]، انتهى مجمله.

وهذه الكلمة كافية لمن له أذن واعية، ولكن النفس المتكهربة بنور الحب المحمدي، الواصلة بقوة العقل إلى الملكوت الأحمدي، تنزع بمغناطيس الودّ إلى تفاصيل المعاجز المُثلِجة لأفئدة الإنسانية ببرد المودة الروحانية، فلنحرر من بعض ما ذكره الشيخ المذكور في الفصول المشار إليها بالتفصيل فإليك من كل فصل أربعاً تيمناً بعدد حروف صاحبها فدونكها حرفياً محذوفة السند:

---

١) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

فمن **فصل إجابة دعائه** ﷺ :

١ـ سار النبي ﷺ إلى بني شاجعة فجعل عليهم الإسلام فأبوا وخرجوا عليه في خمسة آلاف فارس، فتبعوا النبي ﷺ ، فلما لحقوا به عاجلهم بدعوات فهبّت عليهم ريح فأهلكتهم عن آخرهم[١].

٢ـ لما قَتَلَ العرنيّون[٢] راعيَ النبي ﷺ دعا عليهم فقال: «اللهم عمّ عليهم الطريق»، قال: فعمي عليهم حتى أدركوهم وأخذوهم[٣].

٣ـ وخطب ﷺ امرأة، فقال أبوها: إن بها برصاً؛ امتناعاً، ولم يكن بها برص، فقال ﷺ : «فلتكن كذلك»، فبرصت[٤].

٤ـ وعنه ﷺ أنه رأى رجلاً يأكل بشماله، فقال له: «كل بيمينك»، فقال لا أستطيع، فقال ﷺ : «لا استطعتَ» فماطالت يده فاه بعد[٥].

وفي **فصل الهواتف في المنام**:

١ـ قال تميم الداري: أدركني الليل في بعض طرقات الشام، فلما أخذت مضجعي قلت: أنا الليلة في جوار هذا الوادي، فإذا مناد يقول: عذباً لله، فإن الجن لا تجير على الله أحداً، قد بُعث نبي الأمّيين محمد رسول الله

---

١) ن، م، ص ١١١.

٢) هم بطنٌ من قبيلة بَجَلة العربية.

٣) ن، م، ص ١١٣.

٤) ن، م، ص ١١٤.

٥) ن، م، ص ١١٥.

ﷺ ، وقد صلينا خلفه بالحجون، وذهب كيد الشياطين، ورُميت بالشهب، فانطلق إلى محمد ﷺ رسول رب العلمين[١].

٢ـ [روى الزهري في حديث جبير بن] مطعم، عن أبيه، قال: كنّا جلوساً قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر، ونحرنا جزوراً، فإذا صائح يصيح من جوف الصنم: اسمعوا العجب، ذهب استراق الوحي، ويُرمى بالشُهب لنبي بمكة اسمه محمد، مهاجرته إلى يثرب[٢].

٣ـ وقال عمرو بن حيلة الكلبي: عترنا[٣] عتيرة لعَمرة ـ اسم صنم ـ فسمعنا من جوفه مُخَاطَبَ سادنه (عصام) : يا عصام، جاء الإسلام، وذهبت الأصنام، وحُقنت الدماء، ووُصلت الأرحام. ففزعنا من ذلك، وعترنا أخرى فسمعنا يقول لرجل اسمه (بكر) : يا بكر بن جبل، جاء المُرسل، يصدّقه المطعمون في المحل، أرباب يثرب ذات النخل، ويكذّبه أهل نجد وتهامة، وأهل أفلح واليمامة، فأتيا النبي ﷺ واسلما[٤].

٤ـ تكلم شيطان من جوف هُبل بهذه الأبيات:

قاتل الله رهط كعب بن فهر ... ما أضل العقول والأحلاما

جاءنا تائه يعيب علينا ... دين آبائنا الحماة الكراما

---

١) ن، م، ص ١٢١.

٢) ن، م، ص ١٢٥.

٣) العتيرة: ما يُذبح للأصنام.

٤) ن، م، ص ١٢٤.

فسجدوا كلهم وتنقّصوا النبي ﷺ ، وقال: هلمّوا غداً نسمع أيضاً، فحزن النبي ﷺ، فأتاه جنّي مؤمن فقال له: يا رسول الله، أنا قتلت (مَسعر الشيطان) المتكلم في الأوثان، فأحضر المجمع لأجيبه، فلما اجتمعوا ودخل النبي ﷺ خرّت على وجوهها، فنُصبوا وقالوا: تكلم، فقال:

أنـــا الـــذي ســـمّاني المطهـــرا   أنـــا قتلـــت ذا الفجـــور مســـعرا
وإذ طغـــى لمـــا طغـــى واســـتكبرا   وأنكـــر الحـــق ورام المنكـــرا
بـشـتـمـه نـبـيـنـا المـطهـــــــرا   قد أنزل الله عليه الســــــــــورا
مـن بـعـد مـوسـى فـاتـه عـنا الأثـرا

فقالوا: إن محمداً يخادع اللاّة كما يخادعنا[١].

وفي فصل نُطق الجمادات:

١ـ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**كنت أخرج مع النبي ﷺ إلى أسفل مكة وأشجارها، فلا يمرّ بحجر أو شجر إلاّ قالت: السلام عليك يا رسول الله، وأنا أسمع**»[١].

٢ـ علقمة وابن مسعود: كنّا نجلس مع النبي ﷺ ونسمع الطعام يسبّح، ورسول الله ﷺ يأكل[٢].

١) ن، م، ص ١٢٥.

٢) ن، م، ص ١٢٥.

٣ـ وأتاه مكرز العامري وسأله آيةً، فدعا بتسع حصيّات فسبّحت في يده ﷺ[١].

٤ ـ ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم ملوك حضرموت على النبي ﷺ فقالوا له: كيف تعلم أنك رسول الله ﷺ ؟ فأخذ كفّاً من حصا فقال: «هذا يشهد أنّي رسول الله» ، فسبّح الحصا في يده، وشهد أنه رسول الله ﷺ[١].

ومن **فصل إجابة دعائه**: دعاؤه لمن دعا له:

١ـ في حديث جابر: أن امرأة من المسلمين قالت: أريد ما تريد المسلمة، فقال النبي ﷺ : «علي بزوجها» ، فجيئ به، فقال له في ذلك، ثم قال لها: «أتبغضينه؟» قالت: نعم والذي أكرمك بالحق، فقال: «أدنيا رؤوسكما» ، فوضع جبهتها على وجهه ثم قال ﷺ : «اللهم ألّف بينهما وحبب أحدهما إلى صاحبه» [ثم رآها النبي تحمل الأدم على رقبتها، وعرفته، فرمت الأدم ثم قبّلت رجليه، فقال ﷺ : «كيف أنت وزوجك؟» ، فقالت: والذي أكرمك بالحق ما في الزمان واحد أحب إلي منه][٢].

٢ـ وكان عند خديجة امرأة عمياء، فقال ﷺ: «لتكونن عيناك صحيحتين» ، فصحتا، فقالت خديجة: هذا دعاء مبارك، فقال ﷺ : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[٣].

---

١) ن، م، ص ١٢٦.

٢) ن، م، ص ١٢٧.

٣) ن، م، ص ١٢٧.

٣ـ مرض أبو طالب عليه السلام فعاده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عليه السلام: سل ربك أن يعافيني. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللهم اشف عمي**» ، فقام أبو طالب عليه السلام كأنّه أنشط [من عقال][(١)].

٤ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، بعثتني وأنا حَدَثُ السن، ولا علم لي بالقضاء! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فانطلق، فإن الله تعالى سيهدي قلبك، ويثبّت لسانك. قال علي عليه السلام: فما شككت في قضاء بين اثنين»[(١)].

وفي **فصل كلام الحيوانات**:

١ـ جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفي يده ضب ـ فقال: يا محمد، لا أسلّم عليك حتى يسلّم عليك هذا الحيّة [الكائن الحي]، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «من ربك؟» فقال: الذي في السماء ملكه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر عجائبه، وفي البر براهينه، وفي الأرحام علمه. ثم قال: «يا ضب، من أنا؟» ، قال: أنت رسول رب العلمين، وزين الخلق يوم القيامة أجمعين، وقائد الغر المحجلين، قد أفلح من آمن بك وأسعد. فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ضحك وقال: دخلتُ عليكَ وكنتَ أبغضَ الخلق إليّ، وأخرج وأنتَ أحبُّهم إليّ... إلى آخره، وفيه: جاء الأعرابي بقومه مسلمين، فسرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسلامهم[(٢)].

---

١) ن، م، ص ١٢٨.

٢) ن، م، ص ١٣١.

٢ـ عن الصادق عليه السلام : «إنه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بظبية مربوطة بطَنَب خيمة يهودي، فقالت: يا رسول الله، إني أم خشفين عطشانين، وهذا ضرعي قد امتلأ لبناً، فخلّني حتى أرضعهما ثم أعود (فتربطني) في طنبي، فقال: (أخاف أن لا تعودي)، فقالت: جعل الله علي عذاب العشّارين إن لم أعد. فخلّى سبيلها، فخرجت وحكت لخشفيها ما جرى، فقالا: لا نشرب اللبن وضامنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أذى منك، فخرجت مع خشيفها إلى رسول الله، وأثنت عليه، وجعلا يمسحان رؤوسهما برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فبكى اليهودي، وأسلم، وقال: قد أطلقتها، واتخذ هناك مسجداً، فخنق[١] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أعناقها بسلسلة وقال: (حرمت لحومكم على الصيادين)»[٢].

٣ـ أمير المؤمنين عليه السلام : «كنا معه فإذا نحن بأعرابي قد أتى بأعرابي وقال: إنه قد سرق ناقتي ـ وهو يسوقها ـ وقد استسلم للقطع لما زوّرا عليه الشهود، فقالت (الناقة): يا رسول الله: إن فلاناً مني بريء، وإن الشهود شهدوا بالزور، وإن سارقي فلان اليهودي»[٣].

٤ـ أتى أبو ذر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن لي غُنيمات وأكره أن أفارق حضرتك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إنك فيها» ، فلما كان يوم السابع جاءه فقال: بينا أنا في صلاتي إذ أخذ الذئب حملاً فاستقبله أسد فقطعه نصفين واستنقذ

---

١) الخَنَقُ: هو الطوق والقلادة، ومنه قولهم: المِخنقة ـ بكسر الميم ـ أي القلادة.

٢) ن، م، ص ١٣٢.

٣) ن، م، ص ١٣٤.

الحمل ورده للقطيع، وناداني: يا أبا ذر، أقبِل على صلاتك، فإن الله تعالى قد وكّلني بغنمك إلى أن تصلي. فلما فرغت منها قال: امض إلى محمد فأخبره بحفظي لغنمك[١].

وفي **فصل تكثير الطعام والشراب:**

١ـ أصاب الناس مجاعة في تبوك فقالوا له: إن أذنت لنا نحرنا نواضحنا. فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يأتي بكف الذرة، والآخر بكف التمر، والآخر بالكسرة، حتى اجتمع على النطع شيء من ذلك، ثم دعا لهم بالبركة، ثم قال ﷺ : «خذوا في أوعيتكم». قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلاّ ملؤوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يقولها أحد إلا حرمه الله على النار[٢].

٢ـ رأى النبي ﷺ عَمرة بنت رواحة تذهب بتميرات إلى أبيها يوم الخندق، فقال ﷺ : «اجعليها على يدي»، ثم جعلها على نطع، فجعل التمر يربو، حتى أكل منه ثلاثة آلاف رجل[٣].

---

١) ن، م، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

٢) ن، م، ص ١٤٠.

٣) ن، م، ص ١٤٠.

٣ـ أن أم شريك أهدت إلى النبي ﷺ عكة فيها سمن فأمر النبي ﷺ الخادم ففرغها وردها خالية فجاءت أم شريك فوجدت العكة ملآنة فلم تزل تأخذ منها السمن زماناً طويلاً وأبقى لها شرفاً[١].

٤ـ أمير المؤمنين عليه السلام : «إن رسول الله ﷺ أمرني في بعض غزواته ـ وقد نفذ الماء ـ (يا علي قم وائت بتنور)، قال: فأتيته به فوضع يده اليمنى ويدي معها في التنور فقال: (انبع) ، فنبع»[٢].

وفي **فصل معجزات أقواله:**

١ـ أخبر ﷺ ـ وهو بتبوك ـ بموت رجل بالمدينة عظيم النفاق، فلما قدموا المدينة وجدوه قد مات في ذلك اليوم[٣].

٢ـ وأخبر ﷺ بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن، وأخبر ﷺ باسم من قتله[٤].

٣ـ وقال ﷺ يوماً لأصحابه: «اليوم تنصر العرب على العجم»، فجاء الخبر بوقعة ذي قار بنصر العرب على العجم[٤].

٤ـ وكان ﷺ يوماً جالساً بين أصحابه فقال: «وقعت الواقعة، أخذ الراية زيد بن حارثة، فقتل ومضى شهيداً، وقد أخذها بعده جعفر بن أبي

---

١) ن، م، ص ١٤٢.

٢) ن، م، ص ١٤٣.

٣) ن، م، ص ١٤٨.

٤) ن، م، ص ١٤٨.

طالب عليه السلام ، وتقدم فقُتل ومضى شهيداً، ثم وقف صلى الله عليه وآله وسلم وقفة؛ لأن عبد الله كان قد توقف عند أخذ الراية، ثم أخذها، ثم قال: «أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم فقتل شهيداً» ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أخذ الراية خالد بن الوليد فكشف العدو عن المسلمين[١].

في فصل معجزات أفعاله:

١ـ محمد بن خاطب: انكبّ القدر على ساعدي في الصغر، فأتت بي أمي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قالت: فتفل في فيَّ، ومج على ذراعي، وجعل يقول: «أذهب الباس رب الناس[١]، واشف أنت الشافي، لا شافي إلاّ أنت، شفاء لا يغادر سقماً» ، فبرئ بإذن الله تعالى[٢].

٢ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح رأس غلام وقال: «عش قرناً» فعاش مائة[٣].

٣ـ وقُطعت يد أنصاري ـ وهو عبد الله بن عتيك ـ في حرب أحد فلزمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونفخ عليه فصار كما كان[٣].

٤ـ تفل[٣] صلى الله عليه وآله وسلم في عين علي عليه السلام وهو أرمد في يوم خيبر، فصحّ من وقته[٤].

---

١) الصحيح: أذهب النار ربَ النار. (منه رحمه الله).

٢) ن، م، ص ١٥٦.

٣) في المناقب المطبوع والبحار: نفخ.

٤) ن، م، ص ١٥٧.

نبذة في معاجز ذاته، وغيرها:

١ـ جابر بن عبدالله الأنصاري: كان ﷺ لا يمرّ في طريق فيمر فيه إنسان بعد يومين إلا عرف أنه عبر فيه[١].

٢ـ أم سليم: كانت تجمع عَرَقه وتجعله في الطيب[٤].

٣ـ أتي رسول الله ﷺ بدلو من ماء فشرب، ثم توضأ فتمضمض، ثم مج في الدلو، فصار مسكاً أو أطيب منه[٤].

٤ـ وكان ﷺ لا يمر على شجرة إلاّ سلمت عليه، ولم يجلس عليه الذباب، ولا تدنُ منه هامة ولا سامة[٢].

في فصل إعجازه ﷺ:

١ـ لما خرج النبي ﷺ إلى الغار وبلغ الجبل وجده مصمتا، فانفرج حتى دخل رسول الله ﷺ الغار[٣].

٢ـ جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وسأله آيةً، فدعا النبي العذق ينزل، فجاء العذق من النخلة، فنزل حتى سقط في الأرض، فجعل يَبْقُرُ [يمشي] حتى أتى النبي، فقال ﷺ: «عد إلى مكانك»، فعاد، فأسلم الأعرابي[٤].

---

١) ن، م، ص ١٦٥.

٢) ن، م، ص ١٦٨.

٣) ن، م، ص ١٧٠.

٤) ن، م، ص ١٧٢.

٣ـ الصادق عليه السلام : «أنه ذُكر قوة اللحم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما ذقته منذ كذا» ، فتقرب إليه فقير بجدي كان له، فشواه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «كلوه ولا تكسروا عظامه» ، فلما فرغوا أشار إليه فقال: «انهض بإذن الله تعالى» ، فأحياه، فكان يمر عند صاحبه كما يساق[١].

٤ـ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لما غزونا خيبر، ومعنا من يهود فدك جماعة، فلما أشرفنا على القاع إذا نحن بالوادي والماء يقلع الشجر، ويدهده الجبال» ، قال: «فقدرنا الماء فإذا هو أربعة عشر قامة، فقال بعض الناس: يا رسول الله، العدو من ورائنا والوادي من قدامنا، فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فسجد ودعا الله تعالى، ثم قال: (سيروا على اسم الله) » ، قال: «فعبرت الخيل والإبل والرجال»[٢].

فصل فيما ظهر من الحيوانات والجمادات:

١ـ لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة تعلق الناس بزمام الناقة فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «دعوا الناقة فإنها مأمورة، فعلى باب من بركت فأنا عنده» ، فأطلقوا زمامها وهي تهفّ[٣] في السير، حتى دخلت المدينة، فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري رحمه الله ، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فانقطعت قلوب الناس

---

١) ن، م، ص ١٧٣.

٢) ن، م، ص ١٧٤.

٣) تهفّ في السير: أي تُسرع.

حسرة على مفارقة رسول الله ﷺ ، فقال أبو أيوب: يا أمّاه، افتحي الباب، فقد قدم سيد البشر وأكرم ربيعة ومضر، محمد المصطفى ﷺ ، والرسول المجتبى. فخرجت وفتحت الباب، وكانت عمياء، فقالت: واحسرتا، ليت لي عيناً أبصر بها إلى وجه سيدي رسول الله ﷺ ! فكان أول معجزة للنبي ﷺ في المدينة أن وضع كفه على وجه أم أبي أيوب فانفتحت عيناها[١].

٢ـ يعلى بن سيّابه، قال: كنت مع النبي ﷺ في مسيره فأراد أن يقضي حاجته، فأمر نخلتين أن تنضم إحداهما إلى الأخرى، ثم أمرهما بعد قضاء حاجته أن ترجعا إلى منبتهما فرجعتا[٢].

٣ـ ومر ﷺ في غزوة الطائف في كثير من طلح وسدر، فمشى وهو وَسِنٌ من النوم، فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين، فمر بين نصفيها، وبقيت منفرجة على ساقين إلى زماننا هذا يتبرك بها كل مارٍّ، ويسمّونها سدرة النبي ﷺ[٣].

٤ـ البخاري: إن النبي ﷺ قال لمديون مر عليه الديانون يطلبونه بالديون: «صنّف تمرك كل شيء على حدة» ، ثم جاء فقعد عليه، وكال لكل رجل حتى استوفى، وبقي التمر كما هو كأن لم يُمس منه شيء[٤].

---

١) ن، م، ص ١٧٦.

٢) ن، م، ص ١٧٧.

٣) ن، م، ص ١٧٧.

٤) ن، م، ص ١٧٨.

في فصل المفردات من المعجزات:

١ـ روي أنه أخذ بلال جمانة ابنة الزحاف الأشجعي، فلما كان في وادي النعام هجمت عليه وضربته ضربة بعد ضربة، ثم جمعت ما كان يعز عليها من ذهب وفضة في سفرة وركبت حجزة من خيل أبيها، وخرجت من العسكر تسير على وجهها إلى شهاب بن مازن الملقب بالكوكب الدري، وكان قد خطبها من أبيها. ثم إنه أنفذ النبي ﷺ سلمانَ وصهيباً إليه؛ لإبطائه، فرأوه مُلقىً على وجه الأرض ميتاً والدم يجري من تحته، فأتيا النبي ﷺ وأخبراه بذلك، فقال النبي: «كفوا عن البكاء». ثم صلى ركعتين ودعا بدعوات، ثم أخذ كفاً من الماء فرشّه على بلال فوثب قائماً وجعل يُقبل قدم النبي، فقال له النبي ﷺ: «من هذا الذي فعل بك هذه الفعال يا بلال؟»... إلى آخره، وفيه أرسل النبي ﷺ نفسه علياً عليه السلام فجاء بها وقومها مسلمين[1].

---

١) ن، م، ص ١٨٢. وتتمة الخبر: من فعل بك هذا يا بلال؟ فقال: جمانة بنت الزحاف، وإني لها عاشق. فقال ﷺ: «أبشر يا بلال، فسوف أنفذ إليها وآتي بها». ثم قال النبي ﷺ: «يا أبا الحسن، هذا أخي جبرئيل يخبرني عن رب العالمين أن جمانة لما قتلت بلالاً مضت إلى رجل يقال له شهاب بن مازن، وكان قد خطبها من أبيها ولم ينعم له بزواجها، وقد شكت حالها إليه، وقد سار بجموعه يروم حربنا، فقم واقصده بالمسلمين، فالله تعالى ينصرك عليه، وها أنا راجع إلى المدينة». قال: فعند ذلك سار الإمام عليه السلام بالمسلمين، وجعل يجدُّ في السير، حتى وصل إلى شهاب، وجاهده، ونُصر المسلمون، فأسلم شهاب،

٢ـ إن أم مالك كانت تُهدي إلى النبي ﷺ في عكّةٍ لها سمناً فيأتيها ببرهان فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدى فيها للنبي ﷺ فتجد فيها سمناً، فمازال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته، فأتت النبي ﷺ فقال: «عصرتيها» ، قالت: نعم، فقال: «لو تركتيها مازال مقيماً»[١].

انتهى الفصل، وليس فيه من الإعجاز الظاهري للعامة سوى اثنتين، فلنكمل الأربع من الفصل الذي هو فيما ظهر من معجزاته بعد وفاته ﷺ .

٣ـ قال ﷺ : «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده، لتنفقَنّ كنوزهما في سبيل الله (عزّ وجل)»[١].

٤ـ قال النبي ﷺ : «تُبنى مدينة بين دجلة، ودُجيل، والصراة، وقطربل[٢]، تجبي إليها خزائن الأرض»[١].

٥ـ قال ﷺ : «إن أناساً من أمتي ينزلون بغائط يسمونه البصرة، وعنده نهر يقال له دجلة، يكون لهم عليها جسر، ويكثر أهلها من أمصار المهاجرين»... الخبر[٣].

وأسلمت جمانة، والعسكر، وأتى بهم الإمام عليه السلام إلى المدينة وجددوا الإسلام على يدي النبي ﷺ ، فقال النبي: «يا بلال، ما تقول؟» . فقال: يا رسول الله، قد كنتُ محباً لها، فالآن شهاب أحق بها مني. فعند ذلك وهبَ شهابٌ لبلال جاريتين وفرسين وناقتين.

١) ن، م، ص ١٨٣.

٢) دجلة ودُجيل والصرات أنهار في بغداد تصب في دجلة، وقطربل قرية بين بغداد وعكبرا.

٣) ن، م، ص ١٨٤.

٦ـ أنه قال ﷺ لعلي في خبر: «أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه» وأشار إلى يافوخه عليه السلام [٤].

٧ـ عن أنس بن الحارث ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول : «إن ابني هذا ـ يعني الحسين عليه السلام ـ يُقتل بأرض العراق، فمن أدركه فلينصره» ، قال: فقُتل أنس مع الحسين عليه السلام [٤].

٨ـ حديث الحسن بن علي: أنه «سيصلح الله به بين فئتين»[١]. انتهى.

---

١) ن، م، ص ١٨٤.

النظرة الرابعة

في بيان بعض خصاله المختص بها دون الأنبياء وأسمائه وألقابه ونسبه وصفاته

فصل: فيما امتاز به من الخصائص على النبيين، وفيه مائة وخمسون خصلة، فإليك منها أربع عشرة خصلة، عدد مبارك بعددهم عليهم السلام ـ أي أهل العصمة من أهل البيت (صلى الله عليهم أجمعين) ـ منها:

١ـ كونه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ـ إعطاؤه جوامع الكلم.

٣ـ إرساله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخلق كافة وبقاء دولته.

٤ـ العجز عن الإتيان بمثل كتابه القرآن.

٥ـ تسهيل شريعته.

٦ـ جعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

٧ـ الجمعة والجماعة.

٨ـ انه حرم عليه الزكاة والصدقة.

٩ـ أنه أحل له الطعام والشراب واللمس ليالي الصيام.

١٠ـ أنه أحل له دخول مكة بغير إحرام.

١١ـ أنه أفرس العالمين، وخص بالحِمى.

١٢ـ أنه حَرُم عليه نكاح الإماء والذميّات.

١٣ـ تخفيف الأمر على أمته.

١٤ـ ستر المعاصي على مذنبهم ببركاته ﷺ.

ولنزد شرفاً وبركة بذكر أسمائه وألقابه وكناه ونسبه الشريف، لذكره الشرف والتعظيم:

أما أسماؤه ﷺ: فأشهرها محمد وأحمد، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1].

وأما ألقابه ﷺ: فهي كثيرة، فلنختر منها أربعة عشر؛ بعددهم المبارك عليهم السلام: حبيب الله، صفي الله، نعمة الله، عبد الله، المصطفى، المرتضى، المختار، إمام المتقين، خاتم النبيين، قائد الغر المحجلين، سيد المرسلين، خير البرية، صفوة الله، رحمة العالمين.

وله ﷺ أسماء جارية عليه من صفاته بأفعاله. قال الشيخ المذكور في (المناقب): «سمّاه الله تعالى في القرآن بأربعمائة اسم"، وذكر رحمه الله جملة وافرة منها بشواهدها من القرآن الحكيم، وإني مجتبٍ اثنين وتسعين اسماً[2] تيمّناً بجملة عدد اسمه الشريف بالعدد الأبجدي (محمد)، منها ما هو مشار إليه في القرآن، ومنها ما هو في الأخبار الصحيحة. فمن الأول:

---

١) سورة الفتح، الآية ٢٩. وسورة الصف الآية ٦.

٢) مع ملاحظة أن المؤلف رحمه الله ينقل من كتاب (مناقب آل أبي طالب) فإنّ ذكره للاسمين (محمد وأحمد) هو تمام العدد ٩٢ الذي قال بأنه سينقل من (المناقب) ، فلا نقص في العدد ولا خلل في العدّ، فلاحظ.

١. العالم، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾.

٢. الحاكم، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾.

٣. الخاتم، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

٤. الشاهد، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾.

٥. الشاكر، ﴿شَاكِراً لأَنْعُمِهِ﴾.

٦. الصابر، ﴿وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ﴾.

٧. الذاكر، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

٨. الراضي، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضى﴾.

وأقول: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

٩. الداعي، ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾.

١٠. الهادي، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾.

١١. الناهي، ﴿وَما نَهاكُمْ عَنْهُ﴾.

١٢. الآمر، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾.

١٣. القانت، ﴿أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ﴾.

١٤. الغالب، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

وأقول: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

١٥. الرحيم، ﴿رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾.

١٦. الكريم، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

١٧. المستقيم، ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ﴾.

١٨. البشير، ﴿إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً﴾.

١٩. النذير، ﴿وَنَذِيراً﴾.

٢٠. الشهيد، ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾.

٢١. النبي، ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾.

٢٢. الأمي، ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾.

٢٣. المُذكّر، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

٢٤. المُنذر، ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾.

٢٥. المُسبح، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٢٦. المُصدّق، ﴿مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ﴾.

٢٧. المُبلّغ، ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾.

٢٨. المُحدّث، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

٢٩. المُزمّل، ﴿يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾.

٣٠. المُتوكّل، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾.

٣١. المُدّثر، ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

٣٢. المُتهجّد، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾.

٣٣. المُنادي، ﴿سَمِعْنا مُنادِياً﴾.

٣٤. الذكر، ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾.

٣٥. المُرسَل، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

٣٦. المَبعوث، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾.

وأقول: إنه هو صلى الله عليه وآله وسلم:

٣٧. التالي ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ فعلي عليه السلام يتلوه وهو منه .

٣٨. المزكّي ﴿وَيُزَكِّيهِم﴾ .

٣٩. المُعلّم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

٤٠. المُكفي، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ﴾.

٤١. المُؤيّد، ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ﴾.

٤٢. المَنصور، ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾.

٤٣. الرحمة، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

٤٤. النور، ﴿قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾.

٤٥. السراج، ﴿وَسِراجاً مُنِيراً﴾.

٤٦. البشر، ﴿بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾.

٤٧. الرجل، ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾.

٤٨. الصاحب، ﴿مَا ضَلَّ صاحِبُكُمْ ومَا غَوَى﴾.

٤٩. العبد، ﴿أَسْرى بِعَبْدِهِ﴾.

٥٠. المجتبى، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾.

٥١. المرتضى، ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى﴾.

٥٢. المصطفى، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾.

٥٣. طَه.

٥٤. يَس.

انتهى ما أردناه من الكتاب.

وأما من **الأخبار**:

٥٥. العاقب[١]، ٥٦. الماحي[٢]، ٥٧. المُقفي[٣]، ٥٨. الحاشي[٤]، ٥٩. المُوقف[٥]، ٦٠. القيّم[٦]، ٦١. الناشر، ٦٢. والناصح، ٦٣. والوفي، ٦٤. والمُطاع، ٦٥. والنجي، ٦٦. والمأمون، ٦٧. والحنين، ٦٨. والحبيب، ٦٩. والطيّب، ٧٠. السيد، ٧١. والمقرّب، ٧٢. والدافع، ٧٣. والشافع، ٧٤. والمشفَّع، ٧٥. والحامد، ٧٦. والمحمود، ٧٧. والموجّه، ٧٨. والمتوكل ٧٩. والغيث.

انتهى ما أردنا نقله من (المناقب)[٧].

ومن أسمائه المشهورة:

٨٠ الصادق، ٨١ الأمين (صلى الله عليه وآله الطاهرين الأكرمين).

ولنكمل العدد المذكور بما أورده السيد الأجل الورع (ابن طاووس رحمه الله) في (إقبال الأعمال) من صفاته صلى الله عليه وآله وسلم في زيارته يوم مولده، وهي:

---

١) يعقب الأنبياء (صلوات الله عليهم). (منه رحمه الله).

٢) للكفر والسيئات. (منه رحمه الله).

٣) الذي يقفي للنبيين عليهم السلام. (منه رحمه الله).

٤) الذي يحشر على قدميه. (منه رحمه الله).

٥) يوقف الناس بين يدي الله (عزّ وجل). (منه رحمه الله).

٦) وهو الكامل الجامع. (منه رحمه الله).

٧) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٨.

٨٢ خليل الله، ٨٣ صفي الله، ٨٤ خيرة الله، ٨٥ نجيب الله، ٨٦ القائم بالقسط، ٨٧ فاتح الخير، ٨٨ معدن الوحي، ٨٩ خالصة الله، ٩٠. خاصّته (صلى الله عليه وآله الطاهرين)[١].

وأما نسبه الشريف ﷺ

فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نَزار بن معد بن عدنان.

وحد النسب إلى عدنان، هو المأمور به والمستحب حفظه.

وعنه ﷺ: «**إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكو**» كما في (المناقب)[٢].

وقال المسعودي: قد نهى ﷺ عن تجاوز مَعد؛ لعلمه من تباعد الأنساب وكثرة الآراء في طول هذه المدة والأعصار[٣].

وعن ابن عباس: إنّه ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان، ثم يمسك[٤].

---

١) إقبال الأعمال: ص ٨٣ في أعمال شهر ربيع الأول.

٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٥٥١، وانظر: إعلام الورى: ج ١ ص ٤٣، كشف الغمة: ج ١ ص ١٥، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٥٦.

٣) مروج الذهب: ج ٢ ص ٢٦٨.

٤) الطبقات الكبرى: ١ ص ٥٦، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٩١.

وغير خفي على العالم من الشيعة لزوم طهارة آباء النبي ﷺ من السفاح والشرك إلى آدم؛ إذ عليه إجماعهم، والإجماع حجة، بل ذهب إلى ذلك بعض أهل السنّة، وقد حققنا ذلك في (ملتقط الجواهر).

صفته (أو صفاته) ﷺ

أنه كان ﷺ فخماً مفخّماً في العيون معظماً، وفي القلوب مكرماً، يتلألأ وجهه تلألأ القمر لية البدر، أزهر، منوّر اللون، مشرّباً بالحمرة، لم تُزرِيه مقلة، ولم تُعبه ثجلة[١]، أغر، أبلج[٢]، أحور[٣]، أدعج[٤]، أكحل، أزج[٥]، عظيم الهامة، رشيق القامة[٦]، مقصد[٧]، واسع الجبين، أفنى الأنف[٨] أو العرنين[٩]، أشكل العينين[١٠]، مقرون الحاجبين، سهل

---

١) الثَجَل: رجل أثجل أي عظيم البطن. (كتاب العين: ص ١١٦).

٢) أبلج أي مشرق الوجه. (كتاب العين: ص ٩٢).

٣) أي شدة بياض العين في سوادها. (كتاب العين: ص ٢٠٤).

٤) الدعج شدة سواد العين في شدة بياضها أو شدة سوادها مع سعتها. (كتاب العين: ٢٦٣).

٥) هو دقة في الحاجبين مع طول طرفهما وامتداد فيهما. (كتاب العين: ص ٣٤١).

٦) أي جميلها. (منه رحمه الله).

٧) أي أنه ليس بطويل ولا قصير. (منه رحمه الله).

٨) قيل القني في الأنف طوله مع حدب في وسطه فيقال للرجل المتصف بهذا قنى العرنين والعرنين هو أول الأنف. (منه رحمه الله).

٩) أقنى العرنين أي ارتفاع في أعلى الأنف. (كتاب العين: ص ٥٣٦ عرن، ص ٦٩٠ قنو).

١٠) أي أن في بياض العين شيء من الحمرة.

الخدين[١]، صلتهما[٢]، طويل الزندين، شبح الذراعين[٣]، عظيمُ مشاشة المنكبين[٤]، طويل ما بين المنكبين، ششن الكفين[٥]، ضخم القدمين، عاري الثديين[٦]، خَمصان الأخمصين[٧]، أهدب الأشفار[٨]، كث اللحية[٩]، ذا وفرة[١٠]، وافر السبلة[١١]، أخطر[١٢]، أشمط[١٣]، ضليع الفم[١٤]، أشم[١٥]،

---

١) أي خفيف لمسهما. (منه رحمه الله).

٢) أي واضحهما. (منه رحمه الله).

٣) أي تقبض في الجلد. (منه رحمه الله).

٤) أي رؤوس عظام المنكبين، والمُشاشة: مخ العظم. (كتاب العين: ص ٧٦٦).

٥) أي أنهما يميلان إلى القصر والغلط. وشثن الكفين: أي غليظ الكفين، والشَثِن: الرجل الذي في أنامله غلظ (كتاب العين: ص ٤٠٣).

٦) أي لم يكن عليهما شعر. (منه رحمه الله).

٧) أي ظاهرهما، وأخمص القدم أي بطنه المرتفع عن الأرض. وخماصة البطن هو دقة خلقته. (كتاب العين: ص ٢٤٣).

٨) أي طويل شعر الأجفان. والشفر: شفر العين والجمع أشفار، وأهدب الأشفار أي طويل أشفار العينين وكثيرهما. (كتاب العين: ث ٤٢١ مادة: شفر، ص٨٧٧ مادة: هدب).

٩) أي قصيرة كثيرة الشعر. (منه رحمه الله).

١٠) أي شعره إلى شحمة الأذن. (منه رحمه الله).

١١) السبلة: ما على الشفة العُليا من الشعر تجمع الشاربين وما بينهما. (كتاب العين: ص ٣٦٠).

١٢) هي الشعرات البيض وهو صلى الله عليه وآله وسلم كما في حديث أنس. (منه رحمه الله).

١٣) الشَّمَط: هو شيب اللحية في الرجل. (كتاب العين: ص ٤٢٧).

١٤) أي عظيمة وقيل عظيم الأسنان. (منه رحمه الله).

١٥) الشمم ارتفاع من قصبة الأنف مع استواء أعلاه. (منه رحمه الله).

أشنب[١]، مفلج الأسنان، سبط الشعر[٢]، دقيق المسربة[٣]، معتدل الخَلق، مفاض البطن[٤]، عريض الصدر، كأن عنقه جِيد دمية[٥] في صفاء الفضة، سائل الأطراف[٦]، منهوش العقب[٧]، قصير الحنك، داني (دافئ) الجبهة، ضَرْبَ اللحم بين الرجلين، كأن في خاصرته انفتاق، نَعْمَ الأوصال[٨]، لم يكن بالطويل البائن، ولا بالقصير السائن[٩]، ولا بالممغط[١٠]، ولا بالقصير

---

١) الشنب: رقة الأنياب مع بياض وصفاء. (كتاب العين: ص ٤٢٩).

٢) أي مسترسلة. (منه رحمه الله).

٣) السربة ـ بالضم ـ هو مادق من الشعر من الصدر إلى البطن. المسربة: شعرات تنبت في وسط الصدر إلى أصل السرة. (كتاب العين: ص ٣٦٩).

٤) قال في القاموس: وكان النبي صلى الله عليه وآله مفاض البطن أي مستوى البطن مع الصدر. (منه رحمه الله).

٥) قال الشيخ الطريحي في (المجمع) كتاب الألف: كأن عنقه جيد دمية هي بضم دال مهملة وسكون ميم مصورة يتألق في صنعتها. (منه رحمه الله).

٦) أي طويلة ممتدهما. (منه رحمه الله).

٧) كذا في بعض نسخ المناقب، وفي المطبوع: منهوس. ولهما نفس المعنى، وهو قليل اللحم. والعقب: مؤخر القدم، أي أن قدمه خالية اللحم من الخلف. انظر: كتاب العين: ص ٥٦٠، ومجمع البحرين: ج ٢ ص ١٢٧، مادة: عقب، وأيضاً ج ٤ ص ١٢١ مادة: نهس.

٨) النعومة ضد الخشونة وهو واضح. (منه رحمه الله). وفي المصدر: قَعم الأوصال، و القعم: ردّة في الأنف أي ميل فيه. (كتاب العين: ٦٧٩).

٩) أي تزدرية العين وتستحقره. (منه رحمه الله).

١٠) أي الممتد في الطول. وقولهم: ليس بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد: أي ليس بالبائن الطول. (كتاب العين: ص ٧٧٣).

المتردد، ولا بالجعد القطط، ولا بالسَبْط[١]، ولا بالمطهّم، ولا بالمكلثم[٢]، ولا بالأبيض الأبهق[٣]، ضخم الكراديس[٤]، جليل المشاش[٥]، لم يكن في بطنه ولا في صدره شعر إلاّ ما وصل ما بين اللبّة[٦] إلى السّرّة كالخط، جليل الكتد[٧]، أجرد، ذا مسربة[٨]، وكان أكثر شيبهِ في فُوَدِ رأسه[٩]، وكان كفه

---

١) الظاهر أن هذا مستدرك أو غلط من الناسخ، إذ الجعد القطط من صفة الشعر، وقد تقدم بيانه. (منه رحمه الله). والقطط: شديد الجعود في الشعر، إذا كان فيه التواء وتقبّض، وذلك خلاف المسترسل. مجمع البحرين: ج ٤ ص ٢٦٩ مادة: قطط، ج ٣ ص٢٥ مادة: جعد.

٢) أي مجتمع اللحم في الوجه. (منه رحمه الله). قال الطريحي: أي لم يكن بالمدور الوجه ولا بالمجتمع لحم الوجه. ولكنه مستوي الوجه. مجمع البحرين: ج ٦ ص ١٠٧ مادة: طهم).

٣) أي بياضه جميل لا يشابه بياض البهق ـ وهو بياض يعرو الجلد فيخالف لونه ـ وهو ليس ببرص. (منه رحمه الله). والمَهق: بياض في زرقة، والأمهق: كريه البياض كلون الجص، والمعنى: أنه صلى الله عليه وآله نيّر البياض. (كتاب العين: ص ٧٨٠، ومجمع البحرين: ٥/ ٢٣٧).

٤) الكراديس هي رؤوس العظام. (مجمع البحرين: ج ٤ ص ١٠٠).

٥) المشاش: وهي رؤوس العظام اللينة. (مجمع البحرين: ج ٤ ص ١٥٣).

٦) اللُّبَّةُ: المنحر وموضع القلادة. (كتاب العين: ص ٧٣٧، ومجمع البحرين: ج ٢ ص ١٦٥).

٧) الكتد: ما بين الثَبَج إلى منصف الكاهل من الظهر، والثَبَج: هو أعلى الظهر، والكاهل: مقدم الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الأعلى من البدن. (كتاب العين: ص ٧٠٠ مادة: كتد، ص ١١٥ مادة: ثبج، ص ٧٢٣ مادة: كهل).

٨) لا شعر في بدنه إلا ما يمثل المسربة في أماكن خاصة كالساقين والساعدين والذراعين أو جانباه وجانب الرأس. (منه رحمه الله). رجل أجرد: أي لا شعر على جسده، والمسربة: شعرات تنبت في وسط الصدر إلى أصل السرّة. كتاب العين: ص ١٣٣ جرد، ص ٣٦٩ سرب.

٩) ما يلي الأذن يسمى فوداً. والفُوَد: واحدة فُودى. (كتاب العين: ص ٦٣٩).

كف عطار مسّها بطيب، رحب الراحة، سبط العصب[١]، وكان إذا رضي وسُرَّ[٢] فكأن وجهه المرآة، يخطو تكفّوءا[٣]، ويمشي الهُوينا[٤]، يبدو القوم إذا سارع إلى خير، وإذا مشى يُقلع[٥]، كأنما ينحدر في صبب[٦]، إذا تبسم يتبسم عن مثل المنحدر عن بطون الغمام[٧]، وإذا افترّ افتر عن سناء البرق إذا تلألأ، لطيف الخُلق، عظيم الخَلق، لين الجانب، إذا طلع بوجهه على الناس رأوا جبينه كأنه ضوء السراج المتوقد، كأن عرَقَه في وجهه كاللؤلؤ، وريح عَرقِه أطيب من ريح المسك الأذفر، بين كتفيه خاتم النبوة[٨].

انتهى ما أردنا بيانه من صفاته ﷺ وهي من (المناقب) للشيخ المذكور، وربما في بعضها ملاحظة كتب غيره.

---

١) القصب: عظام اليدين والرجلين. (كتاب العين: ص ٦٦٦).

٢) لعل الرابط بين الجملتين هو أن يراد بلفظة سرائرها، وهو بريق سرائر وجهه ﷺ ، وهي خطوط تتجمع في الجبهة، وهو ما ورد في وصفه. (منه رحمه الله).

٣) أي تمايل إلى قدام وقيل التمايل إلى اليمين والشمال وهو ليس بصحيح قطعاً إذ لا يليق بحاله المشابهة للخيلاء. (منه رحمه الله).

٤) أي برفق وسكينة ووقار. (منه رحمه الله).

٥) وفي رواية: يتقطع أي يرفع رجليه من الأرض رفعاً بيناً بقوة ليس باختيال، وقوله (ينحدر في صبب) كالمبين للتقلع إذ الصبب بفتحتين هو ما انحدر من الأرض. وفي رواية إذا مشى يتكفأ تكفؤاً، كأنما ينحط في صهب. (منه رحمه الله).

٦) الصبب: ما انحدر من الأرض. (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٩٦).

٧) يعني به البرد ويسمى حب الغمام. (منه رحمه الله).

٨) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

ولقد أجاد فيما حرر في كتابه في حق نبيه ﷺ من المعاجز والصفات والفضائل، وقد جرى على وتيرته جملة من علماء الفريقين، ولكن أنّى يبلغ مقدار عشر فضله ﷺ مهما اجتهد، ولكلٍ أجر خدمته بحسب نيته، أشركنا الله تعالى في ذلك، فكل عالم من المسلمين ينبغى له ـ بل يلزمه ـ التشمير في خدمته ﷺ ، ولكلٍ جذة بجذة.

النظرة الخامسة

في إعجاز القرآن والتحدي به وعجز الكل عن مباراته

قال الإمام كاشف الغطاء (أعلا الله مقامه) في (دعوته) ما نصه:

[قد ثبت بالتواترات القطعية، والضرورة البينة، من جميع أهل العالم، ونوع بني آدم، أنّ نبينا] محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله الطاهرين وعلى صحبه الطيبين) قد ادعى النبوة وتحدى قومه بالمعجزة، وطلب من أهل زمانه المعارضة، وأتى بما هو الشائع في وقته، والمتنافس عليه عند قومه، وما يتفاخرون بإتيانه، ويترفعون بشأنه، من الكلام الفصيح والقول البليغ... إلى أن قال رحمه الله ما نصه:

ولما دعاهم إلى تلك الدعوة المقدسة طغوا وبغوا أشد البغي عليه، وشق ذلك عليهم غاية المشقة حتى تخاوصوا بحماليق الحنق إليه وما دعاهم إلا إلى هداهم ومذ كذبوه تحداهم وما تحداهم إلا بالمألوف لهم والمعتاد لديهم المأخوذ عنهم وأخذ (عفا الله عنه) في نثر لثالثية فمنها قوله (رهـ) ولم يزل صلى الله عليه وآله وسلم يتقاضى منهم ذلك ويلح عليهم فيما هناك بأنحاء شتى وطرق مختلفة وعبارات متفاوتة حتى اعترف بالعجز عريفهم.

ثم أخذ رحمه الله في بيان عجزهم مشيراً إلى خصوص كبرائهم كالوليد وأضرابه إلى أن قال رحمه الله : ...ثم قنع منهم بعشر سور من سوره المُنزلة، ثم

تنزل معهم ـ وهو الرفيع ـ إلى أدنى منزلة، فقنع منهم بأن يأتوا بعشر آيات، فأجمعوا أمرهم وما كان عاقبة جمعهم إلاّ إلى الخيبة والشتات، وحين بدت عليهم المفحمة البائدة، رضى منهم بسورة واحدة، فالتجأوا إلى مفاوضة الحُتوف عن معارضة الحروف.

حتى قال رحمه الله : تشهد لك بذلك التواريخ والسير والآثار والعبر من جميع الأمم المليين وغير المليين، لا خصوص المسلمين والمنتحلين، كيف! و "لو كانَ لبان".

ثم صار رحمه الله يبرهن على ذلك، ثم قال: ثم لم تزل تلك المعجزة الباهرة والآية القاهرة باقية على مر الدهور وخوالي الأعوام ومواضي الحقب والأيام، لا تزداد على طول المدة إلاّ جدة وعلى شدائد الجاحدين والمنكرين الأشدة.

ثم أخذ رحمه الله في بيان عجز البشر عن مقابلته، ومن أقواله: أنك ترى الرجل في جميع المقامات من النظم والنثر والخطب كخطيب مصقع، فارس في كل حلبة ولدى كل موضع، فإذا تصدى ـ من أجل ضعفٍ في دينه، أو خَوَرٍ في عود يقينه، أو زندقة في هواه، أو وصم عار في عصاه ـ إلى مقاومة ذلك المقام، ومعارضة معجز ذلك النظام، أفحم وتبلّد، وأبكم وتلدد...

وأخذ قدس سره في تحريره حتى ذكر من تصدى وعجز كالمتنبي والمعرّي ومسيلمة وأضرابهم، وذكر أن عجز كل الأفكار والألسنة: إنما هو

في إحدى طوائله وأدنى فضائله، أو أول آياته... وهي معجزة الأسلوب والبيان، هي الصياغة والنظام..

وأخذ في بيان ذلك، وبعده قال رحمه الله : أما لو صرفنا الأفكار وعطفنا الأنظار إلى ما في تلك المباني من الأسرار والمعاني والحقائق والدقائق...

وأخذ في النعت والتوضيح، حتى ذكر الجواب بقوله: فهناك تنقطع الإشارات، وتحيا العبر، وتموت العبارات، هناك تحار العقول وتذهل النفوس، هناك تخضع الرقاب وتطأطأ الرؤوس، هناك العظات والزواجر... إلى آخر العنوان[١]، وفيه إيضاح الحق، فراجع إن شئت المزيد، فليس المقصود إلاّ الأخذ من كل نوع ما يتم به الغرض، وفيما ذكر منه كفاية، ففي كل جملة منه حجّة قاطعة، كما هي كذلك في باقي الأنواع.

وإنني لمجتبي من كل عنوان بُغيتي مما سطع فيه نور البرهان، فإليك مما حرره رحمه الله في عنوان (القرآن) وثنائه على نفسه، قال رحمه الله ما نصه:

وانظر كيف تصرف في نعوته وشؤنه وبماذا أعرب عنه من تصاريف القول وأفانينه، تجده مشحوناً بأوصاف الكمال ونعوت العظمة والجلال. فبما أنه مشتمل على سبيل الهداية، وسبل النجاة، ومعالم الدين، فهو ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وحيث إن فيه الدلائل المحكمة والبراهين المتقنة التي يُستنار بها في ظُلَم الضلالات وشُبَه

---

١) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٩٨ ـ ١٠٥.

٢) سورة البقرة، الآية ٢.

الجهالات، فهو برهان يقين ونور مبين، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[١]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢].

ومنه قوله رحمه الله : ولاشتماله على العظات البالغة والحجج الدامغة وشموس الهداية البازغة وينابيع الرحمة الشائعة كان شفاءاً وموعظة وهدى ورحمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]،[٤].

خمس حُجج خالدات...

وإليك من ثناء المرسل به عليه حُجج أربع ـ مما ذكره رحمه الله في صفحتين ـ:

[الأول:] وفيه خبر طويل مروي في (الكافي) عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في آخره: «**فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفّع، وماحل مصدّق، ومن جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل على خير سبيل،**

---

١) سورة النساء، الآية ١٧٤.

٢) سورة المائدة، الآيتان ١٥ ـ ١٦.

٣) سورة يونس، الآية ٥٧.

٤) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ١١٢ ـ ١١٣.

وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جالٍ بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإنَّ التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص»[١]، انتهى.

الثاني: في صحيح الأثر أن الله تعالى قال لمحمد (صلوات الله عليه وآله) : **«إني منزل عليك توراةً حديثة، تفتح بها أعيناً عمياء، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غُلفاً، فيها ينابيع العلم، وفهم الحكمة، وربيع القلوب»**[٢].

الثالث: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **«إن الله (عزّ وجل) أنزل القرآن آمراً وزاجراً، وسنَّة خالية، ومثلاً مضروباً، فيه نبؤكم، وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلفه طول الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق، ليس بالهزل، من قال به صَدَق، ومن حكم به عَدَل، ومن خاصم به فلج، ومن قسّم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هُدِي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره**

---

١) الكافي: ج ٢ ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ (كتاب فضل القرآن) ح ٢.

٢) الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص ٥٣، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ١ ص ٢٧٨، سنن الدارمي: ج ٢ ص ٣٣٠.

قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتّبعه، لا يُعوج فيقوم، ولا يَزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخْلَق على كثرة الرد»[1].

الرابع: عن الحارث الأعور رَحِمَهُ الله، عن علي أمير المؤمنين عليه السلام، قال: **«قيل: يا رسول الله، إن أمتك ستفتتن بعدك، فسأل (أو سُئل) : ما المحرج من ذلك؟ فقال: (بكتاب الله العزيز) الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**[2]**، من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله، ومن ولي هذا من جبّار فحكم بغيره قصمه الله، وهو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، فيه خبر من قبلكم، وتبيان من بعدكم، وهو فصل، ليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجن فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾**[3]**، لا يَخْلَقُ على طول الرد، ولا تنقضي عِبَرهُ، ولا تفنى عجائبه»**[4].

ثم ذكر رَحِمَهُ الله كلاماً ما معناه: أنه عاجز عن جمع الكثير من ثناء الخلفاء وكبراء الصحابة والتابعين على القرآن، وذكر من ذلك يسيراً[5].

---

١) الشفا: ج ١ ص ٢٧٨ في معاجزه صلى الله عليه وآله وسلم، الوجه الرابع من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

٢) سورة فصلت، الآية ٤٢.

٣) سورة الجن، الآية ٢.

٤) إعجاز القرآن (الباقلاني): ص ١٨٥.

٥) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ١١٩ ـ ١٢١.

وبعد ذلك حرر كلاماً: جليلاً في ثناء الأئمة المعصومين عليهم السلام على القرآن المجيد، فهاك بعضاً من لؤلؤه الثمين:

قال رحمه الله : إنما يعرف القرآن من خوطب به ومن نزل على فؤاده وقلبه... إلى أن قال رحمه الله : أو من أودعهم ذلك الخازن الأمين ما عنده وجعلهم الأوصياء والخلفاء بعده..

وأخذ رحمه الله في نعوتهم عليهم السلام وبيان أعرَفيتهم بمعاني القرآن الكريم، خصوصه وعمومه، ومحكمه ومتشابهه، وأسراره وإعجازه، بالدليل الساطع، ومنه قوله رحمه الله : فهما الثقلان أكبر وأصغر، والكتابان صامت يحتاج إلى التفسير، وناطق مفسر، والقرينان اللذان لا يفترقان، حتى يردا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحوض، وهم سفينة النجاة، وهو بحر المعارف الذي لا يسوغ بدونها لأحد فيه الخوض، فلا نجاة مفيدة إلا بالتمسك بها...

وأخذ يصفهم بما هم العلة، ويستدل على مراده، حتى تعرض رحمه الله لـ(نهج البلاغة) وأخذ في الإشارة إليه بما هو أهله، وذكر أنه تكفّل بالكثير الوافي في لغة القرآن المجيد، حتى إنه (رضوان الله عليه) أبان عجزه بقوله: وقد تكثر ذلك فيه وتوفر بحيث تعذّر إحصاؤه هنا وتعسّر.

ثم ذكر أنه لا صبر له عن ذكر شيء منه، فقال: فهاك من آحادٍ تنبيك فرائدها عن بقية الأفراد، وهي قوله عليه السلام بعد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام وما لهما من عظيم الزلفى والمنزلة: «**ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يُفل**

نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه...»[١]، إلى آخر الخطبة التي ذكرها.

ثم ذكر رحمه الله أن لكل واحد من المعصومين عليهم السلام من أمثال ذلك، وخصَّ السجاد عليه السلام بالذكر، وبعد بيان فضل (صحيفته السجادية) بنعته الباهر ـ وكفى بأن جعلها ثانية (النهج) ـ وصرّح بعجز العلماء عن بيان كل أسرارها، ثم ذكر من دعائه عليه السلام في ختم القرآن، وفيه بيان نعته بنبذة، فإليكها حرفيا.

قوله عليه السلام: «**اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلِ القُرْآنَ لَنا في ظُلَمِ اللَّيالِي مُؤنِساً، وَمِنْ نَزَغاتِ الشَّيْطانِ وَخَطَراتِ الوساوِسِ حارِساً، وَلأَقْدامِنا عَنْ نَقْلِها إلى المَعاصي حابِساً، وَلأَلْسِنَتِنا عَنِ الخَوْضِ في الباطِلِ مِنْ غَيْرِ ما آفَةٍ مُخْرِساً، وَلِجوارِحِنا عَنِ اقْتِرافِ الآثامِ زاجِراً، وَلِما طَوَتِ الغَفْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ الاعْتِبارِ ناشِراً، حَتّى تُوصِلَ إلى قُلوبِنا فَهْمَ عَجائِبِهِ، وَزَواجِرَ أَمْثالِهِ الَّتي ضَعُفَتِ الجِبالُ الرَّواسي عَلى صَلابَتِها عَنِ احْتِمالِهِ**»[٢].

ثم أخذ (رضوان الله عليه) يبين ويستدل، وذكر فقرات أخرى من الدعاء، واعتمد (رضوان الله عليه) في إثبات ما ورد عنهم عليهم السلام لدى من يشك فيه على معرفة الصيغ والبيان والمعاني، فدونك شاهداً من قوله على ذلك:

---

١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨.

٢) الصحيفة السجادية: الداعاء ٤٢.

قال: وهذا أمر نصيحتي لك فيه أن لا تجعله من فنّك ولا تكدّر به صفاء ذهنك؛ وإلاّ عسر عليك إثبات شيء من المؤلفات عن أربابها، وحُجر أشد الحجر دونك أن تنسب ما فيها إلى أصحابها، بيد أنك ـ سددك الله ـ تعلم أنّ كل طائفة جمعتها وحدة دينية أو فنية أو صناعية، علمية أو عملية، إلى غير ذلك من الروابط الاتحادية، عقلية أو ملّية أو عادية، هم أعرف بمقالات زعماء طريقتهم... إلى آخر دليله (رضوان الله عليه) ، وفيه شرط اتفاق أهل تلك النحلة[1].

فعليه ينتج أن ما حرره من كلمات الإمامين عليهما السلام من (النهج) و (الصحيفة) ـ بل كل ما فيهما ـ من المسلَّمات عند الشيعة، بل أفيدك أن (النهج) بالخصوص من المتفق عليه عند معظم الجمهور.

وبالجملة، لا يستريب مَن كان له بعض المعرفة بأساليب الفصاحة، وفنون البلاغة، وأسرار الألفاظ، ومعاني العرفان في كثير من الأدعية والزيارات الواردة عن الأئمة عليهم السلام في كتب أصحابنا (رضوان الله عليهم) كدعاء السجاد عليه السلام في السحر عن أبي حمزة، ودعاء أمير المؤمنين عليه السلام عن كميل في الجمعة، وكثير من أمثال ذلك مما يوجب حسن صياغة مبانيه وجزالة معانيه بما فيه من المعارف، يوجب الاطمئنان بصدوره عن المعصوم.

---

١) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٨.

وقد أوردَ كثيراً من ذلك وأمثاله جملة من أعلام علمائنا كالصدوق، والطوسي، وابن طاووس، والكفعمي، والبهائي، والمجلسي، وعلى الخصوص الزيارة الجامعة، فليس الغرض البسط في ذلك، وقد تعرضنا له في أثناء (النظرات النفسية).

ولنعد إلى غرضنا من الالتقاط من جليل كلم الشيخ المذكور (رضوان الله عليه) في العناوين المتعلقة بالقرآن، فمنها: ارتفاع فصاحة القرآن، فإليك ما نبتغيه منه في بيان معنى الفصاحة:

قال قُدِّسَ سِرُّهُ : "إنما هي من الصفات المعنوية التي تحس وتدرك ولا تمس ولا تمسك، وتعرفها الطباع السليمة بغرائزها وأذواقها؛ لأنها مما تشهدها العيون بأحداقها، وذاك الذوق الغريزة إما منحة في الجبلّة وموهبة في الذات بحسب الفطرة ـ كما هي في العرب الأولين ـ"...

وبعد وصفهم قال قُدِّسَ سِرُّهُ : "وإما حصولية كسبية"... ـ إلى أن قال (رضوان الله عليه): "فالناس ـ حرسك الله ـ إذن صنفان لا ثالث لهما: إما ذو حفظ وتميز من معرفة العربية، قليل أمرها، أو كثيرة جليلة، أو حقيرة، بالطبع والمنحة، وعلى أصل الاستقامة والصحة، أو بالكسب والتحصيل...

ثم أخذ قُدِّسَ سِرُّهُ في الشرح حتى صرّح بتعليل الحصر بقوله: "فإن الناس ـ من أيّة أمة تفرض، وأي قوم ـ منذ زمان متقادم إلى اليوم قد تلاشت عنهم تلك الصفة وانسلخت عن ألسنتهم وأذواقهم تلك المعرفة..."[1].

---

١) ن، م، ص ١٣٣.

ثم أخذ (رضوان الله عليه) في التفصيل حتى ذكر صنفاً ثالثاً وهم الجاهلون بمعاني البلاغة والإعجاز، ثم جرَّ قلمه رحمه الله في وصفهم، حتى فرّع تقسيماً آخر فقال: "فالقسمة الحاصرة هنا بين النفي والإثبات أنّ الناس في معرفة البلاغة إما عارف مجتهد، أو جاهل مقلد..."[١].

ثم سجّل حجته وخصها بالمنصفين، وأعرض عن المتعصبين، فيهادنهم ويواعدهم يوم العرض على الله تعالى...

وصار يستدل، ويعدّ مقامات إعجاز القرآن في هداها ونصائحه فيقول ما نصه: مقام الدعوة إلى التوحيد مقام الوعد والوعيد، مقام التشويق إلى الجِنان، مقام التحذير من النيران، مقام القصص والأنباء، مقام دعوة الأنبياء، مقام تهذيب النفس الإنسانية، مقام نشوءها ونموها من الجمادية إلى الحيوانية، إلى غير ذلك من الموجودات...

ثم سرد جملةً من الكافيات، حتى تعرض في بيانه لقصة موسى عليه السلام في سورة القصص، وأبان بعض ما قامت به آياتها الكريمة، فقال (رضوان الله عليه) في آخر الكلام عليها: "هذه قصة من قصصه، وخبر من أخباره، ولمعة من أنواره، لا أخصها لك بعينها، ولا أعيّنها عليك بخصوصها، بل أشرت لك بها إلى الغرض وصيّرتها منهجاً"[٢].

---

١) ن، م، ص ١٣٤.

٢) ن، م، ص ١٣٧.

فتدبره يُفدك أن القرآن كله في مقام الإعجاز واحد وإن تفاوتت رتبه ولذا سرد رحمه الله جملة من أنباء الأنبياء آدم ومن بعده وأفاد قدس سره أنه وغيره يعجز عن إحصاء مقامات الإعجاز.

ثم استرسل في كلامه رحمه الله مع من كان له حظ من معرفة العربية حتى قال: "وزبدة المخض والحق المحض أنّ إقامة الحجة والبيان في إثبات إعجاز القرآن على خصوص هذا الصنف إنما هي بالمراجعة والامتحان، وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان"...

وجرى رحمه الله في إيضاح حجته حتى تنازل معهم بقوله: "ويرضى منهم بمثل كلمة مفردة من كلماته وجمله واحدة من جمله مثل قوله (تعالى شأنه) : ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا**﴾ وقوله (عز من قائل) : ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾..."، وتلا عدّة آيات من هذا الجنس [وكان] آخرها : ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾[١].

ثم قال (رضوان الله عليه) : "أعاذك الله من البلاء، تدبر موضع هذا الإحزاب وبليغ موقعه، وانظر ما أشرفه وأعلاه وسلك في مَلحوبَ مَحجته[٢] ناصباً عَلَمَ حُجّته"[٣].

---

١) ن، م، ص ١٣٩.

٢) أي سلك الواضح من طريقته ومنهجه.

٣) ن، م، ص ١٤٠.

ومنها قوله قُدِّسَ سِرُّهُ : "وأعظم منه وأسنى ويساويه أو يرجّح في الشرف وزناً قوله تعالى في دعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، انظر حُسن مناسبة سعة الرحمة لما بعدها، وهو قوله (عزّ وجل) : ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[١]"، [٢].

ثم أخذ (رضوان الله عليه) يدمغ الباطل بحجج القرآن، ختامها كريمة قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

ثم سار بفكره المنير بها يصوّر للقرّاء براهين إعجازها، حتى قال (رضوان الله عليه) ما نصه: "وهناك جُمل وفرائد إن أفردتها أبهرت وإن ضممتها في عقدها أعجزت وقهرت، فهي على شدّة ألفها بأخواتها وارتباطها بلداتها تامّة بنفسها قائمة بذاتها، هاك قوله تعالى في تهويل يوم القيامة وتشديد الأمر فيه حيث يقول (جل من قائل): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾"...

اشتملت هذه الآية الكريمة على ثلاثة عقود أو أربعة كل واحد أعز من الكبريت الأحمر وأسطع من إشراق الشمس على معادن الجوهر، وكل

---

١ سورة غافر، الآية ٧.

٢) ن، م، ص ١٤١.

٣) ن، م، ص ١٤٢.

واحدة من الجمل لو انفردت قامت بنفسها، ودلت على عظيم هول الأمر بذاتها، وإذا انضمت مع أمثالها وضمت إلى أشكالها صوَّرت ذلك اليوم على حقيقته؛ حتى قال (رضوان الله عليه): "وفي هذه الجهة تتفاوت طبقات الكلام ودرجاته تفاوتاً أدق من الشعر وأخفى من السحر، وتتعالى مقاماته إلى منتهى الدرجات وأسمى المقامات، كما في تلك الآية، فإنك إذا صرفت إليها التأمل وحبست عليها الفكر هوّلت عليك الأمر وصورت لك الحال بحيث كأنك تشاهده عياناً، فترى هذا يُسحب بالسلاسل، وذاك يُضرب بالمقامع والمعاول، وذاك يُصب على رأسه الحميم، وذاك يُقاد إلى الجحيم، والصحف تتناثر، والكتب تتطاير، والموازين منصوبة، والعذاب نازل، والحال هائل، والضجّة عظيمة، والناس في شغل شاغل، كلٌ ينتظر ما يجري عليه، ويرتقب أي حين يصل البلاء إليه"[1].

ثم استرسل (رضوان الله عليه) في مواعظه المستنبطة المتحملة لها تلك الآية الكريمة وبيان ذلك، وبعده تعرّض لخُطب أميرنا في (النهج) وما حملته من الوعظ وتصوير أهوال يوم القيامة، وذكر أن تلك الخُطب ـ مع عِظَم بلاغتها وسعة بسطها ـ لا تبلغ شأو هذه الآية وحدها[2].

ولم يزل مشعلاً نبراس الحق بنعته علياً عليه السلام أميرنا ومقابلته بكتاب الحق وبيان إعجازه بكل كلام المخلوقَين (عز قائله)، حتى دمغ الجاحدين بقوله

---

١) ن، م، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

٢) ن، م، ص ١٤٤.

تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

ومن بيانه فيها:

قوله (رضوان الله عليه) : "هذا من المؤلَّف أشد الائتلاف، وهي أربع كلمات، كل واحدة بنفسها درّة، وفي جبين البلاغة غرّة، إن ضممتها إلى أخواتها سطعت، وإن أفردتها لذاتها بزغت، فإذا ألّفت زادت حُسناً وإحساناً، وإذا أفردت شعّت بنفسها إشراقاً ولمعاناً، في أسلوب يُريك أنّه يصدر عن علوّ الأمر ونفاذ القهر ومنتهى الفخر، متجلّ ببهجة القدرة، متحلٍّ بخالص العزة، بجميع السلاسة إلى الرصافة"[1].

فلا زال فكره الشريف يتوقد بساطع البرهان ويستنير بنور القرآن ويخصم ببرهان جاحديه ممن يدعي أنه من العالمين وبعد فلجهم حاجَّ الجاهلين.

فمن حججه الساطعة، ما سلم ثبوته، ألا وهو عجز العرب الأول المعاصرين للنبي ﷺ من قريش وغيرها عن مقابلة القرآن المجيد، فدونك لمعة منها: قال (رضوان الله عليه) ما نصه:

"يا هذا، القوم الذي عاياهم القرآن وعاداهم وحادّهم وتحداهم، وعاصروا نزوله، وأدركوا ظهوره، وشاهدوا نوره، وعاب آلهتهم، وسفّه أحلامهم، ونكّس أعلامهم، وكسّر أصنامهم، وفعل بهم الأفاعيل، وجاءهم

---

١) ن، م، ص ١٤٦.

بالأهاويل، ورماهم بالصلادم[١] والشجى في الحلاقم[٢]، كانوا أسعد منك في البلاغة جداً، وأورى في العربية زنداً، وأشد لها معاناة ومِراساً، وأمتن أسباباً، وأقوى مِراساً، وهو أصلها الأصيل، ولهم مجدها الأثيل، ثم لما صعد به بينهم على البقاع، وصدّ به منهم الأسماع، وناداهم فأسمع، وبلّغهم أجمع، طاشت ألبابهم، وتقطّعت أسبابهم"[٣].

وأخذ (رضوان الله عليه) في بيان عجزهم ما نصّت عليه الكتب والتواريخ، "ضبطَت لك خبرهم، ودفعَت لك سيَرهم، وأحصَت قليل أمرهم، والكثير والفتيل والنقير، فهل روي لك عنهم أو بلغك أن واحداً منهم أو جماعة من ذوي شرفهم وعُلاهم ـ وهم كما تعلم ما هم ـ جاء إلى ذلك المتحدي به والناهض بعبئه، فقال له: "يا فتى! نحن كُبراء قومك، وأشياخ عشيرتك، وفُصحاء عصرك، وقد أكثرتَ علينا التبجّح، وأطلت التحدي بقرآنك والتبذّخ، فاكفُف، فهذه كلمات من جنس ما جئتَ به وآتيته، ومن سنخ ما قرأته وأبديته، وقد عارضنا بها قرآنك وبيانه، فيه واسع جليل"[٤].

ومن قوله (رضوان الله عليه): "أكانت المعارضة ممكنة لهم وتركوها، أو فعلوها ولم يبلغها إلينا ناقلوها، قل لنا بأي الأمرين يحكم عقلك؟!".

---

١) الصلادم: الأمور الشديدة العظيمة. انظر: لسان العرب: ج ٧ ص ٣٨٧.

٢) الحلاقم: جمع حلقوم.

٣) ن، م، ص ١٥٤.

٤) ن، م، ص ١٥٥.

ومن احتجاجه قوله (رضوان الله عليه) : "هذا، والقرآن مِلْءُ أسماعهم وأفكارهم، ونَصّبُ عيونهم وأبصارهم، يرونه يُعيد القصة الشاردة والقضية الواحدة بأفانين من البيان"[١].

وبعد كلمات ذكر أنّ "القرآن لا ينحطّ شأوُه من البلاغة بالتكرار".

ثم مثّل لذلك بقصة فرعون؛ لذكرها في كثير من السور، ثم تلا آيات من سورة يونس عليه السلام والقصص والنازعات"[٢].

وبعده قال رحمه الله : "هذه قصة من قصصه ونبأ من أنبائه، انظر كيف جاء بها في طرق مختلفة... ـ إلى أن قال رحمه الله ـ كل واحد إذا رأيته قلت: هو الغاية، وإذا انتهيت إليه حسبته النهاية، وعلى مثل ذلك سائر أحاديثه".

ثم استرسل قلمه في بيانه الشريف بنور فكره السَني، حتى تعرض لقصة يونس وإبراهيم ويحيى وعيسى عليهم السلام ، وخصَّ يوسف عليه السلام بقوله (رضوان الله عليه) : "وعلى الأخص في قصة يوسف عليه السلام وإخوته على طولها، فإنَّك تجدها وحدها قرآناً معجزاً، وحديثاً عجباً، وجهات إعجازه وأبواب بلاغته كثيرة واسعة، يضيق وسعنا عن إحصائها وتفصيل أنبائها".

حتى أشرق في عقله تمثيلات الكتاب في التشبيه فقال رحمه الله : "إنّ من أبواب إعجازه وبلاغته وبلوغ أسرار براعته الذي يُوقفك على ما تتوخّاه من هذه البُغية وترومُه من هذه المُنية الذي يُريك الإعجاز شهوداً"...

---

١) ن، م، ص ١٥٦.

٢) ن، م، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

وأخذ رَحِمَهُ اللَّهُ في صفته إلى أن قال: "ذاك أنْ تنظر في تشبيهاته البديعة، وتمثيلاته المنيعة، وتضرب أقصى مبالغ الفكرة، وتدأب في مراجعة النظرة، وترى هل تجد مساغاً وتدرك بلاغاً إلى أبلغ منه تمثيلاً"...

وتمشّى قلمه رَحِمَهُ اللَّهُ في ضوء الحق فأشرق بقوله: "ذاك مثل قوله في وصف حال المنافقين وتجسيم حقيقتهم في العيان وتحديد ملكاتهم الخبيثة حيث تشهدها الأذهان، يقول (جل شأنه وتعالى) : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ.... الآية﴾[1].

وبعد أن تلاها رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر "أنه وغيرَه ـ من فلاسفة العلماء والمفسرين ـ عاجزون عن إدراك ذلك المثل وأمثاله، وأن ليس غرضه إلاّ الإشارة إلى وقائعه المنطبقة على خواص الممثل"، فراجعه وغيره من التمثيلات المعجزة فقد حثك على ذلك بقوله قُدِّسَ سِرُّهُ : "ثم سر حتى تنتهي إلى قوله تعالى في بني إسرائيل ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ... الآية﴾...

وبعد كلمات.. ذكر حال تمثيل حال الدنيا وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ

---

١) ن، م، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، "وفي هذه الآية من أسرار العلوم ودقائق الفلسفة الطبيعية ما لا يذهب بعضه أوكله عمّن هو أهله، ثم انظر تفننه"[١]... إلى أن قال رحمه الله :

"من ذاك قوله (عز طَوْلُه) في ضرب المثل لغاية عمل الكافر وسوء عاقبته: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾**[٢].. إلى أن أشار إلى تفصيل المقال بقوله تعالى **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾**[٣]".

ومن بيانه الشافي له قوله رحمه الله : "أتجد للزيادة في هذا المثل من موضع؟ أو تهتدي إلى تشبيه يقع أبلغَ من هذا الموقع؟ أو ترى ـ ولو أجهدتَ أفكارك وجمعت أعوانك وأنصارك ـ أنّك تُحسن أنْ تأتي بأحسن منه

---

١) ن، م، ص ١٦٢.

٢ سورة إبراهيم، الآية ١٨.

٣ سورة النور، الآية ٣٩.

صياغة وأقوى مبالغة وبلاغة، وهو من المبالغة في الكشف عن الحق وتصوير الواقع لا من المبالغات الشعرية"[١].

وبعد جملة من إيضاحه قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

"انظر إلى اختلاف أعمال الكافر وأن منها: ما يتّكل عليه ويقتدي به ويتخذه سبباً لنجاته وزاداً لمعاده، هذا هو السراب الذي إذا جاءه لم يجده شيئاً، وهذا النوع من العمل هو المصرّح به في قوله تعالى ﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾.

ومنها: الأعمال الهمجية العادية العدوانية التي هي لا عن قانون شرع، ولا نظام عقل، ولامرآة مروّة، ولا فتوى فتوّة، وعليه فيجتمع عنده ظلام الكفر وظلام الظلم وظلمات الجهل، فتتراكم عليه الظلمات، وترتبك عليه الجهالات بعضها فوق بعض"[٢].

فلا زال نور عرفانه رَحِمَهُ اللَّهُ يتشعشع في تفسير إعجازها حتى قال رَحِمَهُ اللَّهُ : "وعلى مثل هذا فليُتدبر كلامه وتُفهم آياته"...

ومنه قوله: "ومن هذا المجاز فليَتوصّل السالك إلى معرفة حقيقة الإعجاز"...

وسار فكره المنير لفرقان الحق، حتى تعرض لآية النور، فقال قُدِّسَ سِرُّهُ : "فخذ ـ مثلاً ـ من أول مُفتَتَح الكلام ومُبتدأ الفصل في هذا المقام لترى

---

١) ن، م، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

٢) ن، م، ص ١٦٤.

العجائب تترى، والبيان سحراً، والمعاني منيعة، والألفاظ بديعة، تجد المعجزة باهرة، والقدرة قاهرة..."".

فاسترسل قلمه في تمهيده الواضح حتى شرّفه بتحرير الآية الشريفة الكريمة: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾"، [١].

وبيانه رحمه الله بإعجازها بنورها مشرق منير، فمنه ما نصه: "أشار (جل شأنه) بالفقرة الأولى إلى كون ذلك النور ـ المضروب مثلاً لجلالته ـ متضاعفَ الإضاءة والإشراق بتناصر المشكاة فيه والمصباح والزجاجة والزيت، حتى لم يبقَ بقية مما يقوّي النور ويزيده إشراقاً إلاّ وهي فيه، فكأن هذه الكلمة هي فذلكة المقام وخلاصة المثل، وهي بنفسها درة فريدة تتلألأ نوراً، وتشع إشراقاً، وتتعالى بهجة وسناء، وتتسامى رفعة وعلاء"[٢].

وتوقد نيّرُ فكره في بيان مزاياها حتى أشار لبعض أسرار عموم القرآن بقوله رحمه الله : "ترى أنّ الخطبة الوحيدة أو القصيدة الفريدة أو المقالة السامية

---

١) ن، م، ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

٢) ن، م، ص ١٧١.

في شأو البلاغة ـ إذا كررتها على السمع ثلاثاً أو أربعاً ـ مجَّها، وإذا أمليت على الطبع ملّها واستسمجها حتى قيل إن الطبع موكّل بمُعاداة المُعادات واستكراه المكررات. وهذا الفرقان الحميد والقرآن المجيد كلّما كررته تعالى وتعاظم وتفاخم، يُتلى على جميع الألسنة في غضون هذه القرون المتطاولة، في عموم الأمم المتداولة، وكلّما تلوته وجدته غضاً جديداً".

ثم استرسل بيانه حتى صرّح بعجزه وغيره من فحول العلماء عن إدراك أسرار آية النور وغيرها من القرآن، فقال: "والحق ما يقال من أن القرآن ما فُسِّر إلى الآن"[١].

ثم أخذ في بيان العُذر، ومن قوله: "وأنى تُدْرِكُ هذه الحواس المادية حقائق الأشياء المجردة كما هي، وكيف تُحيط هذه العقول المتناهية بكلام ذلك الكمال غير المتناهي".

وكيف يبلغ المخلوق إلى معاني كلام الخالق وتمام مظهر قدرته فيه، وكلامه وجهة صفاته، وصفاته مرآة ذاته.

وبعد جملة من جليل بيانه ذكر عدة من أعلام الفريقين ممن تصدى ببيان إعجاز القرآن وبعض أسراره، ومنهم: الشريفان علم الهدى وأخوه الشريف الرضي، ومنهم: السكاكي والزمخشري، وأمثالهم[٢].

---

١) ن، م، ص ١٧٢.

٢) ن، م، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

وحض ﵀ القارئ على مراجعة كتبهم؛ لإدراك أسرار القرآن، وقرر ﵀ عجز الكل عن الكل بقوله: "أما الاستيعاب والاستقصاء والحصر والإحصاء فذلك مقام في كتاب الله لا يُنال، وأمر عادَ أو كادَ أن يكون من المحال"[١].

ثم بعد جملة من كلمات.. صرّح فيها بعجزه وغيره عن استقصاء شؤون إعجازه والبلوغ إلى لمَعة من أنوار بلاغته، وقد حرّر من هذا المضمون كلاماً جليلاً، ومنه ما معناه: "أنّ بيانه وغيره من جباهذة العلماء ما هو إلاّ كَبَلّة من الوابل، وقبسة من الشمس"، غير أنه ﵀ اختار أن يلخص من كلام القاضي في (الشفاء) ما فيه الشفاء، فإليك نُبَذاً منه، وهو مشتمل على ضبط أنواع الإعجاز في أربعة وجوه، قال ما نصه:

أولها: حُسن تأليفه، والتئام كلمِه، وفصاحته، وإيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب..." [٢].

وأخذ يصفهم ـ بَدَوِيِّهم وحَضَرِيِّهم ـ بالبلاغة الكاملة من التعبير بالمعاني الكبيرة في الكلمات اليسيرة، وقوة الاقتدار على الخُطب الجزيلة إيجازاً وإطناباً.. حتى قال: "فما راعهم إلاّ رسولٌ كريم بكتاب عزيز ﴿**لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ ، ﴿**أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾ وفصلت كلماته تبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه،

---

١) ن، م، ص ١٧٦.

٢) ن، م، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً".

وبعد كلمات... ذكر هتاف الكتاب المجيد بهم بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾[1].

ثم ذكر تقريع الكتاب وتوبيخه إيّاهم وتسفيه أحلامهم، وذمّ آلهتهم، وذكر عجزهم عن مقابلته، وادعائهم ذلك مع العجز بمثل قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ مع رضاهم بالدنيّة، وتصريحهم بالإعراض عنه بمثل قوله تعالى: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ و ﴿فِي أَكِنَّةٍ﴾، وقوله ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾... حتى قال: "بل ولّوا عنه مدبرين وأتوا إليه مذعنين من بين مهتدٍ وبين مفتون. ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وأنه ليعلو ولا يُعلى عليه، ولا يقول هذا بشذّ.

وذكر أبو عبيدة أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فسجد وقال: سجدت لفصاحته.

وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ قال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام.

---

١) ن، م، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها: قاتلك الله، ما أفصحك! فقالت: أوَيُعدُّ هذا فصاحة بعد قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ... الآية﴾ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

فهذا نوع من إعجازه، منفرد بذاته، غير مضاف إلى غيره".

ثم تلا جملة من أمثالها كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ﴾، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ إلى آخرها، وأشباهها[1].

ورتّب على التأمّل فيها تحقق ما بيّنه من إيجاز الألفاظ وكثرة المعاني وما فيها من العلوم الزواخر. ثم أشار للإعجاز بحسن التركيب ونظم البيان في القصص الطوال الحاوية لأنباء القرون السالفة مع اقتضائها لضعف الفصاحة والبيان في العادة. وبعد انتهاء الوجه الأول قال رَحِمَهُ اللَّهُ ما نصه:

"**الوجه الثاني** من إعجازه: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب، المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم، وتدلّهت[2] دونه أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم".

---

١) ن، م، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

٢) التدلّه: الحيرة والدهشة. انظر: مجمع البحرين: ج ٦ ص ٣٤٥.

ثم ذكر حيرة الوليد بن المغيرة في الجواب بعد اعترافه بأنه ليس من الكهانة ولا الشعر. وذكر استقرار رأيه ـ عتوّا منه ـ على كونه من السحر والنزول بذمّه ووعيده... قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا...﴾ إلى آخر الآية [١].

ثم أخذ في بيان عجز العرب بالدلائل إلى أن قال:

"**الوجه الثالث** من الإعجاز: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات مما لم يكن فكان كما قال، ووقع كما أخبر، كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ إلى آخره" [٢].

ومنه إخباره بما أكنه الأصحاب في صدورهم والمنافقون واليهود وتبشيره ﷺ بالنصر ودخول الناس في دينه أفواجاً.

وبعد انتهائه قال الشيخ رحمه الله ما نصه:

"يقول مؤلف هذه الدعوة [٣]: إن الكتاب الكريم والسنة النبوية قد اشتملا على شيء كثير من الإخبار بالغيب صراحة وتلويحاً، ويحسن أن يُفرد هذا العنوان بالتأليف ولاسيما إذا ضُم إلى ذلك إخبار أمير المؤمنين

---

١) ن، م، ص ١٨٤.

٢) ن، م، ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

٣) ن، م، ص ١٨٧.

علي بن أبي طالب عليه السلام بالملاحم كما في (النهج) وغيره، فإنه يجيء كأكبر كتاب وأعظم آية ومعجزة للإسلام..." إلى آخر كلامه رحمه الله.

وبعده ذكر الوجه التالي، وهو ما نصه:

"**الوجه الرابع**: ما أنبأ من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي (صلوات الله عليه وآله) على وجهه، ويأتي به على نصه فيعترف العالم منهم بصحته وصدقه، وأن مثله لم ينله بتعليم. وقد علموا أنه صلى الله عليه وآله أمي لا يقرأ ولا يكتب..." إلى آخره[1].

وفيه ما معناه أنه صار سبباً لتوفيق كثير من أهل الكتاب للسعادة، وكثير منهم بل أكثرهم صرح بصحة نبوّته، واعترف بعناده وحسده...". وذكر ثلّة منهم، إلى أن قال: "ولم يُؤثَر أنّ واحداً منهم أظهر ما هو بخلاف قوله من كتبه، ولا أبدى صحيحاً أو سقيما من صحفه. قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ الآيتين. قال الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله: انتهى.

ثم أثنى عليه بما هو أهله من المعرفة بطرق الإعجاز، وصرح بعجزه كغيره عن الوصول إلى الحقيقة، بل ولا جُزءَها.. ثم نبّه على أمور ثلاثة:

الأمر الأول: في النظر في كلمات عرب الجاهلية وأشعارهم ومباهاتهم بذلك وبيان ما فيه من خلل الانتظام مع ما فيه من حُسن النظام

---

١) ن، م، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

في السجع والبيان. وأن أحدهم في القصيدة الواحدة ينظمها أولاً بالألفاظ السهلة المأنوسة، والمعاني البديعة المحسوسة، وإذا هو في أثناها على العكس من ذلك من الألفاظ الوحشية والمعاني المعقدة.

ثم سرد شيئاً من كل من المعلقات السبع وغيرها؛ ليقابل السهل الحسن بالوحشي المعقد، ثم ينظر بجليل فكره في حُسن نظم ألفاظ القرآن وصياغة مبانيه وجليل بيان معانيه، فإليك نبذةً من الأمر الأول، **قال** رحمه الله **ما نصه:**

"إن كل ذي نظرة في جمهرة أحوال العرب وشؤونهم ـ ولو بالنظرة الطفيفة واللحظة الخفيفة ـ يعرف توسّعهم في أساليب البيان، واستحارهم في الفصاحة والبلاغة، ويعلم ما لذلك عندهم"[١].

ثم يذكر رحمه الله حُسن نفوذ بيانهم وتأثير كلامهم في المجتمع والأفراد، حتى يقول: "فكان الشعر وحُسن البيان عندهم كأنه هو الذي يُذلُّ العزيز ويُعز الذليل، ويشجّع الجبان، ويُسخي البخيل، ويُحلّم السفيه، ويسفّه الحليم، ويُثير رَهَجَ[٢] الحروب، ويُطفي لَهب الخُطوب، ويتصرف في القلوب بما لا تتصرف فيه ابنةُ الكرام، ولا رسيس[٣] الغرام، وشواهد ذلك أكثر من أن تُحصى أو يُحيط بها الاستطراد"[٤].

---

١) ن، م، ص ١٩٠ ـ ١٩١.

٢) الرَّهْجُ والرَّهَجُ: هو الغبار. وأرْهَجَ الغبارَ أي أثاره. انظر: لسان العرب: ج ٢ ص ٢٨٤.

٣) من رسّ الشيء، وهو الثابت الذي لا يزول.

٤) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ١٩١.

ثم ذكر رحمه الله جملة [من ذلك] مثل قول الأعشى[١]: (وبات على النار الندى والمحلق)[٢]، وقول الآخر: (قوم هم الأنف والأذناب غيرهم)[٣]..." إلى آخره[٤]. فافتخر من لقّب به بعد كونه مسبة.

ثم قال رحمه الله : "إنه لو أراد جمعه أو الخوض فيه لاندفعنا إلى أودية فيحاء متّسعة الأرجاء"... ثم تعرض للمعلقات السبع وتفاخرهم بها وقال في أثناء كلامه: "وأنت إذا منحتها النظرة الأولى وجدت لأكثرها رونقاً من حُسن، ومَسحة من لطف، ولكنك إذ أتْبعتها الثانية وأمعنتَ بها تدبّراً، ومخضتها اعتباراً، وجدتها أسلاكاً وقلائد، قد نَظمت الدُرّة والبَعرة، والذهب والمُخشلب[٥]"[٦].

---

١) هو ميمون بن قيس بن جندل من قبيلة بكر بن وائل. كان يغني بشعره فلُقّبَ صناجة العرب، ولقّب بالأعشى لضعف بصره، حتى عمي في أواخر عمره. ويقال له: أعشى قيس، والأعشى الأكبر. ويكنى أبا بصير. عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يُسلم، مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة، وفيها داره وبها قبره.

٢) هذا عجز بيت أوله (تشب لمقرورَيْن يصطليانها) ، وأول أبيات القصيدة:

أرِقْتُ وما هذا السُهاد المؤرّق وما بيَ من سُقم وما بيَ مَعشقُ

٣) هذا يمتدح بها بني أنف الناقة، صدر بيت للحُطيئة (أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي) بدأ به قصيدته وذيله وتمامه (ومن يسويً بأنف الناقة الذنبا).

٤) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ١٩٢.

٥) ما يُتخذ من الخرز كالحِلي للزينة. كما في المعجم الأوسط.

٦) ن، م، ص ١٩٤.

ثم قال رحمه الله ما نصه: "خذ إليك كلمة امرؤ القيس ـ التي هي طليعة السبع ـ وانظر فيها تجدك بينا تسير في رياضٍ دمثة[١]، وسهول ملبّدة[٢]، وعيون ماء منفجرة، وإذا بك في حَرّة سوداء[٣]، وحجارة خشناء[٤]"[٥].

ثم تعرّض في بيانه لقصيد طَرفة [بن العبد] وقصيد عمرو بن كلثوم وما فيهما من السهولة والغرابة والقوة والوحاشة، وذكر منهما جملة، وتعرّض لما في كلمات العرب ـ من أمثالهم ـ من عدم الانتظام على نسق واحد... إلى أن قال ما نصه: "حتى إذا سطعت أنوار هذا الفرقان الحميد، وصدعت بالحق كلماته، وأشرقت على العالم شموس آياته، نهج للناس منهجاً من الفصاحة ما كانوا ليهتدوا إليه، ولا ليصيبوه، ولو أجهدوا أنفسهم دهوراً وأحقاباً. عَرّفَ هذا الكتاب الكريم كيف ينبغي أن يُصاغ القول، وتُسبك الألفاظ، وكيف تُجعل قوالباً للمعاني لا يزيد شيء منها على الآخر ولا ينقص أو يتقلص عنه. القرآن هو الذي علّم الناس كيف يبلغ البيان من التصرف في العقول والتمكن من النفوس والتملك على الخواطر"[٦].

---

١) مؤنث من دمث: الحسن السهل، يقال: دمث الخُلُق أي حسن الخلق. المعجم الوسيط.

٢) الملبد هو المغطى بالغيوم. المعجم الوسيط.

٣) أرض ذات حجارة سوداء كأنها قد أحْرِقَت. المعجم الوسيط.

٤) الأرض الخشناء التي بها رمل وحجارة. المعجم الوسيط.

٥) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ١٩٦.

٦) ن، م، ص ٢٠٢.

ثم ذكر رحمه الله من اقتبس من القرآن حُسن البلاغة والبيان من العلماء والشعراء، وقايس بين متقدمي العرب ومتأخريهم ممن استضاء بمصباح القرآن في نثره ونظمه، ومنهم: الحسن بن هاني، وذكر له مقطوعة لاميّة أعجب بها الشريف الرضي رحمه الله ، ومقطوعة رائية[١]، يروقني ـ جداً ـ تحرير بعض منها:

يـــا منـــة امتنّهـــا الســـكر ... مـا ينقضـي منـي لهـا الشـكر
يثنـــي إليـــك بهـــا ســـوالفه ... رشـــا صـــناعة عينـــه الســـحر
ظلـت حميّـا الكـأس تبسـطنا ... حتـــى تهتّـــك بيننـــا الســـتر
في مجلس ضحك السرور بـــه ... عن ناجذيه وحلّت الخمـــر[٢]

انتهى مرادنا من الأمر الأول.

ودونك بُغيتنا مما نجتنيه من ثمرات الأمر الثاني المعقود لتفسير معنى الإعجاز:

[**الأمر الثاني**: في النظر في تفسير ومعنى الإعجاز]

قال رحمه الله ما نصه:

"فإذا أردت الإيجاز عن حقيقة الإعجاز فقل: هو الكلام الذي يعجز عامّة أهل اللسان عن الإتيان بمثله، أو الإتيان بما هو من سنخه وعلى طرزه

---

١) ن، م، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٧.

٢) انظر: ديوان أبي نواس: ص ٢٧٠، طبع دار الكتب العلمية، بتعليق الأستاذ علي فاعور.

وأسلوبه، كهذا الإعجاز المحمدي، فإنه وراء إعجازه أهل اللسان عن مباراته، أدهشهم وأعجزهم عن معرفة نزعته"[١].

ثم أخذ رحمه الله في بيان ذلك إلى أن قال: "ما أصابوا من حقيقته سوى أنهم ما أصابوها، وما عرفوا غير أنها غريبةٌ ما عرفوها، فهذا إيجاز الكلام عن الإعجاز"[٢].

ثم تعرض (رضوان الله عليه) لبيان الفصاحة والبلاغة وأنها ليست خاصة باللسان العربي بل عامة لكل لسان، وأنها عند كل أمّة لها أثرها في النفوس الأريحية بروحانية العلم، وأنها متفاوتة، وأنها لا يمكن تعريفها بحدٍّ جامع مانع، بحيث يدل عليها دلالة حسية، وقال رحمه الله ما معناه: "إن أحسن ما يدل على الفصاحة والبلاغة: تأثيرها في النفوس من التكهرب بالهزة بحسن روحانيتها في نفوس العالمين بها"[٣].

وأخذ في توضيح ذلك حتى قال ما نصه:

"وأجلى بياناً: أن الكلام البليغ هو الذي يتصرف في الأرواح والأجسام تصرفاً روحياً طبيعياً، أريد أنه يعمل في الروح وفي الطبيعة وفي العقل والمادة، كلٌّ على حسبه، ومن سنخ ما يليق به، ولذلك تجده عند كل أمة وفي كل لسان، ولكنه ذو عرَض عريض، ومقامات لعلها لا تتناهى، كعدم

---

١) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٢١٢.

٢) ن، م، ص ٢١٣.

٣) ن، م، ص ٢١٥.

تناهي مراتب تأثيره في النفوس، وتصرفه في الألباب والعقول، شدّةً وضعفاً، على حسب حظه من البلاغة، ومنزلته من معارجها المترامية، وأبراجها السامية، وحظ المستمع من عرفان ذلك"[١].

ثم قال رحمه الله ما ملخصه: أنه لا يستطيع أزيد من هذا الإيضاح إلا بالتمثيل، ومثّل بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾[٢]،[٣].

ثم قال رحمه الله ما نصه: "شرّفْ سمعك وبصرك بتلاوة هذه الآيات إلى آخر السورة، اقرأها بتدبّر، وتدبرها بتفهّم، وانظر هل تجد لها لوعة في قلبك، وروعة في لبّك، وهزّة في سوادك، وفزّة في فؤادك؟".

ثم أخذ رحمه الله في إيضاح ذلك، وحث على التأمل في مثل قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، ثم تلا [قوله] ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٤].

ثم أخذ في الحثّ على تدبّر السورة، حتى تعرّض للحواميم، وقال:

---

١) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٢١٦.

٢) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

٣) ن، م، ص ٢١٧.

٤) سورة يوسف، الآيتان ٢٣ و ٣١.

"فإذا جئت إلى سورة الأحقاف فقف عند قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، حتى تنتهي إلى آخر السورة من قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾، قف في قراءتها، وتريّث ولا تستعجل في تلاوتها، وأنا واثق لك ببلوغ الغاية ونيل البُلغة، والظفر بنهايات مبالغ البلاغة، هناك تحسّ أنّ القول البليغ هو ما يبلُغ بك إلى الحالة التي تتصرف في كيانك تصرفاً طبيعياً، وتسري في كل مشاعرك سيراً كهربائياً، الحالة التي تهزك من الارتياح هزّة الأفراح، وتعمل بك على سلامة من عقلك فعل الراح بالأرواح، وهذا التصرف والتأثير قد يشتد ويقوى حسب القوابل والفواعل، حتى تظهر آثاره على الهيكل المحسوس والأعضاء الظاهرة والبُنية المشهورة، وهي التي سجد منها ذلك الأعرابي حين سمع قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال: سجدتُ لفصاحته"[1].

ثم ذكر رحمه الله خضوع بعض جبابرة قريش بما سمعوا من القرآن، كالوليد بن المغيرة وجُبير بن مُطعِم حين سمع قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[2] قال: كاد قلبي يطير إلى الإسلام".

---

١) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

٢) سورة الطور، الآية ٣٥.

إلى أن ذكر رحمه الله محاجة عتبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ﴾[١]، أمسك عتبة بيده على فم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وناشده بالرّحِم أن يكفَّ. انتهى.

وبه انتهى مرادنا من الأمر الثاني.

وإليك أيضاً نُبَذاً من الأمر الثالث:

[**الأمر الثالث**: في إتمام بيان المعجزة]

قال رحمه الله ما نصه: "أمَا ـ وعزّة جلال الله ـ لولا أنّ هذا المعجز المحمدي والفرقان الأحدي كل معجزاته معجبة، وجميع آياته باهرة، وكل كراماته كبر، وعامّة عباراته عِبَر، تحسب كل آية أكبر من أختها، وكل معجزة منه أجلى من غيرها، لولا ذلك لقلت إنّ أكبر آية وبرهان وأعظم معجزة لهذا القرآن ـ المعجزة التي لو تأملها المكابر لخرس ولم يستطع إنكارها وجَحْدها ـ ألا وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٢]، تدبّر أيها القارئ الكريم ولطّف فكرك، وانظر فلسفة إعمار الأمم ولغاتها وحياتها ومماتها ونشؤها ونموّها ثم انقراضها، واعطف الفكرة على أديانها وكتبها المقدسة، انظر كيف اضمحلّت أسسها وزالت أصولها.."[٣].

---

١) سورة فصلت، الآية ١٣.

٢) سورة الحج، الآية ٩.

٣) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٢٣١.

ثم أخذ رحمه الله في البيان إلى أن قال: "ولو أردنا شرح ذلك على التفصيل لطال بنا الكلام واتسعت معنا الخطّة، ولكن هو على إجماله مما لا ريب فيه، ولا ينكره إلاّ مكابر أو قاصر. أما القرآن فقد وعد الله بحفظه وكلاءته ونصره ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[1]، قد وفى بما وعد، وصدق بما ضمن، حفظ الله هذا الدين بحفظ القرآن الكريم، وحفظ القرآن الكريم بحفظ اللغة العربية".

ثم أخذ رحمه الله في بيان أهميتها ومنفعتها، واعتناء بعض عظماء المسلمين من غير العرب، وذكر منهم ثلّة كالهروي، والسجستاني، والفارسي، والقزويني، والطالقاني، والخوارزمي، والهمداني، وأمثالهم من العظماء[2].

ومن جليل بيانه رحمه الله ما نصه:

"قل لي - بأبيكَ والشرف - أيّ لغة صنعت لها العناية هذا الصنع، ولطُفت بها هذا اللطف، ومنحتها هذه المِنَح، وسخّرت مستعمراتها لخدمتها هذا التسخير، هذه الأمم العادية القدامى أمامك كلها، واللّغات نصب سمعك وبصرك جميعها. هذه اليونانية، والفارسية التي كانت مهد العلوم في الغرب والشرق، هذه الهندية والصينية، هذه الرومانية، والأرامية، والقازانية، والطورانية، والأريانية، انظر هل تجد في شيء منها لمحة من هذه العظمة والفخامة والعزة والكرامة؟ هل تجد أمة أخرى سعت هذا السعي لترويج

---

١) سورة آل عمران، الآية ٩.

٢) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٦.

لغة غيرها، وبذلت تلك العناية الباهرة فيها؟ أفَلَيْسَ هذه الجبلّية الباهرة والقضية الظاهرة والقصة القاهرة من معجزات هذا القرآن الكريم والفرقان العظيم؟ أليست هي إحدى أعلام نبوته ﷺ وإخباره عن الغيب؟ أليست هي من أسرار كريمة قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؟"[1].

ثم ترشّح غير فكره في التحقيق، حتى أشار إلى بعض شبه الزنادقة بتعلقهم بمتشابه الكتاب كي يدفعها فقال:

"نعم، هناك نَزَعات بل نِزَعات ومتشابهات في زي شُبهات يهمّنا بل يلزمنا سردها ونقلها وعقدها وحلها، وهي شبهات تجمّعت من تفاريق كلمات الزنادقة والملحدين في كل دين، المتجمعين من كل حدب وصوب، قد تلقاها بعض أغبياء باقي الملل، بل أغوياؤهم، ووسعوا لها صدراً رحيباً، وعددوها على الإسلام ولسانه مطاعن وذنوباً. وتلك الشبهات على أنها في ذاتها أوهن من نسج العناكب، وأكذب من نار الحباحب، تصدّى زعماء الإسلام وعلماؤهم فنشروها هباء، وجعلوها على العدو عفاء، وأفردوا لها كتباً بالتصنيف، وحشدوا فيها كل رزين وطفيف، وأئمتنا الأطهار ما أبقوا حاجة إلى قول قائل أو طول متطاول، إن لهم في الذب عن الإسلام بكل قاطعة الخصام اليد البيضاء والنعمة العظمى والمنة الكبرى، التي يعظم ذكرها، ويجب شكرها. بلى، هم حجج الله في أرضه، وسدنة

---

١)) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

دينه، ودعائم يقينه، وحملة براهينه، وحرسة إسلامه، وحفظة نواميسه، هم الحجة والخصام، هم الدين والإسلام، هم المشاعر العظام، هم البُرء لكل سقام"[١].

ثم حث الفطِن المتنبه لطلب الحقائق على مراجعة أخبار أئمتنا عليهم السلام ؛ لما فيها من الكفاءة لقلع تلك الشبهات من أسسها.

ثم أشار (رضوان الله عليه) لسدّ بابها بتسليم العقل السليم بنبوة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بإعجاز الكتاب العظيم، وقال (رضوان الله عليه) : "أفَتشكُّ في أن جملة من الآيات بل جلها مما ذكرناه وفصلناه أو قصرنا عنه ووقفنا دونه لا رغبة عنه بل عجزاً، مما لا مجال فيه حتى لذلك التوهم الفاسد والزعم الكاسد، وأنه بالمقام الذي عرفته ورأيته من الإعجاز في البلاغة، وظهور الآية، وقيام الحجة، وثبوت المعجزة، وقطع المعذرة. ثم أليس ذلك كله بكافٍ لك في صحة النبوة؟"[٢].

ثم أخذ في تحقيق إلزام المُنصف بالتصديق بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كي يقلع به الشبهات القاطعة بالتسليم الضروري، فقال ما نصه: "وبعد هذا، فأي مجال لتلك الاعتراضات وزعم التناقضات ممن ثبتت نبوته، وفلجت حجته، وقامت آيته؟ وهل لورود ما يوهم ذلك من سبيل للعقل إلاّ إلى الحكم بأن المُراد به خلاف ظاهره دون متبادره لحكمة معلومة أو مجهولة؟ وما أكثر

---

١) ن، م، ص ٢٤٢.

٢) ن، م، ص ٢٤٣.

ما نجهل وأقل ما نعلم، فلابدَّ من أن يأوّل أحد الكلامين أو كلاهما؛ حتى يؤولا إلى التصالح والتسالم، ويرتفع ما يظهر بينهما من التضاد والتزاحم"[١].

ثم صرح بإلزام العقل بالتسليم فيما لا يمكن تأويله؛ لوجوب اتّباع الله ورسوله، واستدل نقلاً بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم [وملخصه] : «**يا قومي إن في كلامي وكلام مُرسلي محكمات، فخذوا بها واتبعوها، وفيها متشابهات فلا تتعرضوها، فلستم المكلفين بها والمعنيين منها**»"...

وبعد كلمات استدل بكريمة قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ على الأوجَه من العطف لا الاستئناف، وتكون الجملة على الحال[٢].

ثم حثّ المنصف على النظر للآية المتعقّبة لردعها عن التسبب للزيغ بالتعرض لذلك وهي قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾، ثم أيّده بكلام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه (صلوات الله عليه وعلى أبنائه)[٣].

---

١) ن، م، ص ٢٤٤.

٢) ن، م، ص ٢٤٥.

٣) ن، م، ص ٢٤٧.

ثم أخذ يستدل بالحجج القاطعة، فمحا الشبهات بالبراهين الواضحات، حتى أشرقت بذلك شموش إعجاز القرآن.

ولم يُبق الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للخصم من الإشكالات ما يتعلق به سوى إشكال أورده هو على نفسه عن لسان الخصم، فقال ما نصه: "وهو أن تقول: نعم هو معجز ولا يمكن لأحد من العرب فضلاً عن غيرهم معارضته، ولكن لا يلزم من ذلك صدق المتحدى به في دعوى الرسالة، زاعماً أن من الممكن أن يوجد شخص له قوّة في البلاغة، وملكة في البيان، يفوق بها أهل زمانه ومَن بعدهم ممن يشاركه في أصل تلك الصنعة، ويساويه في جوهر تلك الصفة، وإن اختص هو من بينهم؛ لقوة حدسه، وشدة فطانته، باختراع شيء، واختلاق أمر من عند نفسه، ثم ينسبه إلى الخالق؛ ترويجاً لأمره.. ـ إلى أن قال ـ وعليه فأي دليل في هذا المعجز باصطلاحكم على صحة النبوة؟"[1].

ثم استرسل قلمه الشريف في حُسن بيانه، وامتنانه على المجادل؛ لما قام له من بسط حجته في شبهته، حتى قلعها نقضاً وحلاً بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ما نصه:

"فإنا ننقض عليك ونعيد مقالتك تلك إليك، ونقول لك ـ إن كنت يهودياً أو نصرانياً ـ: إن من الممكن في حق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يكون قد اتّفق عنده من السحر ما أبطل به سحر السحرة، وفاق واستعلى به على جميع أولئك الجهابذة المَهَرَةِ، فإنه زمان شوكة السحر وأيام دولته، فلعل جميع ما جاء به من المعجزات أنواع وضروب من السحر، قد اهتدى هو بحدة فطنته

---

١) ن، م، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

ولطف قريحته لاختراعها، ثم حصل له مثل ذلك الغرض الخاص، وعلم أنهم يعجزون عنها؛ لعدم معرفتهم بطرقها وأسبابها، فتحدى بها على السحرة ونسبها إلى خالقه؛ ترويجاً لغرضه، وتوصّل فيه لمقاصده. ومثل ذلك نقول في عيسى"[١] (على نبينا وآله وعليه السلام).

ثم ذكر رحمه الله إعجازه عليه السلام في الطب وإمكان الاحتمال المذكور. وبعد كلمات جليلة تعرض لحل الإشكال بالحل، فقال رحمه الله : "وأما الحل: فهو أنّا أشرنا لك فيما سبق من الفصول، ورمزنا إليك في أثناء المباحث، أنّ الخصومة بيننا لا تكاد تقف على حد، ولا تنتهي إلى فصل"...

وأخذ رحمه الله في الحجة إلى أن ألزم الخصم بنصب حاكم فاصل في القضية، فقال رحمه الله : "ألا وهو العقل الذي جعله تعالى الفيصل الحاكم في أصول الدين..."[٢].

ثم قدّر اعتراف الخصم بقبوله بحكم العقل واعتراضه بجهله بحكومته، وطلبه طريقها والحكمة على ذلك، وأجابه بقوله رحمه الله : "تحسبُ أنّ مَن أبدع العقل قد جهله وأبطله من حيث علمه وجعله، وهذه من حيث أعده وأعدمه من حيث أوجده، وعزله ونكبه من حيث نصره ونصبه؟"[٣].

---

١) ن، م، ص ٢٥٣.

٢) ن، م، ص ٢٥٥.

٣) ن، م، ص ٢٥٦.

واسترسل ﷺ في واضح الجواب، وملخصه: أن معيار الحكم حكومة ذوي العقول السليمة بالفطرة.

ومنه ما نصه: "وهل عصارة ما زخر فتاهَ عنك من واهن الشبهة وواهي الحجة إلاّ القول بالصدفة؟! حيث تقول: عسى أن يكون قد اتفق لموسى من معرفة أسباب السحر ما لم يعثر [عليه] سحرة عصره، ولعيسى من الطب ماخفى على أطباء زمانه، ولمحمد ﷺ من البلاغة ما عجز عنه بلغاء قومه، وهل هذا إلاّ كقول من قال: إن وجود العالم بالصدفة! ... ـ إلى أن قال ﷺ ـ وهناك قوم على أوليات الدهر وأخرياته ممن نتسالم على صحة عقولهم ورجاحة حلومهم، قد أنكروا على أولئك أشد الإنكار، ومن واضح حجته ما استنتجه ونَصّه وحكم [به] العقلاء في كل مقام أو مثله هو ميزان المرء في حكم عقله"[1].

ثم سطع نور بيانه بقوله: "أما انحلال تلك الشبهة ووضوح انتكائها، فلو كان في الإمكان شيء هو فوق البديهية بمكان لكان إياه ذاك بعد أقل التفاتٍ وأدنى تأمل، وإلا لبطلت الشرائع. نعم، ولاتّسع الخرق على الراقع، وأدى إلى إنكار الصانع، فعلامَ تخفيه بالشريعة الإسلامية والملة المحمدية؟ أجل وهناك شيء آخر [وهو] أن ما ذكرناه من كثرة المخترعين والمبدعين في العلوم وفي الصنائع؛ لقياس ما أدحضه وقول ما أرفضه وأخفضه، إنك لتعلم ما من مخترع ممن تشير إليه إلاّ وقد اهتدى إلى ما أعجبك اختراعه

---

١) ن، م، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

بعد المثابرة والكفاح والغدو والرواح، إلاّ بعد أن دوّخ الأساتيذ والمدارس"[١].

وأخذ يدحض شبهة الباطل بحجة الحق، إلى أن قال (رضوان الله عليه) : "أما من خصصناهم بالنبوة وآمنّا بهم ـ لمكان المعجزة ـ فهم بين ظهراني أمّتهم ونصب عيون قومهم، وما كان ليخفى عليهم شيء من أمرهم، ولا ليتوارى عنهم خفي أحوالهم، من حين ترعرعهم إلى زمان إكهالهم، يجدون ويشهدون أنهم ما مارسوا علماً ولا درسوا فنّاً ولا اختلفوا إلى معلم، ولا وقفوا من البشر على مؤدِّب سيما في سنخ تلك المعجزة التي تحدّوا إليها وعمدوا في دعوى النبوة عليها، وهم ما ابتدأوا بالدعوة إلاّ قومهم، ولا خصّوا بإظهار المعجزات إلاّ بلادهم؛ تبيناً للحجة، وقطعاً للمعاذير"[٢].

فلازال ينير برهان إيضاحه، ومنه ما ملخصه: أن معاجز الأنبياء عليهم السلام كانت واحدة، لكل واحد منهم لم يجئ أحد من المخترعين بمثلها، ففيه ما نصه: "أتراك تجد من يضرب بعصاه البحر منبجاً فيشقّ للعبور فيه طريقاً يبساً؟! إلى أمثال ذلك؟"[٣].

واستطال منار برهانه حتى صرح بعجز معاصريهم من المدّعين تحدّيهم في مَهَرَة السَحَرَة وحُذّاق الأطباء والمُبرّزين في بلاغة الكلام، وبعده قال

---

١) ن، م، ص ٢٥٧.

٢) ن، م، ص ٢٥٨.

٣) ن، م، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

ﷺ ما نصه: "ولا أحسبك ـ مع مساعفة التوفيق ومساعدة العناية، بعد جميع ما توخّيناه لك من النصح، وجهدنا فيه لك من البيان ـ إلاّ وقد وقفتَ على أعظم الصرفة عن القول بالصدفة. كما اتضح من جميع ذلك منتهى فساد القول (بأن إعجاز القرآن ليس هو بجوهره وذاته، بل بالحجز عنه والصرفة دونه)[١]، إنْ ذلك إلاّ رأي عازبٌ، وقول كاذبٌ... "[٢].

وأخذ يُبطله بدليله الجليل، حتى عاد للبيان في إعجاز القرآن، وقال في أثنائه: "وجميع ما ذكرناه في وجوه إعجازه وبلاغته على أنه فيض من غيض وقطرة من بحر، كله ليس من خطّتنا ولا بالذي سبقت له وجيزتُنا... الخ"[٣].

ومنه، ما ملخصه: "أنّ المطلوب من دعوته استناده فيها إلى إعجاز القرآن وإحالة التفاصيل لغيرها".

ثم خاطب العالِمين بالبلاغة وقال (رضوان الله عليه): "وختمُ الكلام معك ـ يا ذا الذي ترى أنك من الصنف الأول الذي نحن في إيضاح الحق له، وإثبات الحجة عليه ـ بكل ما سردناه من الكلام أنك إن كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها من معرفة الفصاحات، والتحقق بمجاري البلاغات، فقد يكفيك التأمّل، ويُغنيك التصوّر، ويُزغك عن الجِماح إلجام التدبر"[٤].

---

١) نُسب هذا القول إلى كل من: النظّام وعبّاد بن سليمان، وهشام الفوطي، وابن حزم الأندلسي وأبي إسحق الاسفرائيني والشريف المرتضى الذي ألف رسالة باسم (الصرفة).

٢) ن، م، ص ٢٥٩.

٣) ن، م، ص ٢٦١.

٤) ن، م، ص ٢٦١.

ثم تدفّق يراعه بنميره الصافي من بيانه للصنف العالم، ومنه ما مضمونه: "إن كنت عاجزاً عن المعرفة بعقلك السليم فلابد لك من التقليد؛ إذ أنت حينئذ من الصنف الثاني الجاهلين الطالبين للحق".

ثم فتح رحمه الله له باب الإرشاد والتعليل، وتعهد له بالنجاح إن أخذ به، وطلب التوفيق من الله (عزّ وجل) حتى فرع عليه بقوله: "فأقول لكل من طرأت عليه دعوتي، وطارت بجناح الخلوص إليه نصيحتي، من كافّة الخلق وعامة البشر، وكلهم الصنف الثاني، والأول في غاية الندرة"[١].

ثم شعّت شمس إرشاده حتى قال رحمه الله : "يا هذا، إنك مهما جهلت ما الأشياء! فلستَ بجاهل أنّ العناية الأزلية والحكمة الإلهية لم تقض بأن تكون كل العلوم والصنائع والمعارف والحِرف وأمثال ذلك عند كل واحد من الناس، بل العناية قضت أن يكون الكل عند الكل، ولا يخلو الجميع من الجميع؛ لأن الجميع عند كل واحد من الجميع. هذه سنّة الله ـ كما ترى ـ في العباد والبلاد منذ بدأ العالم ومن لدن عهد آدم"[٢].

ثم دمغ الباطل وأفاد بما مضمونه: أنه إن أبى مَن أرشده فهو خارج عن ميزان العقلاء، فهو من الصنف الثالث الجاهل المتعنّت، من لا يتأثر بالحجة والإرشاد، فربّه له بالمرصاد.

---

١) ن، م، ص ٢٦٢.

٢) ن، م، ص ٢٦٣.

ثم خاطب طالب الحق المنصف وأخذ يصفه إلى أن قال رحمه الله : "فلم يبق لك علينا في هذا الشأن من إثبات إعجاز القرآن إلاّ أن ننبّهك على ما هو بديهي عندك"...

وأخذ في إيضاحه إلى أن قال رحمه الله : "وهو ما أشرنا إليه غير مرة من عجز العرب عن معارضته، وإذعان بُلغائهم بتناهيه، وأنها فوق طوق البشر"[١].

وأخذت تُشع كواكب بيانه بلئالئ كلامه، ومضمونه:

"إنّ عجز العرب عن معارضة القرآن كان من الضروريات المسلّمة من توفّر الدواعي على إسقاطه وبَهته، وكذلك دواعي نقل ذلك سيما من المنن الخارجة، ولم يُنقل إلاّ ما هو صريح في إعزازه وظهوره، واعتراف العرب بالقصور عن تحديده ومقابلته..."[٢].

إلى أن ذكر قصة الوليد واستِفاضتها عند النُقّال والمفسرين ومنهم: (أمين الإسلام الطبرسي) في (مجمع البيان)[٣]، وأنه ذكرها فيه مفصلاً.

ومنهم: (الزمخشري) في (الكشاف)...

وأخذ في الثناء عليهما وذكر ما في (الكشاف) ؛ لاختصاره فقال ما نصه: قال في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ***... ـ إلى قوله

---

١) ن، م، ص ٢٦٤.

٢) ن، م، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

٣) مجمع البيان: ج ١٠ ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(عَزّ شأنه) ـ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[١]: روي أن الوليد قال لبني مخزوم: أمِا والله لقد سمعت من محمد [ﷺ] كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمُغدق، وإنّه ليَعلو ولا يُعلى عليه. فقالت قريش: صبا ـ والله ـ الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم. فقال أبو جهل (لعنه الله) : أنا أكفيكموه، فقدم إليه حزيناً وكلّمه بما أحماه، فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمداً مجنون! فهل رأيتموه يحنق؟ وتقولون إنه كاهن! فهل رأيتموه يتكهّن؟ وتزعمون أنّه كذّاب! فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو ففكر؟ فقال: ما هو إلا ساحر! أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله ووُلده ومواليه؟! وما الذي يقوله إلاّ سحر يؤثره عن مسيلمة وعن أهل بابل، فارتجّ النادي فرحاً، وتفرقوا معجبين بقوله، متعجبين منه[٢]. انتهى.

وما عجبي وتعجب كل ذي فطانة ونَصَفٍ إلاّ من استقامته واعوجاجه، واحتجاجه ولِجاجه، انظر كيف أبصر الحق ثم تعامى! وكيف خاض في الجهل وعامى! فقل له: أيها الوليد الغِرّ والعازب عن حصافة الفكر، لو كان ثمّة شيء من السحر تعلّمه محمد ﷺ من أهل بابل فلمَ لا تَعَلّمه منهم غيره؟ ولماذا لم ينكشف لسائر الناس سره، ويظهر لهم كما ظهر لك أمره؟!

---

١) سورة المدثر، الآيات ١٨ ـ ٢٥.

٢) الكشاف: ج ٤ ص ٦٤٩.

وأين كان هذا المجلس السّري والمدرّس السحري الذي تردد إليه محمد ﷺ وحده، وصار فيه (نسيج وحده)[١]، وهو النور الذي لا تواريه السجوف[٢]، والبدر الذي لا يسري إليه السرار[٣] والخسوف"[٤].

انتهى ما أردناه من الكتاب المذكور، ففيه سرور موالي المصطفى بما فيه من كنوز علم لا تنفد مما فيه اعتراف ثلّة من العلماء البلغاء والكتاب بالعجز عن مباراة القرآن الكريم، ومنهم ابن المقفع، والجاحظ، والخوارزمي، والمعرّي، والمتنبي.. وأمثالهم.

ومما فيه من المطالب الجليلة: مقالات أخلاقية، ومبادئ اجتماعية، والموازنة بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، وتعظيمه لهم، وتحريفهم، والرد على المفترين على الإسلام من الغربيين وغيرهم بالحجة القويمة، والجواب عن زعمهم الخطايا على الأنبياء عليهم السلام، وكون شريعة نبينا ﷺ خاتمة الشرائع، وشهادة التوراة والإنجيل، وغير ذلك من نفائس المسائل الجليلة.

---

١) مثال يقال، ويعني: لا نظير له. انظر: جمهرة الأمثال: ج ٢ ص ٣٠٣.

٢) السجوف: جمع سَجَف، وهي الساتر. انظر: القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٥٥.

٣) السَرار: ليلة ٢٩ من نهاية الشهر. انظر: الصحاح: ج ١ ص ٣١٥ في مادة (دعج).

٤) الدعوة الإسلامية: ج ٢ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

ولعَمري إن الحجة المذكورة لم تُسبق بدعوته، فقد حرر فيها من المعارف ما يجب أن يطلب ولو بسفك المهج، ولاسيما ما أشرق من عقله الشريف ونقله المنيف من شموس الحق في إعجاز القرآن.

هذا، ولكنه مهما بلغ من الجد والاجتهاد لا يقدر على الإحاطة بفيوضات الإعجاز؛ إذ القرآن المجيد من كلمات الله التي لا نفاذ لها.

النظرة السادسة

في شهادة الإفرنج[1] في أحقّية القرآن وجامعيّته وتحقيق أنيق في بلاغته ومزاياه

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[2]، وكل سالك بسفن الحق في بحور علوم القرآن المجيد لا يبلغ مسبار فكره قرارها ولكل جد بجده.

وممن نال الحظ الوافر من ذلك: السيد الحجة المعاصر هبة الدين الحسيني الشهرستاني ذو التصانيف القيّمة الجليلة، ومنها: رسالته الموسومة بـ(المعجزة الخالدة) فقد جاءت بديعة في فنّها، إذ شمل بها نبراس الحق مشرقاً بأنوار إعجاز القرآن، وقد رتبها على محاضرات عشر:

الأولى: في معاجز النبي ﷺ، وما هي المعجزة والإعجاز وفروعه.

الثانية: في تحقيق التحدي.

الثالثة: في منزلة القرآن لدى البلغاء.

الرابعة: إقرار عظماء الإفرنج بعظمة القرآن.

الخامسة: تشريح مزايا القرآن.

السادسة: وجوه الإعجاز على المحك.

---

١) اسم أطلق على الأوربّيين بعد الحروب الصليبيّة في الشَّرق، كما في المعجم الوسيط.

٢) سورة الكهف، الآية ١٠٩.

السابعة: النظريات السبع للعلماء في وجوه الإعجاز.

الثامنة: معرض المعارضات القرآنية.

التاسعة: في جوابه لرموز أوائل السور من الحروف المقطعة.

العاشرة: المتشابهات القرآنية وخزانة المعجزات وأنها الحق اليقين في تحقيق وإبطال الباطل، فيها قطع دابر الكافرين، فجدير أن نلتقط لآلئ من ذلك الكلم الطيب اللطيف ما نزيّن به كتابنا، ونؤيّد به مدّعانا، فدونك منها: قال (دام عزه) ما نصه:

"المحاضرة الرابعة: إقرار عظماء الإفرنج بعظمته:

أسلفنا خضوع خصوم القرآن من بلغاء العرب وإقرارهم بعبقرية المصدر العظيم لهذا الوحي الحكيم، وذلك لغرض الإقناع، والاقتناع لقاعدة (الفضل ما شهدت به الأعداء) عجيبة ـ والله ـ ظهور هذه الأقارير في بطون هذه التقارير من أقوام ركبتهم النخوة والغرور، وكيف دانت جبابرتهم لأحكام هذا القرآن، وخضع عباقرتهم لباهر برهانه وقهر سلطانه، وهم يسمعونه من شفتي رجل أمي".

ثم تعرّض لعظمة الإفرنج في العلم والقوة وإقرارهم ببلاغة القرآن وحججه وحكمه، وما فيه من الحضارة الكاملة والبالغة، المعجزة لكل بليغ، ثم ذكر عشر شهادات لعظمائهم، فقال ما نصه:

"١) قال الأستاذ سنايس: إن القرآن هو القانون العام ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ فهو صالح لكل مكان وزمان، فلو تمسّك به

المسلمون حقاً، وعملوا بموجب تعاليمه وأحكامه، لأصبحوا سادة الأمم كما كانوا، أو بالأقل لصار حالهم حال الأقوام المتمدنة.

٢) قال مستر بور سورت سميث: من حُسن الحظ، الوحيد في التاريخ أن محمداً أتى بكتاب هو آية في البلاغة، ودستور للشرائع والصلاة والدين في آن واحد.

٣) قال الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي: التعاليم الأخلاقية التي جاء بها القرآن هي صفوة الآداب العالية، وخلاصة المبادئ الخُلقية الكريمة، وهي أسمى بكثير من آداب الإنجيل.

٤) قال داورا رلو هارت: أشرق القرآن بصقعهم نوراً، يا له من نور! وهو نور حكمة القرآن الذي أنزله على صدر نبيه المبعوث ـ لا محالة ـ لإرشاد البشر، وأبقى لهم دستوراً لن يضلوا أبداً، وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير أخراهم.

٥) قال الكونت هنري دي كستري: لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب.

٦) قال رينورت: يجب أن نعترف بأن العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات ـ التي أنعشت في أوروبا في القرن العاشر ـ مقتبسة من القرآن، بل إن أوروبا مدينة للإسلام.

٧) قال[١] الدكتور موريس الفرنسي: إن القرآن أفضل كتاب مقدس، أخرجته يد الصناعة الأزلية للبشر.

٨) وقال[٢] جويث: القرآن يجذب القارئ بمحاسنه، ويولع فيه ولعاً زائداً؛ لكثرة فصاحته وبلاغته.

٩) قال كوزان دي بيرسو: أما مسألة الوحي بالقرآن، فهي أكثر إشكالاً وأكبر تعقيداً؛ لأن الباحثين لم يهتدوا إلى حلها حلاً مُرضياً. والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات من رجل أمي . وقد اعترف الشرق قاطبة أنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لمّا سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها. وكفى رفيع عباراتها لإقناع عمر بن الخطاب، فآمن برب قائلها. وفاضت أعين النجاشي ملك الحبشة، لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه) سورة مريم وما جاء فيها عن زكريا وولادة يحيى عليه السلام، فصاح القس: إن هذا الكلام وارد في موارد كلام عيسى عليه السلام.

١٠) قال بولا تيتلر: من الصعب أن يظن الإنسان في أمره، أن قوة الفصاحة الإنسانية تؤثر ذلك التأثير القرآني، خصوصاً وأنها تصدر عالية بغير ضعف أبداً، وتتجدد رفيعة. إنها لمعجزة إذ تقتصر دون تقليدها رجال الأرض وملائكة السماء... وأشار إلى آية ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ**

---

١) هي الشهادة الثامنة. (منه رحمه الله) .

٢) هي الشهادة السابعة. (منه رحمه الله) .

سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ... الخ﴾. انتهى ما حرره (أيده الله) منها[١].

وأخذ (دام عزه) في تحقيق حقيقتها حتى قال:

ومن بديع ما بلغنا عن مستر كرينكو الانكليزي، أستاذ الآداب العربية في كلية (عليكرة) الهندية، عندما اجتمع الأساتذة والأدباء حوله في حفلة وسألوه عن إعجاز القرآن أجابهم: إن للقرآن أخاً صغيراً يسمى (نهج البلاغة)، فهل في إمكان أحد أن يأتي بمثل هذا الأخ الصغير، حتى يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير[٢].

ثم ذكر (دام تأييده) بهذه المناسبة جواهر من كلام إمام الحق وقطب البلاغة في (نهج البلاغة)، وقد تقدم بعض منها آنفاً فيما حررناه من دعوة الحجة كاشف الغطاء رحمه الله.

ولما كان كلامه عليه السلام نور الحق وبرهانه وأصل الخير ويُنبوعه، والخير لا يُستكثر، فإليك بعضاً منه مما لم يُذكر هناك: قال في نعت القرآن المجيد ـ عطفاً على ما سبق ـ «**وَتِبْيَاناً لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَ شِفَاءً لا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَعِزّاً لا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَ حَقّاً لا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ وَأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَ بُنْيَانُهُ**

---

١) المعجزة الخالدة: ص ٢٦ ـ ٢٨.

٢) ن، م، ص ٣١.

وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ وَبَحْرٌ لا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وَعُيُونٌ لا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ... الخ»[١].

ومما قاله في المحاضرة السادسة عند إشارته إلى وجوه تَفُوُّق القرآن ما نصه: "بينما تلكم الوجوه الوجيهة تنقسم شطرين، فمنها وجوه للإعجاز ومنها وجوه للامتياز، أي إن الكلام الممتاز قد يُوصف بوجوه الامتياز على غيره من أشباهه ونظائره، وقد يُوصف بالإعجاز الذي لا يأتي بمثله إلاّ قرآن"[٢].

ثم مثّل للامتياز ببعضٍ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في (النهج) ووصفه بما فيه من حُسن الامتياز، ثم قابله بكلام له عليه السلام من وجوه الإعجاز، فدونك نصه: «**أَمْ هَذَا الذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ وَشُغُفِ الأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً، وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً، وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً..الخ**»[٣]، فإن هذه السبيكة المرصّعة بيواقيت الكلم ومعالي معاني الحِكم، ممدودة في صف المعجزات البواهر، والمدهشات من العبائر الزواهر؛ لما توفرت فيها وجوه الإعجاز فوق صَنعة الإيجاز"[٤].

---

١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨.

٢) المعجزة الخالدة: ص ٣٦.

٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣.

٤) المعجزة الخالدة: ص ٣٧.

ثم تعرّض في بيانه للفرق بين وجوه الامتياز والإعجاز، وأفاد "أن الكثير عاجز عن إدراك مرتبة الإعجاز الحقيقي؛ إذ لو أدركوه بكُنه لقدروا على مثله"... حتى قال: "نعم، لما تساهل أقوام من المكافحين والمنافحين عن القرآن[1] وإعجازه فعدوا من ذلك قسماً مما ليس به بل هو وجوه امتيازه حيث التبس عليهم وجه الحق واختلط لديهم لون الوجه لذلك اقتضى الاهتمام بالمحك الحي الذي نوهنا عنه نعرضه الآن على الطالبين وذلك هو الآية المتقدمة ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]، فتضع الوجه المشكوك ـ كونه من مقولة وجوه الإعجاز ـ مستقراً بين كلمة القرآن وبين كلمة ﴿لا يَأْتُونَ﴾، فإن تم الإقناع والاقتناع به كان من وجوه الإعجاز وإلا فهو من وجوه الامتياز.

مثاله: أنّا نشك في كون الانسجام وكون الكلام موافقاً لمقتضى المقام، وهل هما من وجوه الإعجاز أو هما من وجوه الامتياز؟ فنضعهما في خلال الآية بين كلمة القرآن وبين كلمة ﴿لا يَأْتُونَ﴾ فتقرأ هكذا: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ﴾ في الانسجام

---

١) المنافحة بمعنى المكافحة، قال الشيخ فخر الدين في (مجمع البحرين): في حديث علي عليه السلام: «نافحوا بالظبى»، التناول بأطراف السيوف، وفائدته توسعة المجال، فإن القرب من العدو يمنع ذلك. انتهى. (منه رحمه الله). انظر: ج ٢ ص ٤٤٦ مادة (نَفَحَ).

٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

وموافقته مقتضى المقام ﴿لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، وبعد التأمل نرى هذا القول غير صحيح؛ لجواز إتيان ذلك كذلك. وأما لو وضعنا كلمة (الأنباء الغيبية والجَذَبات الروحية) في نفس هذا المكان وقلنا: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في (أنبائه الغيبية وجذباته الروحية) ﴿لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ... الخ﴾ وجدنا المعنى صحيحاً ومعقولاً ومقبولاً، فبهذا نعرف أن هذين الآخرين هما من وجوه الإعجاز، والأمرين السالفين ليسا إلاّ من وجوه الامتياز، فكلُ ما شُك فيه وُضع في هذا المكان من الآية على المحك، فإن صح واتضح قبوله فهو من وجوه الإعجاز، وإن أباه العقل وعافه الذوق من أن يكون معجزاً للبشر، خرج من دائرة العبقرية والإعجاز... الخ"[١].

ومنه: إشارته (أيده الله تعالى) إلى محكٍ ثاني في آية ٣١ من سورة البقرة، فقرن بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ قول القائل في البلاغة والجامعية، فالكل عاجز عن بلاغته وجامعيته، بخلاف حُسن سجعه وقوافيه؛ إذ هي مقدورة عند البليغ كما سبق[٢].

ومما يحسُن أن نجتبيه ما حرره (دام عزه) في المحاضرة العاشرة المعنونة بـ(متشابهات القرآن، خزانة المعجزات) قال ما نصه: "تضاربت الآراء في تفسير المحكم والمتشابه، فذُهبَ فيهما كلَ مذهب، وأشهرها عند

---

١) المعجزة الخالدة: ص ٤٠.

٢) ن، م، ص ٤١.

العلماء هو الذي قرره العلامة شيخ الإسلام بهاء الدين العاملي (المتوفى سنة ١٠١٣ هـ) في (زبدة الأصول)[١] قال رحمه الله: (اللفظ: إن لم يحتمل غير الظاهر منه فنصٌ، وإن احتُمل فالراجح هو الظاهر، والمرجوح هو المأول، وإن تساويا فمشكوك، والأولان المحكم، والأخيران المتشابه)[٢].

ثم تجلّى نور عقله في إيضاح ما ذكر، حتى وجّه عن لسان الجاهلين سؤالاً بقوله (دام عزه) : "فيحقُ لكم ـ والحالة هذه ـ أن تتساءلوا عن الحكمة التي أدخلت مثل هذه المتشابهات في آيات الذكر الحكيم..." [٣].

وأخذ في تقريره حتى أجاب عنه إجمالاً وتفصيلاً بعشرة وجوه، وإني لمختار رابعها وثامنها، فدونك النص:

"الرابع: أن العلوم التي كانت معروفة في عصر النبوة ومصرها هي على اختلاف عظيم مع العلوم التي في القرون الوسطى كما هي على اختلاف عظيم مع العلوم العصرية فلو كان القرآن يصرح بالتحرك للأرض مثلا كآية محكمة لرماه الناس في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومصره بالجهالة ومناقضة الحس والعقل فلم يك يؤمن به واحد من الناس قط كما أنه لوكان مصرحا بسكون الأرض على وجه محكم لايتداخله الشك لكان أهل عصرنا ينقضون على

---

١) صفحة ٥٥ قال: "إن لم يحتمل غير ما يُفهم منه لغة فنصٌ، وإلاّ فالراجح ظاهر، والمرجوح مأوّل، والمساوي مُجمل، والمُشترك بين الأولين مُحكم، وبين الأخيرين مُتشابه"، انتهى.

٢) المعجزة الخالدة :ص ١٢٤.

٣) ن، م، ص ١٣٤.

القرآن ويتهمونه بمخالفة الفن الحكيم فكان القرآن في جموده على الحكم إما خاسراً إيمان أهل ذلك العصر، وإما خاسراً إيمان هذا العصر به بخلاف ما لو سلك سبيلي الإجمال في المتشابهات كقوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...**﴾، ﴿**جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً**﴾ إلى غير ذلك من الآيات المتشابهات تشير إلى حركة الأرض من طرف خفي، فإنّ ذلك وجه متوسط يلائم ذوق العامة في عصره كما يلائم ذوق الخاصة في هذا العصر، ويصبح كتاباً محبوباً في كافة العصور"[١].

ومنه:

"الثامن: إن الأحاديث توارت في أن القرآن يشتمل على كثير من الآيات المحتاجة إلى تفاسير الأئمة من أهل البيت النبوي عليهم السلام حتى يتولى كل إمام تفسير آية بما يناسب عصره ومصره. إذاً فالقرآن خالد للأجيال كالإمام، وهو أممي علمي عملي، وكذا الأئمة علماء عالميون، والإسلام دين عالمي علمي أممي خالد، والكل سائر مع أطوار البشر"[٢]. انتهى، وفيه كفاية لمن تبصّر.

نعم، بقي مما اخترته جوهرة قيّمة من عقده المنظوم متعلقة بالنظريات في إعجاز القرآن، ومزاياه الخاصة به، فأحببت نقلها من منشور بقلم أحد المسيحيين الأمريكان، وهو مدير إذاعة صوت أمريكا عيسى الصبّاغ، وهو

---

١) ن، م، ص ١٣٧.

٢) ن، م، ص ١٣٩.

منشور بتاريخ ١٣٧٦ هـ معنون بـ(دراسة المعجزة الخالدة) ، ملخّص لما فيها من التحقيق وبَداعة التأليف؛ حيث إن الناشر من الأغيار، فمن باب كمال الاحتجاج والتلذذ بشهادة أضداد أهل الفضل بفضلهم، تأكّد عندي جداً أنّ أحرر الجوهرة المُشار إليها من المنشور المذكور.

قال الفاضل المسيحي ـ بعد الثناء على المؤلف ـ ما نصه ـ يذكر النظريات السبع للعلماء في وجود الإعجاز وأهمها ـ : صدور القرآن من أميٍّ، وبلاغته الفائقة، وغرابة أسلوبه، وأنباؤه الغيبية الصادقة.

وحري بنا أن نذكُر هنا ـ مع ذلك ـ المزايا الإجمالية التي سردها المؤلف لمزايا القرآن ألا وهي:

١) فصاحة ألفاظه الجامعة لكل أشراطها.

٢) بلاغته بالمعنى المشهور، أي موافقة الكلام لمقتضى الحال ومناسبات المقام، أو بلاغته الذوقية المعنوية.

٣) مسحة البداوة، أي عروبة العبارات الممثلة لسذاجة البداوة، مع اشتمالها على بسائط الحضارة.

٤) توفر المحاسن الطبيعية فوق المحاسن البديعية.

٥) إيجاز بالغ حد الإعجاز بدون أن يخل بالمقصود.

٦) إطناب غير ممل في مكرراته.

٧) سمو المعنى وعلو المرمى في قصد الكمال الأسمى.

٨) طلاوة أساليبه الفطرية ومقاطعه المبهجة وأوزانه المتنوعة.

٩) فواصله الحسية وأسجاعه الفطرية.

١٠) أنباؤه الغيبية، أو إخباره عن كوامن الزمان وخفايا الأمور.

١١) أسرار علمية لم تهتدِ العقول إليها بعد عصر القرآن إلاّ بمعونة الأدوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثة.

١٢) غوامض أحوال المجتمع، وآداب أخلاقية تهذّب الأفراد، وتُصلح شؤون العائلات.

١٣) قوانين حكيمة في فقه تشريعي فوق ما في التوراة والإنجيل وكتب الشرائع الأخرى.

١٤) سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف.

١٥) خلوصه من تنافر الحروف وتنافي المقاصد.

١٦) ظهوره على لسان بدوي أمي لم يعرف الدراسة، ولا أَلِفَ محاضرة العلماء، ولا جابَ الممالك سائحاً مستكملاً.

١٧) طراوته في كل زمن، وكونه غضاً طرياً كلما تُلي وأينما تُلي.

١٨) اشتماله على السهل الممتنع الذي يُعد في الشعر ملاك الإعجاز والتفوق النهائي.

١٩) قوّة عباراته لتحمّل الوجوه وتشابه المعاني.

٢٠) قصصه الحلوة، وكشوفه التاريخية من حوادث القرون الخالية.

٢١) أمثاله الحُسنى التي تجعل المعقول محسوساً، وتجعل الغائب عن الذهن حاضراً لديه.

٢٢) معارفه الإلهية كأحسن كتاب في علم اللاهوت وكشف أسرار عالم الملكوت وأوسع سفر من مراحل المبدأ والمعاد.

٢٣) خطاباته البديعة، وطرق إقناعه الفذّة.

٢٤) تعاليمه العسكرية، ومناهجه في سبيل الصلح وفنون الحرب.

٢٥) سلامته من الخُرافات والأباطيل التي من شأنها إجهاز العلم عليها كلما تكاملت أصوله وفروعه.

٢٦) قوّة الحجة، وتفوّق المنطق.

٢٧) اشتماله على الرموز في فواتح السور، ودهشة الفكر حولها وحول غيرها.

٢٨) جَذَباته الروحية الخلاّبة للألباب، الساحرة للعقول، الفتّانة للنفوس.

ولكن اختيار المؤلف يقع على الوجه الأخير إلى جانب بلاغة القرآن الجامعة، فهما عنده وجه الإعجاز المقصود في آيات التحدي، ولعل الأصوب أن يُضاف إلى ذلك (تضمّنه الأسس لشريعةٍ إنسانيةٍ صالحةٍ لكل زمان ومكان)[1]. انتهى.

فتبصّر أيها المؤمن فيه كي تُسرّ بما فيه من اعتراف الأضداد بحق نبيك ﷺ وفضله بإعجاز كتابه وعلوّه، ولما فيه من إيضاح الحق بتفصيل مزايا الكتاب الحق، فإنه كلام جليل بيِّن البراهين، وفيه وحي عظيم بحقيَّة دين الإسلام بالثناء عليه وعلى أهله.

---

١) المعجزة الخالدة: ص ١٢ ـ ١٤.

ومنه إشارته في أوله إلى الثناء على السيد الجليل المذكور وتعرّضه لنظريات العلماء في الإعجاز مُلخّصاً لأربع منها، موعزاً إلى أهميتها، ولعلك ـ أيها المُجِدُّ في طلب الحقائق العلمية ـ ترغب في بيان ما أشار إليه الفاضل المسيحي في أول ما حرّرناه عنه ـ وهي النظرات الأربع ـ ملخّصة، فإنْ أحببت فراجع كلام السيد في (المعجزة) ترى التفصيل الشافي، وإن تعجّلت البِرَّ فدونك الإشارة إلى الخامسة من كلام السيد المذكور نفسه في (المعجزة)، قال (أعزه الله): "الجهة الخامسة من المحاضرة السابعة: الجذبات الروحية هي أهم منشأ إعجاز القرآن"[١].

ثم تعرض لقوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وتنظّر فيها وفي ترجمتها بغير اللغة العربية، أو تبديلها بألفاظ عربية غيرها: (أبدأ بسمات الرب اللطيف الرؤوف) ، وأوضَح الفرق بين الجملتين.

فلازال نور بيانه يشعّ حتى أشرق بما نصه:

"بل إعجاز القرآن ظاهر في بضعة وجوه ليس غيرُ: كالبلاغة، والجامعية، والأنباء الغيبية، والجذبات الروحية، وهذه النواحي ـ وبالأخص جذبته الروحية ـ نتيجة كونه كلام الرب وحده بما أن الكلام مرتبة متنازلة من روحية المتكلم، وجذبة واحدة من جذباته، حتى إن الإصغاء الحقيقي إلى قول قائل يجعل المُصغي فانياً في روح قائله وروحيته..."[٢].

---

١) المعجزة الخالدة: ص ٣٧.

٢) ن، م، ص ٣٨.

إلى آخرها، فراجع ففيها شفاء البصائر.

هذا، ولا يخفى عليك أنّ النظرة السابعة ـ وهي القول بأن الإعجاز هو الصرفة، أي صرفُ اللّهِ العبادَ ومنعُ أفكارهم من مُباراة القرآن ـ هو قولٌ مرجوح، بل مُعرَضٌ عنه عند أكثر المحققين كما صرح به السيد المذكور وغيره، وهو الحق؛ لأن القول بكون الإعجاز هو الصرفة مُنافٍ للتكليف؛ لانتفاء الاختيار، فلا تتم حجج الله.

أما النظريات الخمس المتقدمة فهي متقاربة، ولا يبعد ترجيح الرابعة والخامسة، أما السادسة ـ وهي جامعية القرآن لكل كمال مرغوب ـ ففي الحقيقة هي المحتومة على النظرات الخمس، وينبغي أن تكون هي المختارة فإليكها حرفياً:

"كثر الذاهبون إلى توجيه إعجاز الفرقان الحكيم من أجل أنه جامع لكل كمال مرغوب تميل إليه القلوب، فهو وحي جامع لمزايا البلاغة والفصاحة، ومحاسن الألفاظ والمعاني، ومرونة البيان، وتفنّنه في نواحي الإنشاء وحُسن الأداء، والشؤون الروحية، والخوالج النفسية، ولطائف الأسجاع، وجواذب الطباع، من قصص وأمثال، وحكم وأحكام، وآداب ومواعظ، كما وصفه سيد البُلغاء أمير المؤمنين علي عليه السلام في سبائكه المروية في (نهج البلاغة)، وأوردنا أنموذجاً منها فيما سبق، فنجد من ذلك الفقهاء يفزعون إليه، والخطباء كالأدباء يعتمدون عليه وهو المرجع للقاضي

والمحامي، والمرشد والمربي، والمتكلم والفلسفي"[١]. انتهى.

من هذه المزايا والمميزات أصبح القرآن كهرباء القلوب، وجذاب الأرواح والنفوس، وكعبة القصّاد والرُوّاد والوُرّاد، وحتى بلغ في جامعيته لأشتات الميول وأصناف العلوم أنهم استخرجوا منه البحور الشعرية، وأنواع الألحان والنَغَم، وأسرار الطب والطبيعة، والمسائل الرياضية والفلكية، والأنباء الغيبية، وتواريخ الحوادث، وأصول الحكمة، وغير ذلك مما أشرنا إليه أو نشير، ومما غاب عن الفكر ذهولاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

وجميع هذه الكلمات مجموعة فيما بلغه ذلك العربي الأمي ربيب البادية، وخرّيج مدرسة الأخبية، هذا هو الأمر المعجز قطعاً، والمختار طبعاً، فراجعه ففيه شفاء صَدَأ الجهل من أفئدة الجاهلين، وريُّ قلوب طالبي اليقين، ولعَمري إنه لحري بإرشاد ناشدي ضالة العلم؛ لما فيه من براهين الحق الواضحة، فكم له من أنوار رشد لائحة، وإنّ فيه لمنار هدى للمهتدين، المشرق بأشعة البراهين، الجاذبة بكهربائيتها بصائر العقول السليمة، لما فيها من سحر البيان، ففي إعجاز الفرقان ـ سيما الجهة الثانية من المحاضرة السابعة ـ في بلاغة القرآن الحميد، فإني كلما قرأتها استفزّت فكري، وتعرو عقلي الهزّة، وإني لأجدها غضّة طرية في كل حين؛ لما فيها من تجسيم حقائق الإعجاز وإبرازها للحسِّ والشهادة، فكلما بنيتُ على الاكتفاء بما حررتُ من كلامه (دام تأييده) يُجاذبُ عقلي بكهربائية نور ما

---

١) المعجزة الخالدة: ص ٩١.

حرّره في الجهة المذكورة، فلا أجد لنفسي بُدّاً من ذكر نُبذة منها فإليكها حرفياً: "الجملة الثانية من المحاضرة السابعة: جهة البلاغة العالية في القرآن ومزاياه السامية، وهذه الجهة مختار الجمهور، وهو رأي مشهور منصور"[١].

فلازال شعاع نور بيانه يشرق ببراهين حتى عرض آيتين على منضدة التشريح... ثم قال:

"الآية الأولى: آية أم حكاية: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[٢].

لقد جَمَعَنا حفل ببغداد إلى بعض فضلاء الذمّيين والمذياع يتلو علينا هذه الآية، فأعجب الذمي ببلاغتها وبجودة تلاوتها، فحدثتُه أنّ أحد العلماء سمع بالكوفة جارية فأعجبته فصاحتُها وبلاغتُها فقال: ما أبلغك من ناطقة! فقالت له الجارية: مَهْ يا شيخ، ما ترك القرآن لغيره ظهور بلاغة، أما سمعت آية ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى**... الخ﴾ كيف جمعت ـ على وجازتها أبدع الإيجاز ـ خبرين وإنشائين وأمرين ونهيين ووعدين؟ فأعجِبَ الجميعُ بحسن بيان الجارية وأدبها الجم.

فقال صاحبنا الذمي: الآيةُ آيةٌ، كما أنّ الجاريةَ آيةٌ، فقد أتت بما يعجز عن الإتيان بمثله كل أحد.

---

١) المعجزة الخالدة: ص ٥١.

٢) سورة القصص، الآية ٧.

فقلت: كلاّ، فإني الآن آتيكم بأكثر مما أتت أو نحوه:

فإن الآية جمعت فعلين من الماضي (أوحينا) و (خفتِ) ، وفعلين من الأمر (أرضعيه) و (ألقيه) ، وفعلين من النهي (لا تخافي) و (لا تحزني) ، ووزنين من اسم الفاعل (رادوه) و (جاعلوه) ، ووزنين من اسم المفعول أي (موسى) بمعنى المنشول من الماء و (المرسل)... ثم اسمين من الصفة المشبهة وهو العدو المتكرر..."[1]. انتهى.

تنبيه:

أقول: هذا غلط نشأ من سهو قلم السيد (دام ظله) فليس في الآية (يلتقطه عدو لي وعدو له) وإنما هذا اللفظ مركّب من آيتين: [الأولى:] الآية ٣٨ من سورة طه: ﴿**يَأخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ**﴾ ، والثانية: الآية التاسعة من سورة يوسف: ﴿**يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ**﴾ ، والآية المذكورة السابعة في سورة القصص هكذا: ﴿**فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي**﴾ ، وقد نَبَّهَنَا على هذه النكتة اللطيفة الرجل النبيه الصالح الملاّ عبدالله المُعبّر[2].

---

١) المعجزة الخالدة: ص ٥٤ ـ ٥٥.

٢) عبد الله بن حمزة بن رضي المعبّر. وُلد في البحرين سنة ١٣٤٦هـ، ثم انتقلت أسرته إلى القطيف واستقرّت فيها. دخل الكتّاب في سن الخامسة وتعلم في مراحل مختلفة وأماكن عدّة، ثم التحق بالمدارس النظامية ليلاً وحصل على شهادة الابتدائية بعد افتتاح مدرسة زين العابدين في القطيف. كما أنه درس على الشيخ محمد حسين آل عبد الجبار،

وكان بإمكانه أن يقول: (عدو لي وله) ، ثم اسمين خاصين (موسى وأمه) ، ثم تكرار الجواب مرتين، و (لام) الاختصاص مرتين، وحرف (إلى) مرتين، ثم أعاد (الخوف) مرتين، وتعبيره عن (أم موسى) باسم مزدوج بدل أن يسميها باسمها الخاص، ثم فيها نبآن غيبيان: أحدهما الإخبار بالتقاط عدوّ له، والثاني الخبر برد موسى عليه السلام إلى أمه، ووعدان بالرد والنبوة.

ولعل هذا الوجه المزدوج هو المرجّح لسبك أربعة عشر أمراً مزدوجاً، "فطار الذمي طرباً وفرحاً من شدة إعجابه واستغرابه"، وصار مع الذين حضروا يكررون القيام والقعود من شدة الإعجاب وقوة الإعجاز.

ثم ذكر الآية الثانية: وهي قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[1]، ويا لها من آية قد عنت لها وجوه البلغاء، وقد أسلفنا بعض الكلام عليها فيما حررناه عن العلماء، ولكن لم نستوفِ حقها، ومن أين لنا وغيرنا بذلك، ولكل نصيبه.

وممن أشرق نور بيانه فيها: سيدنا المذكور بفكره النيّر، وبما حرره عن السيد علي صدر الدين المدني، فقد حقق فيها ثلاثة وعشرين نوعاً من البديع، فدونك نصها، وهي سبعة عشر لفظاً:

والشيخ منصور مؤلف الكتاب، وتوطّدت علاقته به كثيراً، وصار من ملازميه. واستفاد كثيراً منه بالمجالسة والمحاورة والمناقشة. توفي رحمه الله يوم السبت ٣ ربيع الثاني ١٤٣٩ هـ.

١) سورة هود، الآية ٤٤.

١/ المناسبة التامة، بين (ابلعي) و (أقلعي).

٢/ الاستعارة، فيهما.

٣/ الطباق، بين الأرض والسماء.

٤/ المجاز، في قوله ﴿يَا سَمَاءُ﴾ فإن الحقيقة (يا مطر السماء).

٥/ الإشارة، في ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ فإنه عبّر به عن معانٍ كثيرة؛ لأن الماء لا يغيض حتى يُقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء، فيغيض الحاصل على وجه الأرض من الماء.

٦/ الأرداف، في قوله تعالى ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ فإنه عبّر عن استقرارها في المكان بلفظٍ قريب من لفظ المعنى.

٧/ التمثيل، في قوله ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ فإنه عبّر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظٍ بعيدٍ عن المعنى الموضوع.

٨/ التعليل، فإن غيض الماء علة الاستواء .

٩/ صحة التقسيم، فإنه استوعب أقسام الماء حالة نقصه، إذ ليس إلاّ احتباس ماء السماء، والماء والنابع من الأرض، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ الذي على ظهرها.

١٠/ الاحتراس، في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك؛ احتراساً من ضعيف يتوهم أنّ الهلاك لعمومه ربما شمل غير مستحق.

١١/ المساواة، لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها.

١٢/ حُسن النسق، فإنه تعالى قصّ القصة وعطف بعضها على بعض بحُسن الترتيب.

١٣/ ائتلاف اللفظ مع المعنى، لأن كل لفظة لا يصلح معها غيرها.

١٤/ الإيجاز، فإنه تعالى أمر فيها، ونهى، وأخبر، ونادى، ونعت، وسمّى، وأهلك، وأبقى، وأسعد، وأشقى، وقصّ من الأنباء ما لو شُرح لجفّت الأقلام.

١٥/ التفهم، لأن أول الآية يدل على آخرها.

١٦/ التهذيب، لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحُسن، وكل لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر، بعيدة عن البشاعة وعقادة التركيب.

١٧/ حُسن البيان، لأن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يَشْكُلُ عليه شيء منه.

١٨/ الاعتراض، وهو قوله تعالى: ﴿**وَغِيضَ الْمَاءُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾.

١٩/ الكناية، فإنه لم يصرّح بمن غاض الماء، ولا بمن قال، ﴿**وَقِيلَ بُعْداً**﴾، كما لم يصرح بقائل ﴿**يَا أَرْضُ ابْلَعِي**﴾ و ﴿**يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي**﴾ في صدر الآية، سلوكاً في كل واحد من ذلك سبيل الكناية.

إن تلك الأمور العظام لا تتأتى إلاّ من ذي قدرة قهّارة لا تُغالب، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره (جلّت عظمته) قائل ﴿**يَا أَرْضُ**

ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾، ولا أن يكون غائضٌ مّا غاض، ولا قاضي مثل ذلك الأمر الهائل غيره.

٢٠/ التعرّض، فإنه (عزّ وجل) عرض بسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً، وأن الطوفان وتلك الأمور الهائلة ما كانت إلاّ لظلمهم.

٢١/ التمكين، لأن الفاصلة مستقرة في محلها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة ولا مستدعاة.

٢٢/ الانسجام، لأن الآية بجملتها منسجمة كالماء الجاري في السلاسة.

٢٣/ الإبداع، الذي هو شاهد المقام وعنوان هذا النوع الجامع.

وفي هذه الآية الكريمة تفريعات أخر، مثل: أن الاستعارة منها في موضعين، والمجاز في موضعين، وأمثال ذلك مما يُستنبط بقوة النظر والاستقراء بمعرفة الناقد البصير، وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف.

في كتاب (العجائب) للكرماني: أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها، وحسن نظمها، وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال. انتهى كلامه [١].

ثم أضاف السيد المصنف (مد ظله) إلى ذلك سبعة وجوه؛ أكمل بها ثلاثين، بعدها قال (أيده الله تعالى): "ولو شئنا أن نضيف المحاسن البيانية على المحاسن البديعية وسائر الصنائع الاصطلاحية مع إفراد جملة من

---

١) المعجزة الخالدة: ص ٥٧ ـ ٥٩. وانظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: ص ٤٣٠.

المزايا المتداخلة فيما ذكر لتجاوزت الأربعين، وفاضت ثم فاضت...". فما زال في فيض بيانه حتى قال: "ولو توجّهَتْ أفكار العلماء الحكماء والبلغاء والأدباء إلى استنباط المزايا العلمية وأسباب الجَذَبات الروحية في جملة الآيات وجمالها لأضافوا على هذا الجمال الصناعي ـ الذي رسمناه ـ جمالاً طبيعياً وعبقرية كاملة شاملة تجعل القرآن حرياً بأن يُسمى كهرباء القلوب ومغناطيس الأرواح[1]. انتهى.

وبه انتهى مرادنا من كلمه الطيب (دام عزّه).

ولعَمري إنه منوّر الأفكار، فقد أشرقت شموس بيانه فشعّت ثم شعّت حتى كهربت القلوب، ولا غرو فإن ما في نيّرات أفكاره قبسٌ من شعلة الحق المُفاض عليه من الفرقان الحميد، فقد استضاء به في فلسفته البليغة التي جلا بها حقائق البلاغة والإعجاز، فأبرزها مُشرقة نيّرة في عالم الحس والشهادة، فصارت مغناطيس الأفئدة ـ فانجذبت بها إلى الوقوف في شمس إعجاز الكتاب المجيد؛ كي تصل بأشعتها إلى أسرار بلاغته، وتنجذب بأنبائه الغيبية، وأسراره الروحية إلى اليقين بصحة نبوة النبي العظيم ﷺ، إذ لابدَّ لمن استنار عقله بنور القرآن الكريم من اعترافه يقيناً بأنه ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، فإما أن يكون من أهل السعادة فيوفق مُذعناً مُختاراً للدين القيّم الحنيفي المحمدي، وإما أن يقعد به سوء حظّه لموانع عَرَضية أو ذاتية، والذاتي لا يعلل، فاعترافه هذا حجة قائمة عليه، وبه استنارت طرق مجتمعنا

---

١) المعجزة الخالدة: ص ٦٣.

بأقمارحجتنا، وبَرْد أفئدتنا، يعرف غير معارفنا، وسرورنا الدائم بظهور فضل نبينا على لسان أضدادنا.

وقد قدّمنا فيما حررناه من كلام السيد المذكور شهاداتٍ عشر لعظماء الإفرنج ببلاغة القرآن، وبعد ذلك وقفت على مائة وثمان شهاداتٍ في كتاب (محمد والقرآن)[١]، فجاذبتني روح الإيمان وحب انتشار العرفان إلى أن أحرر من تلك الشهادات القيّمة ما تستَرُّ به أفئدة الأولياء، وتتكدّر به قلوب الأعداء، فارتأيت أن أجتبي منها سبعاً، عدداً مباركاً موافقاً لحروف القرآن، مُعرّفاً، فدونك النص[٢]:

١) قال الدكتور شبلي شميّل[٣]: مُعجب بعبقرية القرآن في غير موضع من مقالاته المشهورة، ويقول في قصيدته المشهورة:

دع من محمد في صدى قرآنه ... ماقد نحاه للحمة الغايات

إني وإن أكُ قد كفرت بدينه ... هل أكفرن بمحكم الآيات

---

١) لمؤلفه المعاصر خطيب الكاظمية الشيخ كاظم الشيخ سلمان آل نوح، المطبوع في سنة ١٣٥٥ هـ ببغداد. (منه رحمه الله).

٢) المعجزة الخالدة: ص ١٨٠.

٣) شبلي شميّل، لبناني مسيحي، ولد عام (١٨٥٠م) وتوفي عام (١٩١٧م)، درس في الجامعة الأمريكية ببيروت وتخرج منها، ثم توجّه إلى باريس لدراسة الطب، ثم استقر في مصر. وكان أول من أدخل نظريات (داروين) إلى العالم العربي من خلال كتاباته وفي كتابه (فلسفة النشوء والارتقاء)، دافع عن العلمانية كنظام سياسي؛ إذ كان يرى لزوم الفصل بين الدين والحياة السياسية.

أو ماحوت في ناصع الألفاظ من ... حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها ... ما قيد العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وأنه ... رب الفصاحة مصطفي الكلمات
رجل الحِجا رجل السياسة والدها ... بطل حليف النصر والغارات
من دونه الأبطال من كل الورى ... من غائب أو حاضر أو آتِ
ببلاغة القرآن قد غاب النهى ... وبسيفه انحنى على الهامات[1]

وفيه أيضاً:

٢) قال المسيو جول [لابوم] الفرنسي ما نصه:

"القرآن أكثر من الوعظ والزجر والترغيب والترهيب، فلم يوجّه الكلام في واحدة للكبراء والقادة، لكنه وجَّهه للناس كافة. بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾[2]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم**

---

١) تفسير المنار: ١١ ص ١٠ ـ ١١.

والأبيات ذكرها في في رسالته إلى محمد رشيد رضا صاحب تفسير (المنار) وقد كتبها له عندما كان يقرأ (مجلة المنار) التي كان يحررها والتي سمى تفسيره باسمها، وقد كان خصص فيها صفحات لذكر مناقب النبي ﷺ، فبعث له برسالته يقول: "إلى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار) أنت تنظر إلى محمد كنبي وتجعله عظيما وأنا أنظر إليه كرجل وأجعله أعظم، ونحن وإن كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الديني) على طرفي نقيض، فالجامع بيننا العقل الواسع والإخلاص في القول، وذلك أوثق لنا لعُرى المودة (الحق أولى أن يقال)..."، ثم ذكر الأبيات.

٢) سورة التحريم، الآية ٦.

﴿بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[١]، وما ذكر أولئك السادة إلاّ في معرض النص على الأمم في استسلامها لضلال قادتها وأهواء كبرائها فقال:﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾"... ثم قال: لا جرم إن هذا الأصل أقوى باعث لهداية الأمم إلى الطرق الحقة في حصولها على سعادتها وعروجها إلى كمالها[٢]. انتهى.

٣) قال الاستاذ مونته ـ وهو استاذ اللغات الشرقية بجامعة جنيف ـ في كتابه (محمد والقرآن) : ولقد منع القرآن الذبائح البشرية ووأد البنات والخمر والميسر، وكان لهذه الاصلاحات تأثير غير متناهٍ في الخَلق بحيث ينبغي أن يعد محمد ﷺ في صف أعاظم المحسنين للبشرية... وقال: إن الانقياد لإرادة الله (تعالى) تتجلى في القرآن بقوة لا تعرفها النصرانية[٣].

٤) قال جان تورتون كرو [الأسباني] : إن محمداً (ﷺ) لم يعتمد في نبوته على المعجزات، وكانوا يقولون له: إن كنت نبياً فاعمل لنا من خوارق العادات ما هو كذا وكذا، فكان يجيبهم: إن رُسلاً كثيرين جاؤوا بالمعجزات وكذّبهم البشر، وأنا مهما جئتكم بالمعجزات فلن تؤمنوا مادامت قلوبكم قاسية، وما معجزتي إلا القرآن الذي هو موحى إلى رجل أمي وماتقدر الانس والجن أن تأتي بمثله.

---

١) سورة النساء، الآية ١٤٧.

٢) المعجزة الخالدة: ص ١٨١.

٣) ن، م، ص ١٨٢.

ثم ذكر ما جاء في القرآن، حتى وصف النعيم والجنة وما فيها، إلى أن قال: وقد جاء في القرآن ما يفيد أنّ أفضل النعيم هو مغفرة الله (تعالى) لآثام البشر... إلى آخر ما قال.

وفيها اعترافه بتنزيهه القرآن لمريم عليها السلام وجليل ثنائه على عيسى عليه السلام، وأنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلمته.

٥) كتب الاستاذ أمين الريحاني ـ وهو مسيحي ـ إلى العلاّمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: ومن يا تُرى يرفض ما فيه من مثل هذه الآيات الباهرات والحِكم البالغات؟ ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾، ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾. ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾، ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾، ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾،

فهات يدك أصافحُك على هذه وأمثالها، فأنا فيها مثلك مسلم، (أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً (ﷺ) رسول الله) ، ولكن أقف في العصمة، عصمة الأنبياء.

وأما كلامك في إعجاز القرآن فهو صحيح في الكتاب عربياً، وأما في الترجمات الانجليزية والفرنسية لقد يذهب كثير من جمال ذا الإعجاز، ولقد تخمد من تلك الأنوار أنوار البلاغة والأنغام ما يحبب إلى العربي تلاوته وترتيله والتحدي به، وأنا أقرأه في اللغتين، يطربني ويسكرني ويهيجني عربياً، وأمسي بعد تلاوته في الانكليزية خامد النفَس، أليف الضجر، فأقضي من ذلك العجب.

وطالما قضيت به وتحديت على قدر ما أحسن، حيث ما أقمت في (لوندرا) أو (نيويورك) فأدهشَ جيراني من غريب نغماتٍ وجميل رنّاتٍ حارتْ بها ألبابهم، ولكنّي آسف لما أجده في نفسي من عجز أو جهل يحول دون ما كَمَنَ في آياته وكلماته من الأسرار الروحانية، والحقائق العلمية، [ففي] مجلة (دار المعلمين) الصادرة في شعبان سنة ١٣٤٦ هـ من خطبة ألقاها في دار المعلمين نعيم يوسف المسيحي: أن القرآن الكريم نطق بمحبة المسيحيين للمسلمين، ومودتهم لهم، وأن الآية الشريفة توضّح لنا تلك المحبة بأجلى بيان، قال تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا**

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]، انتهى.

٦) قال لوماكس الأمريكاني: أول قبس يشع نوره من القرآن الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، ففي كلمة الرحمن يشعر المؤمن أن الله (تعالى) هو الإله الواحد الذي يُسبغ على عباده النعم في الحياة الدنيا والحياة الآخرة... ـ إلى أن قال ـ فمن هنا ترى حقيقة لا يدانيها أيّ شك أن هذا هو النور الأعظم وهو نور الإله، إنما هو الشفقة والرحمة[2].

٧) قال الدكتور ماركس ـ وهو دكتور في الفلسفة في لندن: ففي كتاب الله ـ أي القرآن ـ آيات جمَّة تحضُّ على طلب العلم والتعمق في البحث والدروس، ولا يسعني إلا أن أُلفت نظرك إلى نقطة مهمة ألا وهي أنّ القرآن الحكيم قد صحح كثيراً من الأغلاط التي كان البشر يتخبط فيها، إلى أن جاء محمد ﷺ يعلمنا الحقيقة على ضوء العقل من العصور الأولى للإسلام[3].

ولعَمري إنها لشهادات نيّرة في ذاتها منيرة للأفكار، ففيها هُدى ونورٌ؛ لما فيها من قيام حجة الله على جاحدي الكتاب، باعتراف أضداده، وكفى ما فيها من انتعاش نفوس أولياء محمد ﷺ بظهور فضله بإعجاز كتابه على

---

١) المعجزة الخالدة: ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

٢) ن، م، ص ١٨٥.

٣) ن، م، ص ١٨٦.

لسان من لم يؤمن به، فجزى الله المتصدين لنشر ذلك خير جزاء المحسنين، ولاسيما الخطيب مؤلف الكتاب المذكور.

فلقد ظهرت له مكرمه كبرى، وكانت له اليد البيضاء على الإسلام والمسلمين، فحاز بذلك المحل السامي عند سيد المرسلين، فقد أثبت في كتابه من شهادات الأغيار في القرآن ما أسلفنا من العدد مائة وثمانية، وأثبت أيضاً مائة وستين شهادة في صدق محمد ﷺ أفضل النبيين والمرسلين، وإحدى وعشرين في نزول الوحي عليه ﷺ ، وأربع عشرة في كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وهي من إحدى معجزاته، وإني لأحب ـ جداً ـ أن أجتبي من كل منها عدداً ميموناً، فدونك مما في صدقه ﷺ أربع عشرة شهادة.

النظرة السابعة

في شهادات عظماء علماء الافرنج بصدق النبي الأعظم ونزول الوحي عليه وكونه أميًّا من إحدى معاجزه وبكمال دينه وبأنه خير البشر

١) المستر ستنلي لين بول، له شهادة قيّمة قال فيها: فهو إذا لاشك نبي مقدس نشأ يتيماً معوزاً حتى صار فاتحاً عظيماً[١].

٢) قال غوستاف لوبون الفرنسي في شهادته لمحمد ﷺ : حمل إليه جبرئيل أسس الدين الذي كان من شأنه أن يقلب العالم رأسا على عقب[٢].

٣) قال المسيو ميسمر في شهادته: وما فعله محمد (ﷺ) هو أنه لما رأى ضلال الناس في معرفة الخليفة عزم على إرشادهم وتطبيق قوانين الطبيعة على أمور العالم بقدر ما كان معروفاً في ذلك الوقت، ولذلك أعلن الوحدة الإلهية بدلاً عن الخرافات... الخ[٢].

٤) قال الأستاذ الدكتور ليتز في شهادته لمحمد ﷺ : وكانت آمال محمد لا تخص بركات دين إبراهيم لقومه خاصة، بل تعم الناس جميعاً،

---

١) محمد والقرآن: ص ٩.

٢) نفسه: ص ١٥.

ولقد صار دينه الواسطة لإرشاد وتمدّن الملايين من البشر، ولولا هذا الدين لبقوا غرقى في التوحش والهمجية... الخ[١].

٥) قال المستر بوسورت سميث [الإنجليزي في كتابه (حياة محمد)] : من حُسن الحظ الوحيد في التاريخ، أن محمداً أسس في وقت واحد ثلاثة أشياء من عظائم الأمور وجليل الأعمال، فإنه مؤسس لأمة وامبراطورية وديانة، مع أنه أمي، وقلّما كان يقدر أن يقرأ أو يكتب[٢].

٦) الأستاذ نجيب نصار[٣]، قال إن محمداً (ﷺ) أقدر زعيم في العالم، وأبعده نظراً، وأسدُّهم رأياً، وقد أتى بتدبيرٍ لو سار عليه العرب والشرق أجمع، لما وقع في يد أعدائه، ولذلك إنه جمع كلمة العرب وأنشأ لهم الدولة والسلطان، واستظهر لذلك بالجامعة الإسلامية، فتعال ندع إلى هذه الجامعة، ولنرسل الوفود إلى الأقطار الإسلامية؛ لنستنصر بها ونستظهر على عدونا، فإن ذلك أفضل من إرسال الوفود إلى أوربا وأنجح[٤]. انتهى.

٧) قال المستر جون ريفو تبوت: هل بالإمكان إنكار فضل محمد (ﷺ) الذي قام بإصلاحات عظيمة خالدة لبلاده، بأن جعل أهلها يعبدون

---

١) محمد والقرآن: ص ٩.

٢) ن، المصدر.

٣) مسيحي، ولد في عين عنّوب في لبنان، وانتقل إلى مدينة حيفا بفلسطين، وأسس فيها صحيفة الكرمل عام ١٩٠٨م، توفي في مدينة الناصرة عام ١٩٤٨م ودُفن بها.

٤) محمد في القرآن: ص ١٠.

الله (تعالى) ويهجرون عبادة الأصنام، ذلك الذي منع قتل الموؤدة، وحرّم شرب الخمر، والميسر[١].

٨) قال القس لوزون الشهير الفرنساوي[٢]: لا يخفى أن المسيحيين لا يعرفون الإسلام بوجه العموم وكثير من المسلمين قليلوا المعرفة بدينهم، أو هم يعرفونه على غير وجهة الحق، وحينئذ فلابد للوصول إلى حقيقة هذا الدين أن يقال: إن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) واضع الإسلام على أنه هو يتبرأ من ذلك كما جاء في آية ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٣].

ولقد كان إبراهيم عليه السلام ـ بحكم القرآن ـ مسلماً، ويُروى عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه»، وجاء في القرآن: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ**﴾[٤]، وورد فيه أيضاً ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً**﴾[٥].

لقد بُعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رسولاً إلى العرب، وعاشت بلاد العرب الأزمان الطويلة عاكفة على عبادة الأصنام، وتوغّلت في ذلك، حتى صارت

---

١) ن، م، ص ١٥.

٢) في كتابه (الله في السماء).

٣) سورة يونس، الآية ٣٧.

٤) سورة يونس، الآية ٤٧.

٥) سورة النحل، الآية ٣٦.

في احتياج إلى انقلاب ديني عظيم. وكان العقلاء من بين عظمائها لا يرون أنْ يكون هذا الانقلاب إلاّ رجوعاً إلى ملة الجد الأعظم إبراهيم (عليه السلام)[١].

وهي طويلة جليلة، ومن جليلها قوله: "وليس محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي العرب وحدهم بل هو أفضل نبي، قال بوحدانية الله (تعالى) ..."

وبعد تعرّضه لموسى عليه السلام قال: "وأما محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين وهما: الوحدانية والبعث، وقد أعلنه لعموم البشر في أنحاء المسكونة، وإنه لعمل عظيم يتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلاً عند من يدرك غايته، فالديانة المحمدية ـ إذن ـ مع كونها من بعض الوجوه خاصّة بالعرب، وبعض ظهورها، فإنها الديانة العامة الخالدة للنوع الإنساني".

ثم أخذ في الثناء عليه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المسيح عليه السلام ما نصه: "وخلاصة القول أن الله هو الله (عزّ وجل) ، وأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)وموسى (عليه السلام) أنبياء وعيسى (عليه السلام) رسوله، تلك هي صفة الأديان التي سيعرفها أبناء المستقبل إن كان أبناء اليوم لم يستعدوا لها الآن"[١].

٩) وقال القس لوزون الفرنساوي: "محمد بلا التباس ولا نكران من النبيين والصدّيقين، وهو رسول الله، بل وإنه نبي عظيم، جليل القدر والشأن، أمكَنه ـ بإرادة الله (تعالى) ـ تكوين الملّة الإسلامية، وإخراجها من العدم إلى الوجود بما صار أهلها، ينيفوا على الثلاثمائة مليون من النفوس، وداسوا

---

١) محمد في القرآن: ص ١٥.

بخيولهم سلطنة الرومان، وبرماحهم قطعوا دابر أهل الضلال، إلى أن صارت ترتعد من ذكرهم فرائص الشرق والغرب"[١].

١٠) قال المستر ماركو داد: "كان محمد يعامل الغني والفقير على السواء، وإنه لنبي مبارك، أرسله الله إلى البشر"[٢].

١١) قال غوستاف لوبون: "إنني لا أدعو إلى بدعة مُستحدثة، ولا إلى ضلالة مُستهجنة، بل إلى دين عربي قويم، أوحاه الله إلى رسوله محمد، فكان أميناً على رسالته، حريصاً على بثّ دعوته بين قبائل رُحّل، تلهَّتْ بعبادة الحجارة والأصنام، وتلذذت بترهات الجاهلية. فجَمع صفوفهم بعد أن كانت مُبعثرة، ووحد كلمتهم بعد أن كانت متفرقة، ووجّه أنظارهم لعبادة الخالق، فكان خير البرية على الإطلاق، حسباً ونسباً وزعامة ونُبوّة".

١٢) شهادة اللورد هدلي[٣]، وهي طويلة جليلة، فمنها: "وقد تحققت بعد البحث والاستقراء أنّ محمداً ـ (نبي الإسلام) ـ لم يكن دعباً ولا دجالاً ـ (كما يدعيه خصومه) ـ ولكن كان رسولاً نبيناً، جاء برسالة إلهية صادقة، لا ريب فيها، هدى للمتقين، أوحى الله بها (إليه)، وكلفه بأدائها فجاءت مخففة لصرامة (أحكام) التوراة مكملة لكتاب المسيح (في الإنجيل) "[٤].

---

١) ن، م، ص ١٥.

٢) ن، م، ص ١٨.

٣) في كتابه (رجل من الغرب يعتنق الإسلام).

٤) محمد في القرآن: ص ٢٠.

وأخذ في جليل كلامه إلى أن قال: "فلما جاء محمد (ﷺ) كان داعياً إلى الرحمة، والعدل، والكرم، والشجاعة، والصبر على المكاره، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، وبخاصة الصدق الذي يحبه ويقدسه أكثر من سواه".

وبعد كلمات قال فيه ﷺ : "يعتبر أن الدين وحده هو القانون الطبيعي الذي يجب على الناس أن يتبعوه، وأن الله تعالى ما بعثه إلاّ رحمة للعالمين؛ ليبين لهم طريق الهدى وطريق الضلال، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم صراطاً مستقيماً. ويعتقد محمد ﷺ أن أقرب الأشياء إلى العقل وإلى الطبيعة، وإن الإنسان ما هو إلاّ مظهر من مظاهر الله تعالى قد أوتي عقلاً يميز به بين الخير والشر، فمن آمن واتّبع الهدى، فبها ونعمت، و ﴿**مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ**﴾ ، و ﴿**اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾... الخ"[١].

١٣) قال الدكتور شبلي شميّل: "إن محمداً ﷺ أكمل البشر الغابرين والحاضرين، ولا يتصور وجود مثله في الآتين"[٢].

وبه انتهى مرادنا من نقل الشهادات بحقه ﷺ بالعدد الميمون المبارك عدد المعصومين عليهم السلام الذين هم أربعة عشر[٣] (صلوات الله عليهم أجمعين) وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها الأئمة المعصومون: الحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين عليهم السلام خاتمهم قائمهم حجة عصرنا المنتظر، وأبوهم سيدهم أمير المؤمنين عليٌّ، نفسُ الرسول، سيد الخلق طراً بعده.

---

١) ن، م، ص ٢١ ـ ٢٢.

٢) ن، م، ص ٢٣.

٣) ذكره رحمه الله ١٣ شهادة فقط، وسقطت الشهادة رقم١٤ ولا نعلم لمن كانت.

هذا ولكني بعد انتهاء الشهادة الرابعة عشرة وقفت على شهادة المسيو رينارد دوزي، وهي شهادة مطوّلة قيّمة قد شعّت فيها شموس بيان المعاني من إبريز بلاغة الألفاظ الجزلة، ولا أجد نفسي إلاّ أنّ لها رغبة شديدة بجاذبية حب المصطفى ﷺ وآله النجباء عليهم السلام في تحريرها، ولا يمنعني التزامي بالعدد المذكور؛ لما فيها من الأنوار النبوية الزاهرة من كواكب الوحي وأقمار القرآن الكريم، فلتكن هذه الشهادة هي الأولى من شهادات الأضداد بالوحي له ﷺ ؛ إذ كل عنوان من الخير راجع إليه ﷺ فدونك النص:

١) [قال المسيو رينارد دوزي:] "لا ينكر أحد أنّ مظهر محمد ﷺ كان مظهر نبوة بالعقل، بقطع النظر عن صدق تلك النبوة وعدم صدقها؛ لأن النبوة من حيث [هي] عبارة عن قيام رجل يُملي على الناس أمر ربه، ويعتقد ـ حقاً ـ أنّ ما يقوله آتٍ من عند الله (عزّ وجل).

وهو تعريف أعلمُ أن المسيحيين لا يقبلونه، سواء كانوا من المتكلمين أم الحكماء الباحثين، إلا التي ما أردتُ به التوفيق بينهما، بل قصدتُ تمهيداً للإيضاحات التي أريدُ أنْ أقدّمها للقرّاء في عرض رسالتي، وعلى ما تقدم أقول: إن لظهور النبوة سببين مختلفين: فإما أن تكون صادرة عن وحي سماوي، أو عن اتّقاد في الذهن واشتداد في حركة النفس الباطنية. والتأثّر بأحد هذين السببين ينفعل به قهراً غير مختار، فهو صادق على الحالين، وتكون النبوة حقيقة أو كاذبة بحسب المؤثر فيها، فإن كان إلهياً، فالأول، وإلاّ فالثاني، ولو رجعنا إلى ما وضّحه الحكماء عن النبوة ولم يقبله

المتكلمون من المسيحيين لأمكننا الوقوف على حال مشيّد دعائم الإسلام، وجزمنا بأنه لم يكن من المبتدعين.

فمحمد ﷺ ـ كما قال إيوالد عن أنبياء بني إسرائيل: أعتقد أن روحاً من الله استولت على لبّه فلم يعد يشعر بأن له فكراً خاصاً، بل إن ما أوتيَهُ من عند ربه، واختفت في نظره أنانيّته، ولم يعد يسمع غير صوت ذاتٍ فوق ذاته، ومن الصعب أن نقف على حقيقة سماعه لصوت جبرائيل عليه السلام هل كان ذلك في الحلم أو غيبوبة في عالم التصورات الألهية ! على أنّ معرفة هذه الحقيقة لا تغيّر موضوع المسألة؛ لأن الصدق حاصل في كل حال كذلك، أو قال قائل: إن القرآن ليس كلام الله بل كلام محمد ﷺ ! فلابد لنا على الحالين من الاعتراف بأن تلك الآيات البينات لا تصدر من مُبتدع أبداً خلافاً لرأي من ذهب لتكذيب نبوته ﷺ ، ولعل رأيهم من ضيق اللغة التي تُلجئنا إلى أن نرمي بالكذب نبياً هو في الحقيقة شخص مليء أمانة وصدقاً.

ولقد نعلم أن الصوت الذي كان يسمعه نبي المسلمين شبيه بالصوت الذي أيقظ (إيوانس) من قبله فقال له: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ ، فلما سمع ذلك تباطأ وتلكّأ واستعصى على هذا النداء، فضعفت صحته، واستولى عليه الهلع كرجل يخاف أن يذهب لبّه.

ثم انتهى به الحال إلى أن هرع بأمرٍ، وجعل يبشّر الناس، وحصل على شيء من الراحة وإن لم ينلها بتمامها؛ لأنه كان كثير التألّم كما يؤخذ ذلك من سورة هود والقارعة والحاقة، ومن ذلك الحين أخذت شفتاه تنطق من فمه إلى أن يقف لسانه، ولا يَجد من الألفاظ ما يعبّر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان، وسما عن أن يترجمه قلم أو لسان، وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية، فظن بعضهم أن به جُنّة، وهو رأيٌ باطل؛ لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين، ولم يشاهد عليه قبل ذلك أي اعتلال في الجسم، أو اضطراب في القوة المادية، وليس من الناس من عرف الناسُ جميع أحواله في حياته كلها مثل النبي ﷺ ، فلقد وصل المحدثون عنه إلى أنهم كانوا يعدّون الشعر الأبيض في لحيته، وأنه لو كان لما خفى مرضه؛ لأن المرض في تلك الأحوال يعتبر أمراً سماوياً عند الشرقيين، وليست حالة محمد في انفعالاته وتأثراته بحالة ذي جُنّة، بل كانت مثل التي قال نبي بني إسرائيل في وصفها: لقد شعرتُ بأن قلبي قد انكسر بين أضلعي، وارتعشتْ مني العظام، وصرتُ كالنشوان لما قام من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة.

إذن ليس محمد ﷺ من المبتدعين، ولا من المنتحلين كتابهم، إذ لا يمكن أن نُنكر على محمد ﷺ في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه. أما الإيمان فلا يَتزعزع مثقال ذرّة من قلبه في الدور الثاني، وما أوتيَهُ من النصر كان من شأنه أن يقوّيه على الإيمان لولا أنّ

الاعتقاد كلّه قد بلغ منه مبلغاً لا محلّ للزّيادة فيه، ولم يكن فيه عيب، بل إن ما نسبوه إليه من هذا القبيل لا يؤثر بشيء على سيرته الطاهرة (ﷺ).

فما كان(ﷺ) يميل إلى الزخاريف، ولم يكن شحيحاً، بل كان كما قال أبو الفداء (يستدر اللبن من نعاجه بنفسه، ويجلس على التراب، ويرتُقُ ثيابه ونعاله بيده، ويلبسها مرقّعة، وكان ﷺ قنوعاً، خرج من هذا الباب كما رواه أبو هريرة، ولم يشبع من خبز الشعير مرّة في حياته).

تجرد ﷺ عن الطمع، وتمكّن من نيل المقام الأعلى في بلاد العرب، ولكنه لا يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية، ولم يتخذ له وزيراً، ولا حشماً، ولا أحتكر المال، وقد بلغ من السلطان منتهاه، ولم يكن له من علامات الأمارة والمُلك سوى قضيب من فضّة مكتوب عليه (محمد رسول الله) (ﷺ) ، كان يقول عن نفسه إنه كان يخشى العذاب، ويسأل الله الغفران، وكم من مرة شوهدت على وجهه علائم الهلع، وما به من هول، عندما كان يتلو على الناس من آيات الفزع الأكبر، هذا ما كان من صدقه وأمانته في السنين الأولى من بعثته، حتى سمّاه معاصروه الأمين"[1].

٢) قال الأستاذ رشيد الخوري[2]: ولقد أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ : وعزّتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك".

---

١) محمد في القرآن: ص ٢٨ ـ ٣٠.

٢) رشيد سليم الخوري، شاعر مسيحي، ولد في لبنان في قرية البربارة سنة ١٨٨٧م، ومات بها سنة ١٩٨٤م.

٣) وقال الدكتور كريستيان سنوك هرغرنج [الهولندي]: "لا أعتقد أبداً أن الدين الإسلامي يسقط أمام النصرانية؛ لأن المسلم يحتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ النصراني، فهو يعرف النصرانية التي ليست عنده شيئاً جديداً غير مألوف، فقد عرف أصلها وطريقة نشوئها، وهو يعتبرها ديناً فسد بالتدريج، وأخيراً نسخه وحي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) محمد خاتم النبيين والمرسلين الموحى إليهم". (صلى الله على محمد وآله الطاهرين) .

٤) وقال المؤرخ فيليب فان فس مرز الأمريكي: "وكان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يتخلّى في غارٍ بجوار مكة، يتعبّد، وإنه رأى رؤياً ظهر له فيها الملاك جبرئيل (عليه السلام) ، وأوحى بما يحب أن يعلمه لبني قومه، وجوهره أن (لا إله إلاّ الله) ، وكان أول من آمن به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام)...". وفي آخرها قال: "وكان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من حينٍ إلى آخر ينزل عليه الوحي فيتلوه على الصحابة".

٥) وقال الكاتب الفرنسي ديسون: "ومنذ نزل جبرئيل (عليه السلام) على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك الوقت لم يعد ينقطع عنه الوحي أبداً، ولقد حدث أن فتر الوحي عنه فشقّ ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحزنه، فجاءه جبرئيل (عليه السلام) بسورة يُقسم له فيها ربُّه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به، ما ودّعه ربُّه وما قلى، قال تعالى: ﴿ **وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**... إلى آخر السورة﴾ ، (صلى الله على محمد وآله الطاهرين) ".

٦) وقال لورا فكشيا فاليبري الايطالي: "إن جماعة من المستشرقين فصّلوا ـ هنا ـ بين الوحي الذي يُوحى به إلى النبي (ﷺ) وبين المعلومات الشخصية التي اتصل بها بثمرة اجتهاده، وقد نزل القرآن على رجل لم يتعلم شيئاً إلاّ ما أوحاه الله، وقد أوحى إليه هذا القرآن".

٧) وقال المسيو جان توزنون كرو الفرنسي[١]: "وقذف في نفس محمد (ﷺ) مجموع كتاب ملآناً بالأسرار، وأوحي إليه حقائق تجتاز مسافة عقله الطبيعي... إلى آخرها".

٨) وقال [إدوارد] مونته أستاذ اللغات الشرقية بجنيف[٢]: "كان محمد (ﷺ) يُصلح بين الناس في مخاصماتهم، إما بالوحي وإما بحُسن السياسة".

٩) وقال الدكتور [كارلْ] ماركس[٣] ـ وهو دكتور في الفلسفة ـ: "هذا النبي الذي افتتح برسالته عصر العلم والنور والمعرفة، [لابد][٤] أن تدوّن[٥] أقواله وأفعاله على طريقة علمية خاصة، وبما أن هذه التعاليم التي قال بها هي وحي الله المنزل ورسالته، فقد كان عليه أن يمحو ما تراكم على

---

١) في كتابه (العرَب).

٢) في كتابه (حاضر الإسلام ومستقبله).

٣) في كتابه (رأس المال).

٤) هكذا يوجد في المصادر المطبوعة اليوم والتي نقلت عبارة ماركس.

٥) كذا، والظاهر أن كلمةً سقطت، فينبغي أن تضاف إليها (حقاً أن تُدوّن). (منه رحمه الله).

الرسالات السابقة من التبديل والتحوير وما أدخله عليها الجهل من سخافات لا يُعوِّل عليها عاقل".

انتهت تسع شهادات عدد مبارك موافق لحروف محمد نبينا ﷺ حروف تسعة ميمونة مساوية عدد أحرف الوحي لمحمد ﷺ تسعة بوفاق الأئمة التسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام[1].

وقد عرفت فيما أشرنا إليه آنفاً من شهادة الأغيار عدد أربع عشرة شهادة في كونه ﷺ أمّياً، فدونك نص مانجتبيه منها:

١) قال الكونت هنري دي كاستري الفرنسي[2]: "كان محمد (ﷺ) لا يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مراراً: نبياً أمياً، وهو رجل في الشرق، أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس؛ لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان، على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأفكار... إلى آخرها".

---

١) نحرّرهم تعبداً وتبركاً : هم علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، وابنه محمد بن علي الباقر عليه السلام ، وابنه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، وابنه موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، وابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وابنه محمد بن علي الجواد التقي عليه السلام ، وابنه علي بن محمد الهادي النقي عليه السلام ، وابنه الحسن بن علي العسكري الزكي عليه السلام ، وابنه الحجة القائم المهدي (عجل الله فرجه، وصلوات الله عليهم أجمعين) .

بأسمائهم يُستدفع الضر والبلا وهل مَن سواهم مَن به يدفع الضر

(من المؤلف رحمه الله)

٢) في كتابه (الإسلام خواطر وسوانح).

٢) وقال واشنطن أراونيك الأمريكي: " كان محمد أمّياً ولم يقرأ اللغة اليونانية ولا العبرانية، ولم يقرأ التورة والإنجيل، وكان عنده علم الأولين والآخرين، وقد انطبع ذلك العلم على صفحة قلبه بنوع أكمل وأعلى وأفضل، ولقد أذعنت الحكماء بصحة أخباره، وجميعُ ما جاء به مطابقٌ للعقول".

٣) وقال المسيو درمنغم[1]: "كان محمد أمّياً، وقد قذف في روعه مجموع كتاب ملآنا بالأسرار الإلهية".

٤) وقال غوزستاف لوبون من كتابه (الآراء والمعتقدات) : "لقد اعتنق قبائل البدو ديناً أتى به أمي، فأقامت ـ بفضل هذا، في أقل من خمسين سنة ـ دولة عظيمة كدولة الاسكندر، وزيّنت جيدها بقلادة من المباني الفخمة التي هي آية من الإعجاز".

٥) وقال سدنو الافرنسي: "كان محمد أمّياً أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً، دائم البُشر، مُطيل الصمت، لين الجانب، سهل الخُلق، يُكثر الذكر، ويقل اللغو، يستوي عنده في الحق القريب والبعيد والقوي والضعيف، يحب المساكين، لا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، يؤلّف أصحابه، ولا ينفّرهم، ويصابر مَن جالسه أو قاومه أو صافحه، ولا يَحيد عنه حتى يكون الرجل هو المنصرف، يتفقّد أصحابه، يجلس على الأرض، ويخصف النعل، ويرقع الثوب". انتهى.

وبها انتهى ما أردنا تحريره من شهادة الأضداد.

---

١) في كتابه (حياة محمد).

وقد انتهى العمل على هذا الجزء

تصحيحاً لمتنه وتخريجاً لمصادره

ونحن في بلدة الشويكة العزيزة بالقطيف المحروسة

أيام جمادى الأولى سنة ١٤٤٠ هـ

والحمد لله بدءً وختاماً

مصادر التحقيق

ـ ا، آ، أ، إ ـ

الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، مطبعة النعمان، الأولى، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، النجف الأشرف.

الاختصاص: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (المفيد) ، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية ١٤١٤ هـ، بيروت.

آلاء الرحمن في تفسير القرآن: العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأزرية في مدح النبي والوصي والآل: الشيخ كاظم الآزري، الأولى، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.

الأمالي: الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي، مؤسسة البعثة، الأولى، ١٤١٤ هـ، قم المقدسة.

الأمالي: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، مؤسسة البعثة، الأولى ١٤١٧ هـ، قم المقدسة.

الأمالي: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٣ هـ / قم المقدسة.

أنوار الربيع في أنواع البديع: صدر الدين علي بن أحمد بن محمد

معصوم المدني، مطبعة النعمان، ١٣٨٩ - ١٩٦٩ النجف الأشرف.

الأنوار النعمانية: المحدث السيد نعمة الله الموسوي الجزائري، الرابعة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت.

إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مؤسسة آل البيت، الأولى ١٤١٧ هـ ، قم المقدسة.

إقبال الأعمال: السيد علي ابن طاووس، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، بيروت.

-ب-

بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، الثانية، بيروت.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م، بيروت.

بصائر الدرجات الكبرى: أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤ هـ ، طهران.

-ت-

تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الرابعة ١٤٠٧ هـ ، بيروت.

التبيان في تفسير القرآن: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الأولى،

١٤٠٩ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تفسير الصافي: المولى محمد بن مرتضى بن محمود المعروف بـ(محسن الفيض) الكاشاني، الثانية، ١٤١٦ هـ، مكتبة الصدر، بطهران.

تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي،المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة دار الكتاب، الثالثة، ١٤٠٤ هـ، قم المقدسة.

تنزيه الأنبياء: علم الهدى، السيد علي بن الحسين الموسوي (الشريف المرتضى) ، دار الأضواء، الثانية، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، بيروت.

-ث-

الثاقب في المناقب: محمد بن علي ابن حمزة الطوسي، مؤسسة أنصاريان، الأولى، ١٤١١ ، قم المقدسة.

ثواب الأعمال: محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي، الثانية، مطبعة أمير، قم المقدسة.

-ج-

جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام: محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية الدمشقي الحنبلي، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م ، دار الحديث، القاهرة.

-ح-

الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: الشيخ يوسف بن أحمد

البحراني ـ مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدسة.

حقائق التأويل في متشابه التنزيل: السيد محمد بن الحسين الموسوي (الشريف الرضي) ، دار المهاجر، بيروت.

حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى بن عيسى الدميري، دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤٢٤ هـ، بيروت.

ـ خ ـ

الخرائج والجرائح: قطب الدين سعيد بن عبد الله الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدسة.

الخصال: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، منشورات جماعة المدرسين، الأولى ١٤٠٣ هـ، قم المقدسة.

ـ د ـ

الدعوة الإسلامية، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، المجمع العالمي لأهل البيت، الأولى، ١٤٣٢ هـ، قم المقدسة.

ـ ر ـ

روضة الواعظين: محمد بن الحسن الفتال النيسابوري، الشريف الرضي، قم المقدسة.

رياض المسائل: السيد علي الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، الأولى، ١٤١٢ هـ، قم المقدسة.

رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: السيد علي خان المدني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ١٤٢٠ هـ، قم.

-ز-

زبدة البيان في أحكام القرآن: الفقيه المقدس الشيخ أحمد الأردبيلي، تحقيق الشيخ محمد الباقر البهبودي، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران.

-س-

سنن ابن ماجة: ابن ماجة الرُّبعي القزويني، دار الفكر، بيروت.

سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، دار إحياء السنة النبوية، بيروت .

سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مطبعة الإعتدال، الأولى، دمشق.

سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، الأولى، ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م، دار الفكر، بيروت.

-ش-

شرح معالم الدين: الشيخ محمد صالح المازندراني، مكتبة الداوري، قم المقدسة.

شرح المنظومة: الملا هادي بن مهدي السبزواري، تصحيح وتعليق حسن زاده آملي، نشر ناب، ١٣٦٩ـ ١٣٧٩ ، طهران.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض اليحصبي، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م، بيروت

- ص -

صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الفكر، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، بيروت.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت.

الصِلات والبِشر في الصلاة على خير البشر: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي، مكتبة القاهرة (شركة الطباعة الفنّية المتّحدة) ، مصر.

- ط -

الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار صادر، ١٤٠٥ هـ، بيروت.

- ع -

العثمانية: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتاب العربي، الأولى، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ، مصر.

العروة الوثقى: السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، الدار الإسلامية، بيروت.

علل الشرائع: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي،

منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: محمد بن عبد الله ابن سيد الناس، مؤسسة عز الدين، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، بيروت.

عيون أخبار الرضا: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

ـ ف ـ

فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أحمد بن حجر العسقلاني، الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت .

فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين: أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن المؤيد الحموينى الجويني الشافعي، بيروت.

ـ ق ـ

قطر الندى وبل الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، الطبعة ١١، مطبعة السعادة، مصر.

القوانين المحكمة في الأصول: الميرزا أبو القاسم القمي، تحقيق وتعليق السيد رضا حسين صبح، دار احياء الكتب الاسلامية/ دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٣٠ هـ بيروت.

ـ ك ـ

الكافي: ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني البغدادي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، طهران.

كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه، مؤسسة نشر الفقاهة،

الأولى، ١٤١٧ هـ، قم المقدسة.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ـ دار المعرفة ـ بيروت.

كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء، الثانية ١٤٠٥ هـ، بيروت.

كمال الدين وتمام النعمة: محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٣٦٣ هـ ش، قم المقدسة.

كنز العرفان: الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري، تحقيق الشيخ عبد الرحيم العقيقي البخشايشي، مكتب نويد اسلام، ١٤٢٨ هـ ـ قم.

كنز الفوائد: أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي، دار الأضواء، الأولى، ٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، بيروت.

ـ م ـ

المحاسن: أحمد بن محمد بن أحمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية ١٣٧٠ هـ، طهران.

مجمع البحرين: فخر الدين بن محمد علي الطريحي، نشر مرتضوي، الثانية ١٣٩٠ هـ ش، طهران.

مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، بيروت.

مدينة المعاجز: السيد هاشم بن سليمان التوبلاني البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ، الأولى ١٤١٣ هـ ، قم المقدسة.

مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول: العلاّمة محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، الثانية، ١٤٠٤ هـ، طهران.

مرآة الكمال لمن رام درك مصالح الأعمال: الشيخ عبد الله المامقاني، تحقيق الشيخ محي الدين المامقاني، مطبعة مِهْرْ، الأولى، ١٤١٣ هـ ، قم المقدسة.

المراجعات الريحانية: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، دار الهادي، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، بيروت.

مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين بن علي المسعودي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، دار الهجرة، قم المقدسة.

المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، دار ومكتبة الهلال، الأولى، ٢٠٠٠ م، بيروت.

مستمسك العروة الوثقى: السيد محسن الطباطبائي الحكيم، مكتبة المرعشي النجفي، الثالثة، ١٤٠٤ هـ، قم المقدسة.

مستند الشيعة في أحكام الشريعة ، الشيخ أحمد بن المولى محمد مهدي النراقي، مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤١٥ هـ، قم المقدسة.

مسند أحمد: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت.

مصباح الكفعمي: تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي العاملي، الثالثة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

مطالب السؤول: محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق ونشر: ماجد أحمد العطيّة.

معاني الأخبار: محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ١٣٧٩ هـ / ١٣٣٨ هـ ش، قم المقدسة.

معالم الدين وملاذ المجتهدين، جمال الدين الحسن نجل الشهيد الثاني زين الدين العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة ١٢ ، ١٤١٧ هـ، قم المقدسة.

المعجزة الخالدة: السيد هبة الدين الشهرستاني.

المعجم الأصولي: الشيخ محمد صنقور علي البحراني، مطبة عِتْرَتْ، الأولى، ١٤٢١ هـ، قم المقدسة.

معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، بيروت.

المعجم الوسيط: تأليف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠١١م، مصر.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: أبو محمد عبد الله ابن هشام الأنصاري، مكتبة سيد الشهداء عليه السلام ، ١٤٠٨ هـ، قم المقدسة.

مفتاح الفلاح: الشيخ البهائي الحارثي العاملي ـ تحقيق السيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الأولى، ١٤١٥ هـ ، قم المقدسة.

مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، منشورات ذوي القربى، الأولى، ١٤٢٦ هـ / ١٣٨٤ هـ ش، قم المقدسة.

منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد بن حنبل): علي بن حسام الدين المتقي الهندي، المطبعة الميمنية، ١٣١٣ هـ ، مصر.

منتهى المطلب: العلامة الحسن يوسف بن المطهّر الحلي، مجمع البحوث الإسلامية، الأولى، ١٤١٣هـ ، مشهد المقدسة.

ـ ن ـ

النصائح الكافية: السيد محمد بن عقيل العلوي، دار الثقافة، الأولى، ١٤١٢ هـ ، قم المقدسة.

النهاية في غريب الحديث: المبارك بن محمد الجُزري (ابن الأثير) ، مؤسسة إسماعيليان، الرابعة، ١٣٦٤ هـ ش، قم المقدسة.

نهج الحق وكشف الصدق: العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، دار الهجرة، الأولى، ١٤١٤ هـ ، قم المقدسة.

نور الأنوار في شرح كلام سيد الأبرار: المحدث السيد نعمة الله الجزائري، الأولى ١٤٢٦ هـ ، دار المجتبى (پارسا) ، قم المقدسة.

- و -

الوافي: المولى محمد بن مرتضى بن محمود المعروف بـ(الفيض الكاشاني) ، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، ١٤٠٦ هـ ، أصفهان.

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤١٨ هـ ، قم المقدسة.

وسيلة الوسائل: السيد محمد باقر العلوي الطباطبائي اليزدي، طبعه حجرية، دار الطباعة، سنه ١٢٩١هـ ـ ١٨٧٤م ، ايران.

- ي -

ينابيع المودة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي الحنفي ـ تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني،الأولى، ١٤١٦ هـ ، دار الأسوة، قم المقدسة.

فهرس مطالب الكتاب

كلمة الشيخ علي المرهون رحمه الله ٥

كلمة المؤلف ٧

تمهيد ٩

النظرة الأولى: وفيها أربع عشرة آية ١١

الآية الأولى: وفيها جوابه ﷺ عن علل أسمائه المذكورة فيها..... ١١

الآية الثانية: وفيها إشارة إلى تعليل كونه أميا..... ١١

الآية الثالثة: وفيها إشارة إلى وجه الانعام به ﷺ والامتنان بكون أمياً ١٢

الآية الرابعة: وفيها تعليل كونه أمانا من رفع العذاب عن أمته..... ١٣

الآية الخامسة: وفيها بشائر لتابعيه خصوصا من تأخر عنه ﷺ وفيها وجوه في بيان معنى الأمي اخترنا رابعها لما فيه من البشائر العظيمة..... ١٣

الآية السادسة وبعدها آيتان أهملتا في العدد غلطا وفي الآيات الثلاث وجوه اخترنا منها طرائف جليلة فيه ﷺ ١٥

الآية السابعة: وفيها إشارة إلى طهارة كل آبائه ووجه الامتنان به وتخصيصه باسمين من أسماء ربه..... ١٧

الآية الثامنة: في تفسير الصلوات من الله وملائكته وفي بيان التسليم عليه وفي كيفية الصلاة عليه وفي وجوبها أو استحبابها وفي مواردها وفضلها وفيها مقامات ستة..... ١٨

المقام الأول: في بيان معنى الصلاة والتسليم ٢٣

المقام الثاني: في الوجوب والاستحباب ٣٢

المقام الثالث: في الاخبار الواردة في الأمر بها ٤٤

المقام الرابع: في الكلام على مواردها عموما وخصوصاً ٤٧

المقام الخامس: في كيفيتها عموما وخصوصاً ٤٩

المقام السادس: تشبيه الصلاة عليه وعلى آله بالصلاة على إبراهيم وآله ٧٣

الآية التاسعة: وفي تفسيرها رواية صادقية فيها ذكر السيدة فاطمة وفيه إشارات من المؤلف إلى فضلها خصوصا وانقطاعه وآله إلى ربهم صلى الله عليهم جميعاً..... ٧٦

الآية العاشرة: وفيها بيان اقتران ذكره ﷺ بذكر ربه تعالى وتقدس ٧٧

الآية الحادية عشرة: وفيها بشائر الأنبياء به ﷺ وفي بعضها ذكر أوصيائه وفيها بيان تسميته بأحمد..... ٧٨

الآية الثانية عشرة: في بيان أخذ الميثاق له ﷺ وتحقيقان رائقة لعظمائنا..... ٨٧

الآية الثالثة عشرة: بيان تفضيل بعض الرسل على بعض والتصريح بأنه ﷺ أفضلهم على الاطلاق..... ٩٦

الآية الرابعة عشرة: وفيها بيان اشرفيته ﷺ وعلو مقامه وأنه الخاتم لجميع الأنبياء وفيها تنقيحات حكمية في معنى الخاتمية..... ٩٧

النظرة الثانية: في مقابلة معاجزه ﷺ بمعاجز الأنبياء وفيها تحقيق قيم لاجلاء علمائنا في دفع الشبهات المتوهمة عنه وبيان أفضليته على الأنبياء مطلق..... ١٠٠

النظرة الثالثة: في معاجزه الخاصة به منوعة وبعض ماميزه ربه على الأنبياء من الكرامات الجليلة ١٢١

النظرة الرابعة: في بيان بعض خصاله المختص بها دون الانبياء وأسمائه وألقابه ونسبه وصفاته..... ١٤٣

النظرة الخامسة: في إعجاز القرآن والتحدي به وفيها كلام جميل للمصلح العظيم كاشف الغطاء ومن أجله ماذكره عن الله عز وجل في القرآن في الثناء على القرآن ثم مانقله عن النبي ﷺ والامامين العليين أمير المؤمنين وزين العابدين عليهما السلام ١٥٦

النظرة السادسة: وفيها شهادة جملة من عظماء الافرنج بإعجاز القرآن وفيها تحقيقات رائقة للسيد هبة الدين الشهرستاني مشفوعة باعترافات بعض اجلاء المسيحيين ومزيد بيان منهم وتحقيق ٢٠٥

النظرة السابعة: في شهادات علماء عظماء الإفرنج بصدق النبي الأعظم ونزول الوحي عليه وكونه أمياً من إحدى معاجزه وبكمال دينه وبأنه خير البشر..... ٦٥